

# من نور القرآن

تفسير موضوعي يقتبس من القرآن الكريم والسنة الشريفة  
ما يلقي ضوءاً على قضايا عقائدية أو أخلاقية  
أو فكرية أو اجتماعية

الجزء الثالث

سماحة المرجع الديني

الشيخ محمد اليعقوبي

دار الصادقين  
للطباعة والنشر والتوزيع  
النجف الاشرف / شارع الرسول ﷺ

٠٧٨٠٨٢٨٩٣٦٤

الطبعة الأولى

١٤٣٨ هـ - ٢٠١٦ م





## القبس القرآني

٨٦

(وقال الرسول يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً) (١) الفرقان

: ٣٠

## شكوى القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله كما هو أهله وصلى الله على رسوله والأئمة الميامين من آله وسلم  
تسليماً كثيراً.

[رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي، وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي، وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي، يَفْقَهُوا  
قَوْلِي] (طه: ٢٥-٢٨).

## الافتتاح:

اعتاد الناس افتتاح الندوات والمؤتمرات واللقاءات وبرامج الإذاعة  
والتلفزيون بتلاوة آيات من الذكر الحكيم تبركاً بها وتعظيماً لها وقد جرى على  
ذلك حتى غير المسلمين مما يدلُّ على هيبة هذا الكتاب الكريم حتى في قلوب  
أعدائه، فما أحرانا نحن طلبة الحوزة الشريفة أن نفتتح دروسنا بالقرآن الكريم  
وينبغي أن يكون افتتاحاً واعياً متفاعلاً مع روح القرآن ومضامينه ومعانيه وليس

(١) سلسلة محاضرات ألقاها سماحة آية الله الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظلّه الوارف) بمناسبة  
حلول العام الدراسي الجديد على طلبة الحوزة العلمية الشريفة في النجف الأشرف بدأت بتاريخ  
السبت ١٩/محرم ١٤٢٢هـ الموافق ١٤/٤/٢٠١١م. وصدرت في حينها بكتاب مستقل عنوانه  
(شكوى القرآن) لقي رواجاً كبيراً ولا يزال يعاد طبعه.

افتتاحاً شكلياً وكأنه مجرد نشيد وترنيمه أو عوذة وتميمة.

## القرآن يشكو:

وقد اخترت أن أبدأ من الحديث الشريف المروي في الكافي والخصال عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: (ثلاثة يشكون إلى الله عز وجل مسجد خراب لا يصلي فيه أهله وعالم بين جهال ومصحف معلق قد وقع عليه الغبار لا يُقرأ فيه)<sup>(١)</sup> وأوضح مصاديق العالم هم أهل البيت (عليهم السلام) وخصوصاً الإمام الفعلي القائم بالأمر (أرواحنا له الفداء) فالثلاثة الذين يشكون هم القرآن والعترة والمسجد ويدل عليه ما ورد في حديث آخر عن النبي (صلى الله عليه وآله) قال: (يجيء يوم القيامة ثلاثة يشكون: المصحف والمسجد والعترة يقول المصحف يا رب حرقوني ومزقوني، ويقول المسجد: يا رب عطلوني وضيعوني وتقول العترة يا رب قتلونا وطرردونا وشرردونا، فأجثو للركبتين في الخصومة فيقول الله عز وجل لي: أنا أولى بذلك منك)<sup>(٢)</sup>.

## ونستفيد من هذا الحديث أكثر من أمر:

الأول: إن أسس بناء الأمة المسلمة ومقومات كيان المجتمع المسلم هي هذه الأركان الثلاثة، لذا تم التركيز عليها، والحديث على هذا يكون بمعنى

(١) الكافي: كتاب فضل القرآن، باب قراءة القرآن في المصحف، ح ٣. الخصال: ١٤٢/١ أبواب الثلاثة.

(٢) وسائل الشيعة: كتاب الصلاة، أبواب أحكام المساجد، باب ٥، حديث ٢.

حديث الثقلين المشهور: (إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً وقد نبأني اللطيف الخبير أنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض يوم القيامة)<sup>(١)</sup>. والثقلان هما اثنان من هذه الثلاثة، أما الثالث وهو المسجد فهو المحل الذي يمارس الثقلان من خلاله دورهما في المجتمع ويرتبطان في أجوائه المقدسة بالامة.

الثاني: الإشعار بأن الأمة ستعرض عن هذه الثلاثة وستخلفها وراء ظهورها لذلك أخبر (ﷺ) عن الشكوى كحقيقة واقعة وهو (ﷺ) يحذر الأمة من هذا التضييع ويبالغ في العقوبة عليه حتى كأن الله تبارك وتعالى هو الخصم المطالب بحقها وهو الحكم العدل.

وما دامت هذه الثلاثة هي أسس كيان المسلمين فتضييعها يعني زوال هذا الكيان وفناءه لذا كان لزاماً علينا أن نفرّد كل واحد منها ببحث خاص لبيان أثره في حياة الأمة وعظيم خسارتها بالإعراض عنه، وأساليب تفعيل دوره في حياة المسلمين.

وأرى من واجبي أن أنصب نفسي (مدعياً عاماً) كما يعبرون اليوم لأرفع هذه الشكاوى الثلاث وأبدأ برفع شكوى ثقل الله الأكبر: القرآن الكريم وهو الحبل الممدود من الله تبارك وتعالى إلى عباده، هذه الشكوى التي يرفعها رسول الله (ﷺ) يوم القيامة: [وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ

(١) روي في كتب العامة والخاصة، وللمزيد راجع كتاب (المراجعات) للسيد عبد الحسين شرف

مَهْجُورًا] (الفرقان: ٣٠) وحذر المسلمين من هذا الخطر حين عرض عليهم سبب انحراف الأمم السابقة وهو ترك ما أنزل الله إليهم، قال تعالى: [قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِّن رَّبِّكُمْ] (المائدة: ٨). فمن تمسك به فقد سلك الطريق الموصل إلى الله ومن أعرض عنه هلك وهوى.

ومنشأ هذه الشكوى إعراض مجتمعنا المسلم حتى الملتزمين<sup>(١)</sup> منهم عن تلاوة القرآن والاهتمام به وتدبر آياته فضلاً عن إعطائه دور الريادة والإمامة في الحياة ليكون هو النبراس والدليل الذي يهتدي به المهتدون في جميع تفاصيل الحياة، حتى عاد منسياً عندهم ولا يذكرونه إلا قليلاً في شهر رمضان المبارك، ونحن نحث على زيادة الاهتمام بالقرآن في هذا الشهر المبارك للعلاقة الحميمة بينهما، حتى ورد في الحديث: (إن لكل شيء ربيعاً وربيع القرآن شهر رمضان)<sup>(٢)</sup> لكن هذا لا يعني إهماله أو قلة التعرض له في غيره من الشهور.

(١) استقرأت عدداً من العينات العشوائية وكانوا من الطلبة المتقدمين للقبول في الحوزة الشريفة لاستبيان علاقتهم بالقرآن والمفروض أنهم يمثلون درجة من الوعي والإيمان الذي دفعهم لاختيار هذا المسلك فوجدت أن بعضهم لم يختم القرآن ولا مرة وآخر -وهو متصدي للمنبر - ختمه مرتين في حياته والكثير منهم يقرأ سوراً متفرقة في المناسبات والمواسم الدينية هذا على صعيد تلاوته أما فهمه واستيعاب معانيه والتأمل في مفاهيمه ومضامينه فالجهل هنا مطبق.

(٢) معاني الأخبار: الشيخ الصدوق، ص ٢٢٨.

### البعد عن القرآن سبب انحطاط المسلمين:

إن اختيار الحديث عن هذه الشكوى لم يأت اعتباطاً وليس هو من الترف الفكري بل هو ناشئ عن بصيرة نافذة ونظر ثاقب في تحليل واقع المسلمين وما تردت إليه أوضاعهم حتى صاروا يهدون مقتلهم على طبق من ذهب إلى أعدائهم الذين هم إبليس والنفس الأمارة بالسوء وصنعتها الغرب الكافر الذي جهد على أن يفصل بين المسلمين وعنوان عزهم وشرفهم وكرامتهم وهو القرآن وما هو غريب بينهم، لذا ثارت في قلبي شجون.

إن أسباب انحطاط الأمة وما آلت إليه من ضعف وانحلال هو إعراضها وعدم تمسكها بحبل الله تبارك وتعالى الذي أمرهم بالاعتصام به فقال عز من قائل: [وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا] (آل عمران: ١٠٣)، وقد بين رسول الله (ﷺ) هذا الحبل فقال (ﷺ): (وإني مخلف فيكم الثقلين: الثقل الأكبر القرآن والثقل الأصغر عترتي أهل بيتي هما حبل الله ممدود بينكم وبين الله عز وجل ما إن تمسكتم به لم تضلوا، سبب منه بيد الله وسبب بأيديكم... الحديث) (١).

### ما تمسك بالقرآن من أعرض عن العترة الطاهرة:

ولكن الأمة تركت كتاب الله وابتعدت عنه منذ أن أقصت العترة الطاهرة عن مكانها الذي اختارهم الله سبحانه له لعدم إمكان الفصل بينهما معرضين عن قوله تعالى: [وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ] (القصص: ٦٨).

(١) بحار الأنوار: ١٠٢/٩٢.

ومن خطل القول وتسويلات الشيطان ونزغات النفس الأمارة بالسوء أن يقول قائل (حسبنا كتاب الله) التي لا يزال يكررها وينفثها الشيطان على لسان من يريد أن يقوض بناء الإسلام من أسسه بما فيها القرآن الذي يدعي أنه حسبه لأنه يعلم أن القرآن إنما يكتسب فاعليته ويؤدي دوره بالقائم به الواعي لأحكامه ومفاهيمه وهم العترة.

وهذه الفتنة -الفصل بين القرآن والناطق به - قديمة وممن ابتلي بها أمير المؤمنين حينما أجبر على التحكيم وعلى أن يجعل القرآن حكماً، قال (عليه السلام): (هذا القرآن إنما هو خط مستور بين الدفتين لا ينطق بلسان ولا بد له من ترجمان وإنما ينطق عنه الرجال)<sup>(١)</sup> فالكتاب والعترة صنوان لا يفترقان ولا يمكن التمسك بأحدهما دون الآخر فإن أهل البيت (عليهم السلام) هم باب الله الذي لا يؤتى إلا منه وقد أمرنا بإتيان البيوت من أبوابها.

فما يزعمه غيرنا من اهتمامه بالقرآن أكثر منا باطل جزماً، نعم، اهتموا بمخارج حروفه وتحسين الصوت إلى حد الغناء بقراءته وضبط قواعد التجويد التي وضعوها هم وبعضها مخالف للحكم الشرعي، وهذه كلها اهتمامات قشرية والمهم هو استيعاب المحتوى والمضمون والعمل به فإن اللفظ هو قشر والمعنى هو اللب والمتكلم لا يلحظ اللفظ بنفسه بل يتخذه وعاءاً للمعنى وآلة لإيصاله إلى المخاطب والمعنى هو المراد الحقيقي للمتكلم.

(١) نهج البلاغة: الخطبة ١٢٥.

وقد وردت أحاديث كثيرة في ذم المتشدين بألفاظ القرآن وحروفه المضيعين لمعاني القرآن وحدوده ففي الحديث المشهور (كم من قارئ للقرآن والقرآن يلعنه)<sup>(١)</sup> وهو خصمه لأنه غير عامل بما فيه وفي حديث عن أبي جعفر (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قال: (قراء القرآن ثلاثة: رجل قرأ القرآن فاتخذه بضاعة واستدر به الملوكة واستطال به على الناس فذاك من أهل النار، ورجل قرأ القرآن فحفظ حروفه وضع حدوده فذاك من أهل النار، ورجل قرأ القرآن فوضع دواء القرآن على داء قلبه فأسهر به ليله وأظمأ به نهاره وقام به في مساجده وتجافى به عن فرشه فأولئك يدفع الله العزيز الجبار البلاء، وبأولئك يديل الله من الأعداء-أي ينصرهم على الأعداء- وبأولئك ينزل الله الغيث من السماء فوالله هؤلاء قراء القرآن أعز من الكبريت الأحمر)<sup>(٢)</sup>. وفي حديث عن الإمام الحسن (عَلَيْهِ السَّلَامُ): (وإن أحق الناس بالقرآن من عمل به وإن لم يحفظه وأبعدهم منه من لم يعمل به وإن كان يقرأه)<sup>(٣)</sup>.

### لكي يفرغوا مضمون القرآن:

فيبدو من هذا أن خطة الفصل بين الكتاب والعتره وبالتالي تفرغ الكتاب من محتواه ومضمونه والتشجيع على الاهتمام بألفاظه فقط قديمة، وقد نبه إليها المعصومون (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) فأبي اهتمام بالقرآن وهو يقرأ قوله تعالى: [وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ

(١) مستدرک الوسائل: کتاب الصلاة، أبواب قراءة القرآن، باب ٧، حدیث ٧.

(٢) الخصال: ١٤٢.

(٣) إرشاد القلوب: ٧٩.

وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ [القصص: ٦٨] ثم يعرضون عمن اختارهم الله تبارك وتعالى ويقدمون غيرهم وقد جعل الله تعالى هذا الأمر كله في كفة ورسالة الإسلام كلها في كفة أخرى [يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ] (المائدة: ٦٧).

وأي اتباع للقرآن الذي يقول برفيع صوته [قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى] (الشورى: ٢٣) وهم ينصبون العداة لأهل بيت النبوة ويتبعونهم تحت كل حجر ومدبر ولو كان لهم أدنى فهم لكتاب الله لضموا هذه الآية إلى قوله تعالى [قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا] (الفرقان: ٥٧) ليحصلوا على حقيقة أن أهل البيت هم السبيل الذي أمر الله تعالى باتباعه بقوله [وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ] (الأنعام: ١٥٣) وبه فسر الإمام الباقر (عَلَيْهِ السَّلَامُ) الآية فقال (عَلَيْهِ السَّلَامُ): (نحن السبيل فمن أبى هذه السبيل فقد كفر)<sup>(١)</sup>.

### كلمة حق يراد بها باطل:

ولا أقول أن كلمة (حسبنا كتاب الله) والأبواق التابعة لها التي ترددها إلى الآن وتطلب الدليل من القرآن فقط على أي شيء يقال لهم هي كلمة حق يراد بها باطل بل هي كلمة باطل يراد بها باطل وهؤلاء إنما يريدون بذلك هدم أسس الإسلام لأن الاكتفاء بالقرآن - كما يزعمون - يعني استغناءهم حتى عن رسول

(١) بحار الأنوار: ١٣/٢٤، باب: أنهم عَلَيْهِ السَّلَامُ السبيل والصرط وهم وشيعتهم.

الله (ﷺ) وهو يعني الجهل بكل تفصيلات الشريعة، فإن رسول الله (ﷺ) والأئمة المعصومين من آله هم القائمون على أمر الكتاب والمبينون لأحكامه. وهذه العلوم كلها بين يديك هل تستطيع أن تكون طبيباً أو مهندساً من دون أخذه على يد المتخصصين العارفين بأسراره وفك رموزه؟ فكيف بالقرآن الذي هو: [تَبَيَّنَّا لَكُلِّ شَيْءٍ] [النحل: ٨٩] و[مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ] [الأنعام: ٣٨] وفيه صلاح البشرية جميعاً ولكل الأزمنة [مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ] [الصفات: ١٥٤] وقد نبه رسول الله (ﷺ) إلى هذا الخطر بقوله: (لا ألفين أحدكم متكئاً على أريكته يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول: لا ندرى ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه)<sup>(١)</sup>.

### التخطيط لقتل الإسلام:

ولكن أعداء الله سبحانه وأتباع الشيطان علموا أن القرآن هو حصن هذه الأمة الحامي لها من الزيغ والانحراف، وأن أهل البيت (عليهم السلام) هم بيانه وترجمانه والعارفون بحقائقه وحبل الوصل بينه وبين الأمة فخططوا لإبعادهم عن الأمة فبقيت الأمة بلا راع والحصن بلا حام، وأصبحت فريسة سهلة بيد الأعداء والمتربصين بها السوء، وها أنت تراها تتزعزع لأبسط شبهة وتسقط في أول فتنة وتنهار بأول اختبار (وهذه أعظم ثلثة اثلم بها علم القرآن وطريق التفكير والتفكير الذي يندب إليه، ومن الشاهد على هذا الإعراض قلة الأحاديث المنقولة عنهم

(١) الميزان في تفسير القرآن: ج ٣ في البحث الروائي للآيات ٢٨-٣٢ من سورة آل عمران، نقله عن أحمد وأبي داود والترمذي وابن ماجه وابن حبان وغيرهم من رواة العامة.

(عليه السلام) فإنك إذا تأملت ما عليه علم الحديث في عهد الخلفاء من المكانة والكرامة وما كان عليه الناس من الولع والحرص الشديد على أخذه ثم أحصيت ما نقل في ذلك عن علي والحسن والحسين وخاصة ما نقل من ذلك في تفسير القرآن لرأيت عجباً: أما الصحابة فلم ينقلوا عن علي (عليه السلام) شيئاً يذكر وأما التابعون فلا يبلغ ما نقلوه عنه (عليه السلام) - إن أحصي - مائة رواية في تمام القرآن، وأما الحسن (عليه السلام) ففعل المنقول عنه لا يبلغ عشراً، وأما الحسين (عليه السلام) فلم ينقل عنه شيء يذكر، وقد أنهى بعضهم الروايات الواردة في التفسير إلى سبعة عشر ألف (ذكره السيوطي في الإتقان) حديث من طريق الجمهور وحده، وهذه النسبة موجودة في روايات الفقه أيضاً<sup>(١)</sup>.

### الخسارة الجسيمة:

فماذا كانت خسارة القرآن بإبعاد أهل البيت (عليهم السلام) عن ممارسة دورهم الذي اختارهم الله تبارك وتعالى له:

١- غياب الكثير من العلوم الحقيقية التي لا يفهمها من الكتاب إلا هم

(عليهم السلام).

٢- تراجع القرآن عن ممارسة دوره في إصلاح النفس والمجتمع لأنه

والعترة صنوان لا يفترقان ولا يستطيع أن يكون فاعلاً في حياة

الأمّة إلا بأيديهم.

(١) الميزان في تفسير القرآن: ج ٥/ بحث تاريخي في ذيل الآيات ١٥-١٩ من سورة المائدة.

٣- وقوع القرآن فريسة بأيدي المتلاعبين وأصحاب الأهواء والأغراض الشخصية بل والأعداء أيضاً، فترى كلاً منهم يجد دليلاً على معتقده في كتاب الله حتى الخوارج كانوا يستدلون بالقرآن كما حصل بعد التحكيم بينهم وبين ابن عباس فهناه علي (عليه السلام) عن الاحتجاج بالقرآن لأنه (حمال ذو وجوه)<sup>(١)</sup> وراحت معانيه الحقيقية ضحية التأويلات التي حذر القرآن من اتباعها: [فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ]، لكن الجواب واضح وأعطاه القرآن مقدماً: [وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ] [آل عمران: ٧]، وأوضح مصاديق الراسخين في العلم هم أهل البيت (عليهم السلام).

٤- تشتت الأمة وضياعها وتمزيقها لأن عصمتها ومحور تجمعها القرآن وأهل البيت بحسب تفسير رسول الله (صلى الله عليه وآله) لقوله تعالى: [وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا] [آل عمران: ١٠٣]، فقال (صلى الله عليه وآله): إنهم الكتاب والعتره، وقد عبرت الزهراء (عليها السلام) عن هذه العصمة في خطبتها في مسجد رسول الله (صلى الله عليه وآله): (وجعل إمامتنا نظاماً للملة)<sup>(٢)</sup> أي بها تنتظم أمورهم وتستقر، فكانت نتيجة ابتعادهم عن أهل البيت فناءهم بيد المتسلطين وعبداء الأهواء الذين استغلوا نفس هذا القرآن ليهلكوا الحرث والنسل وكان من (وعاظ السلاطين) والسائرين في ركابهم من يبرر لهم هذه الأفعال المنكرة، كقوله تعالى: [أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا

(١) بحار الأنوار: ٢٤٥/٢.

(٢) كشف الغمة: ١١٠/٢.

الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ] (النساء: ٥٩)، فجعلوا أولئك الكفرة الفسقة أولياء لأموار المسلمين.

### الوصية بحفظ القرآن

فلا تغرنكم دعوى هؤلاء بأنهم ملتزمون بالقرآن أكثر منا<sup>(١)</sup> واحفظوا القرآن لأنه أهل للحفظ والعمل به وكونوا كما أوصاكم أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قبيل استشهاده: (الله الله بالقرآن لا يسبقكم إلى العمل به غيركم)<sup>(٢)</sup>، وفي وصية النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) حديثاً قال (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ): (وأن تكثروا من قراءة القرآن وتعمل بما فيه)<sup>(٣)</sup>.

### القرآن طريق الوصول إلى المعرفة:

فمن أراد الله سبحانه وطلب الوصول إليه لأن أول الدين معرفته تبارك وتعالى فعليه بالقرآن (لقد تجلى الله لخلقه في كلامه، ولكن لا يبصرون)<sup>(٤)</sup>، كما هو مروى عن الإمام الصادق (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ومن أراد إصلاح نفسه وتهذيبها وتخليصها من أمراضها فعليه بالقرآن، ومن أراد إصلاح مجتمعه وإقامة أمره على السلام

(١) وقد أكدت على هذه النقطة لانخداع كثير من السذج بهذه الدعوى وراحوا يصدقونهم بعدم الإيمان بشيء إلا إذا وجد دليل عليه من القرآن وإسقاط الاستدلال بالسنة من الحساب.

(٢) بحار الأنوار: ٢٥٦/٤٢.

(٣) الخصال: أبواب الأربعين، حديث ١٩.

(٤) عوالي اللآلي: ١١٦/٤.

والسعادة والطمأنينة فعليه بالقرآن فإنه الدليل لكل هدى والمرشد لكل خير  
وصلاح.

ومن العجب أنك حين يعطل جهاز تذهب إلى الجهة المصنعة له لكي  
تصلحه فإن صانع الشيء خبير به، وإذا مرضت -لا سمح الله - فتذهب إلى  
الطبيب المختص لكي يعالج المرض، ثم عندما تريد أن تصلح النفس الإنسانية  
ذات الأسرار الغامضة الخافية عن صاحبها فضلاً عن غيره، أو أن تضع نظاماً يكفل  
للبشرية سعادتها وإصلاحها تلتمس العلاج عند نفس البشر الناقصين العاجزين  
القاصرين. ولا تذهب إلى صانع هذا الإنسان وخالقه ومصوره والعارف بالنفس  
البشرية.

وقد صدقت ذلك -أي فاعلية القرآن في إصلاح النفس والمجتمع -  
التجربة العظيمة لرسول الله (ﷺ) فإن مقارنة بسيطة بين مجتمع ما قبل الإسلام  
وما بعده والنقلة الضخمة التي حصلت للأمة من أناس همج جهلة متشتتين قد  
تفشت بينهم الرذائل يتفاخرون بالمنكرات والقبائح إلى أمة متحضرة كريمة  
الأخلاق ذات نظام لم ولن تعرف البشرية البعيدة عن الله سبحانه مثله وبفترة  
قصيرة وكل ذلك ببركة هذا الكتاب الكريم وحامله العظيم.

### حاجتنا إلى إعادة القرآن إلى الحياة:

فنحن إذن بحاجة إلى إعادة فاعلية القرآن في حياة المسلمين وإخراجه من  
عزلته بحيث اقتصر وجوده على المآتم التي تعقد للموتى والعود والأحراز .

وقد ورد في بعض الكلمات (إن آخر هذه الأمة لا ينصلح إلا بما صلح به أولها)، وقد صلح أولها بالقرآن فإذا أرادت الأمة أن تستعيد عافيتها وتعود إلى رشدها فعليها بالقرآن، عن المقداد (رضوان الله عليه) عن رسول الله (ﷺ) أنه قال في حديث: (إذا التبت عليكم الفتن كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن فإنه شافع مشفع وماحل مصدق ومن جعله أمامه قاده إلى الجنة ومن جعله خلفه ساقه إلى النار وهو الدليل يدل على خير سبيل)<sup>(١)</sup>، وقال أمير المؤمنين (عليه السلام) في بعض خطبه: (واعلموا أن هذا القرآن هو الناصح الذي لا يغش والهادي الذي لا يضل، والمحدث الذي لا يكذب، وما جالس هذا القرآن أحد إلا قام عنه بزيادة أو نقصان: زيادة في هدى ونقصان من عمى، واعلموا أنه ليس على أحد بعد القرآن من فاقة ولا لأحد قبل القرآن من غنى فاستشفعوه من أدوائكم واستعينوا به على لأواءكم فإن فيه شفاءً من أكبر الداء وهو الكفر والنفاق والغى والضلال فاسألوا الله عز وجل به وتوجهوا إليه بحبه ولا تسألوا به خلقه إنه ما توجه العباد إلى الله بمثله، واعلموا أنه شافع مشفع وماحل ومصدق وأنه من شفع له القرآن يوم القيامة صدق عليه فإنه ينادي مناد يوم القيامة: (ألا إن كل حارث مبتلى في حرثه وعاقبة عمله غير حرثة القرآن)، فكونوا من حرثته وأتباعه واستدلوه على ربكم واستنصحوه على أنفسكم واتهموا عليه آراءكم واستغشوا فيه أهواءكم)<sup>(٢)</sup>.

(١) الكافي: ٢٩٩/٢.

(٢) نهج البلاغة، شرح محمد عبده: ١ / ٣٤٧. الخطبة (١٧٧) وأولها: (انتفعوا ببيان الله واتعظوا بمواعظ الله).

## اهتمام النبي وأهل بيته (صلوات الله عليهم أجمعين) بالقرآن:

ولقد بلغ اهتمام أهل البيت (عليهم السلام) بالقرآن أقصاه حتى قال الإمام السجاد (عليه السلام): (لومات من بين المشرق والمغرب لما استوحشت بعد أن يكون القرآن معي)<sup>(١)</sup>.

لقد أمر رسول الله (ﷺ) بتلاوة القرآن: [وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً] (المزمل: ٤) وأمره تبارك وتعالى بالاستعداد لتحمله بالالتزام بنافلة الليل فقال تعالى: [إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا، إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا] (المزمل: ٥-٦) ولم يكتب رسول الله (ﷺ) بتلاوته بل كان يطلب من عبد الله بن مسعود أن يقرأ القرآن عليه فيعتمر إليه (ﷺ) ويقول له: (إنه نزل عليك يا رسول الله وتريد أن تسمعه مني. فيقول (ﷺ): أحب أن أسمعه منك. فيقرأ عبد الله وعينا رسول الله (ﷺ) تفيض من الدمع). يريد بذلك أن يتمتع جميع جوارحه بالقرآن عينه وأذنه وقلبه ولسانه وهو يعلم أن لكل جارحة طريقته في اكتساب المعرفة فأراد - وهو أكمل الخلق - أن تتكامل لديه كل أسبابها، وقد ورد حديث معناه أن من فقد حساً - أي أحد حواسه الخمس - فقد فقد علماً، فيريد أن يستفيد من معارف القرآن عن طريق جميع جوارحه، لذا ورد استحباب أن يقرأ القرآن بصوت مسموع. هذا غير ما ورد في فضل وثواب الإنصات إلى القرآن والنظر في المصحف وإن كان يحفظ ما يقرأ حتى لو كان في الصلاة، مما سيأتي إن شاء الله تعالى في مجموعة الأحاديث الشريفة.

(١) الكافي: ٦٠٢/٢.

وكان (ﷺ) يتفاعل مع القرآن، قرأ (ﷺ) سورة الرحمن على المسلمين وهم منصتون له فقال (ﷺ): لقد قرأتها على الجن فكانوا أحسن استماعاً منكم، قالوا وكيف يا رسول الله؟ قال (ﷺ): كانوا كلما قرأت: [فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ] يقولون هم: لا بشيء من آلائك ربنا نكذب، وإذا قرأ قوله تعالى: [أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ] يقول (ﷺ): بلى سبحانك اللهم، لأنه كان يسمع من الله تبارك وتعالى مباشرة من خلال السطور. وسيأتي أن الإمام الكاظم (عَلَيْهِ السَّلَام) كان يقرأ وكأنه يخاطب إنساناً، قرأ رسول الله (ﷺ) سورة الزمر على شاب نقي القلب طاهر السريرة فلما وصل إلى قوله تعالى: [وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا] (الزمر: ٧١) وقوله تعالى: [وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَىٰ الْجَنَّةِ زُمَرًا] (الزمر: ٧٣) شهق ذلك الشاب شهقة كانت فيها نفسه، وقرأ (ﷺ) سورة هل أتى على الإنسان حين من الدهر وقد أنزلت عليه وعنده رجل أسود فلما بلغ صفة الجنان زفر زفرة فخرجت نفسه فقال رسول الله (ﷺ): أخرج نفس صاحبكم الشوق إلى الجنة، فهؤلاء ممن وصفتهم الآية الشريفة: [الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُوْلَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ] (البقرة: ١٢١).

### دواعي الاهتمام بالقرآن:

وقد ظهر مما سبق أكثر من محفز للاهتمام بالقرآن الكريم ألخصها مع نقاط جديدة غير ما سمعته إن شاء الله تعالى في الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة:

- ١- إنه العلاج الناجح والكمال لأمراض البشر النفسية والاجتماعية والروحية بل والجسدية أيضاً، كما سيأتي في بعض الأحاديث الشريفة.
- ٢- عدم استغناء طالب الكمال والسعادة الأبدية - وهو الهدف الأسمى وغاية الغايات - في الدنيا والآخرة عنه والاهتداء بهديه والأخذ بسبيله، ويزداد سمو الإنسان وتكامله كلما ازدادت استفادته من القرآن.
- ٣- إن في الاهتمام به تأسياً برسول الله (ﷺ) وبأهل بيته الكرام وقد أمرنا بذلك في قوله تعالى: [لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا] (الأحزاب: ٢١).
- ٤- إن القرآن هو رسالة الحبيب المطلق والإنسان لا يمل من إعادة قراءة رسالة حبيبه وملء النظر منها والتدبر في معانيها والله تبارك وتعالى هو المحبوب الحقيقي لاجتماع أسباب المحبة فيه، فإن الحب إما أن يكون لكمال المحبوب وحسنه وقد اجتمعت صفات الكمال والأسماء الحسنى فيه تبارك وتعالى، أو يكون لأجل صدور الفضل والإحسان منه، والله هو المنعم المتفضل المنان ابتداءً من غير استحقاق وحتى للعاصين من عباده [وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا] (النحل: ١٨)، وهكذا. وبهذا المعنى ورد في الحديث عن الصادق (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قال: (القرآن عهد الله إلى خلقه فقد ينبغي للمرء المسلم أن ينظر في عهده وان يقرأ منه كل يوم خمسين آية)<sup>(١)</sup>.

٥- الثواب العظيم والأجر الجزيل الذي لا حدود له الذي يعطي

لقارئ القرآن والمتدبر في آياته مما سنقرأه إن شاء الله تعالى في الأحاديث الشريفة.

٦- إن القرآن لما كان كتاباً حياً خالداً لكل زمان ومكان فإن المواقف

التي عالجها والمشاكل التي واجهها لا تختص بزمان دون زمان، فيستفاد من القرآن إذن الحلول الدائمة المستمرة للمواقف المتجددة، وسنعرض الكثير منها في طي البحث كفكرة المقارنة بين الجاهليتين الأولى والحديثة، وفي هذا المعنى ما ورد عن الحارث الأعور قال: (دخلت المسجد فإذا أناس يخوضون في أحاديث فدخلت على علي فقلت: ألا ترى أن أناساً يخوضون في الأحاديث في المسجد؟ فقال: قد فعلوها؟ قلت: نعم، قال: أما إنني قد سمعت رسول الله ﷺ يقول: ستكون فتن، قلت: وما المخرج منها؟ قال: كتاب الله، كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم. هو الفصل ليس بالهزل، هو الذي من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، فهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم..<sup>(١)</sup>.

٧- تعلّم المعارف والعلوم وأسرارها المودعة فيه، بحيث أن مثل أمير

المؤمنين (عليه السلام) الذي يصف علمه عبد الله بن عباس حبر الأمة وترجمان القرآن بأنه: ما علمي وعلم جميع أصحاب رسول الله (ﷺ) في علم علي (عليه السلام) إلا كقطرة في بحر، أقول مثل علي (عليه السلام) في علمه (قيل له: هل عندكم شيء من

(١) سنن الدارمي: ٤٣٥/٢، كتاب فضائل القرآن، ومثله في كتب الخاصة.

الوحي؟ قال: لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إلا أن يعطي الله عبداً فهماً في كتابه<sup>(١)</sup>.

ففي هذا الكتاب من العقائد الحقة والأخلاق الفاضلة والتشريعات الحكيمة ونكات البلاغة وحسن البيان ما يلبي كل حاجة، وفيه أسرار الخلق وعجائب المخلوقات داخل جسم الإنسان وفي الكون والطبيعة، وفيه ما لم تتوصل إليه عقول المكشفين. ولا يعني هذا أن القرآن كتاب فيزياء أو كيمياء أو فلك أو طب حتى تنعكس عليه أخطاؤها ونقائصها، وإنما هو كتاب هداية وإصلاح يوظف كل الأدوات لتحقيق غرضه، وهذه العلوم كلها تصب في هذا الهدف ويأخذ منها مقدار ما يحقق غرضه.

٨- براءة الذمة من شكوى القرآن إذا هجر، كما في الحديث الشريف المتقدم (ثلاثة يشكون . . .) وشكوى القرآن لا ترد عند الله تبارك وتعالى، كما في الحديث الشريف في وصفه أنه: (ما حلُّ مصدِّق) أي أنه خصم مصدق ويعطى الحق له ويدعم هذه الدعوى شكوى رسول الله (ﷺ) المذكورة في القرآن: [وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا] (الفرقان: ٣٠).

٩- الفوز بشفاعته القرآن، فقد وصفه الحديث بأنه: (شافع مشفع) وفي صفه شفاعته يقول الحديث: (وكان القرآن حجيلاً عنه - أي حاجزاً وساتراً عن قارئ القرآن - يوم القيامة، يقول: يا رب إن كل عامل أصاب أجر عمله غير عاملي فبلغ به أكرم عطائك، قال: فيكسوه الله العزيز الجبار حلتين من حلل الجنة

(١) ذكره في الميزان عن بعض المصادر: ج ٣، في تفسير الآيات ٧-٩ من آل عمران.

ويوضع على رأسه تاج الكرامة ثم يقال له: هل أرضيناك فيه؟ فيقول القرآن: يا رب قد كنت أرغب له فيما هو أفضل من هذين قال: فَيُعْطَى الْأَمْنَ بِيَمِينِهِ وَالْخُلْدَ بيساره ثم يدخل الجنة فيقال له: اقرأ آية فاصعد درجة ثم يقال له هل بلغنا به وأرضيناك؟ فيقول: نعم<sup>(١)</sup>.

وغير هذه الفوائد كثير، وأنت ترى أن بعضها لا يختص بالمسلمين، لذا تجد إقبال المفكرين والعلماء والقادة على الأخذ من هذا القرآن وإن لم يكونوا مسلمين.

وإلى هنا يكون ما ذكرت من المحفزات كافياً لأن يثير الإنسان ويحركه ويدفعه نحو احتضان هذا الكتاب الكريم المعطاء والاهتمام به حتى يخالط لحمه ودمه، وإني هنا أُلزم<sup>(٢)</sup> كل من يرى لي حقاً عليه سواء كان أخلاقياً أو شرعياً أن يختم القرآن على الأقل في السنة مرتين. وهذا مقدار يسير جداً إذا أخذنا بنظر الاعتبار أن شهر رمضان وحده يمكن أن يُقرأ فيه نصف هذا المقدار أو أكثر.

وأهم مما ذكرت من المحفزات ما ورد في الأحاديث الشريفة التي اخترت لك منها مجموعة تتجاوز الأربعين حديثاً جريماً على سنة السلف الصالح الذين ألقوا الكثير من كتب (الأربعون حديثاً) في شتى حقول المعرفة عسى أن يكونوا وأكون معهم من أهل هذا الحديث الشريف، قال رسول الله (ﷺ): (من حفظ

(١) الكافي: ٦٠٤/٢.

(٢) شكّل هذا الإلزام حافزاً قوياً لدى الكثيرين للعمل به، جزاهم الله خير جزاء المحسنين.

عني من أمتي أربعين حديثاً في أمر دينه يريد به وجه الله عز وجل والدار الآخرة بعثه الله يوم القيامة فقيها عالماً<sup>(١)</sup>.

### القرآن يصف نفسه:

ولكن الأهم من ذلك أن أتلو عليكم بعض الآيات التي وصف بها القرآن الكريم نفسه لتعرف عليه، فإنه أعرف بذلك وهو كلام خير القائلين. ومن هذه الآيات تعرف جلاله قدر هذا الكتاب وعظمة آثاره وبركاته:

- ١- [ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ] (آل عمران: ١٣٨).
- ٢- [ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ ] (النساء: ١٠٥).
- ٣- [ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا، فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ] (النساء: ١٧٤-١٧٥).
- ٤- [ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ، يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ] (المائدة: ١٥-١٦).
- ٥- [ وَكُلُوا مِنْهُمُ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْهِمْ مِّن رَّبِّهِمْ لِأَكْلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ ] (المائدة: ٦٦).
- ٦- [ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ مِّن رَّبِّكُمْ ] (المائدة: ٦٨).

(١) الخصال: ٥٤٢/٢ باب (الأربعون).

- ٧- [مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ] (الأنعام: ٣٨).
- ٨- [وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ] (الأنعام: ٩٢).
- ٩- [وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ] (الأعراف: ٢٠٤).
- ١٠- [يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَ تَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ] (يونس: ٥٧).
- ١١- [إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمٌ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ] (الإسراء: ٩).
- ١٢- [اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعْرُقُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلْ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ] (الزمر: ٢٣).
- ١٣- [وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ، لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ] (فصلت: ٤١ - ٤٢).
- ١٤- [اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ] (الشورى: ١٧).
- ١٥- [وَإِنَّهُ فِي أُمَّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ] (الزخرف: ٤).
- ١٦- [وَمَنْ يَعْسُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نَقِيضٌ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ] (الزخرف: ٣٦).
- ١٧- [فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ، وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ] (الزخرف: ٤٣-٤٤).

- ١٨- [هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ] (الجاثية: ٢٠).
- ١٩- [أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا] (محمد: ٢٤).
- ٢٠- [ق وَالْقُرْآنَ الْمَجِيدِ] (ق: ١).
- ٢١- [وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَكِّرٍ] (القمر: ٤٠).
- ٢٢- [إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ، فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ، لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ] (الواقعة: ٧٧-٧٩).
- ٢٣- [أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ] (الحديد: ١٦).
- ٢٤- [لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ] (الحشر: ٢١).
- ٢٥- [وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا، إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا] (المزمل: ٤ - ٥).
- ٢٦- [بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ، فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ] (البروج: ٢١ - ٢٢).
- ٢٧- [إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ، وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ] (الطارق: ١٣ - ١٤).
- ٢٨- [الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا، قِيمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ] (الكهف: ١ - ٢).
- ٢٩- [وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ] (النحل: ٨٩).

٣٠- [وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

أَعْمَى] (طه: ١٢٤).

هذا بعض ما يتصف به القرآن من صفات وآثار حسنة فهو كتاب مبارك عزيز كريم مجيد وهو بيان وهدى وموعظة ورحمة وشفاء وذكر ونور نزل بالحق ليحكم بين الناس ويدخل المؤمنين في رحمة الله وفضله ويهديهم صراطاً مستقيماً وهو عليّ حكيم وبصائر للناس وقول ثقيل وفصل وما هو بالهزل، لذا فهو - أي حقائقه التي جُعِلت هذه الألفاظ وعاءاً لها وهي كالأمثلة لتقريب تلك الحقائق والمعاني العميقة إلى الأذهان - في كتاب مكنون ولوح محفوظ لا يمسه ولا يصل إلى فهم حقائقه الواقعية بشكل كامل إلا المطهرون من الذنوب والمعاصي والآثام وانجلت مرآة قلوبهم عن كل دنس فصارت تعكس بشكل كامل صفحة اللوح المحفوظ، أما غيرهم فليسوا جديرين بحمله إلا بمقدار ما أتوا من الكمال [أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا] (الرعد: ١٢٤).

أمر الناس بتدبره وترتيبه والتمسك به والإنصات له ولو كان من غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً، فإن أقاموه وتمسكوا به أكلوا من فوق رؤوسهم ومن تحت أرجلهم وخشعت قلوبهم ولانت، وكانوا أهلاً للفيوضات الإلهية وإن أعرضوا عنه أصبحوا في عيشة ضنكى واعتورتهم الشياطين حتى تصبح قرناء لهم وقست قلوبهم فهي كالحجارة أو أشد قسوة فإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يهبط من خشية الله وهذه القلوب البعيدة عن القرآن وذكر الله

سبحانه صمّ جامدة لا تجري فيها ولا قطرة من أنهار المعرفة [وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ] (الحشر: ٢١).

### شرح لبعض أوصاف القرآن:

ولكن هذا الشرح الإجمالي لصفات القرآن غير كافي، لذا أرى من الضروري تقديم شرح أكثر تفصيلاً لبعض هذه الصفات مما لها آثار اجتماعية أو أخلاقية تاركاً البعض الآخر إلى التفاسير المطولة في موارد الآيات التي ذكرتها، وإنما اذكر هذه الأوصاف ليس فقط للتعرف على القرآن بل للتعرف على أهل البيت (عليهم السلام) لأنهم عدل الكتاب وهما صنوان لا يفترقان فإذا كان القرآن ينطق بالحق فإنهم مع الحق والحق معهم وهو لا يأتيه الباطل وهم معصومون وإذا كان الكتاب قيماً ومهيماً، فلهم (صلوات الله عليهم أجمعين) قيمومة وسلطنة على الناس وهم أئمتهم وقادتهم وأولى بهم من أنفسهم، وهكذا:

### مبارك:

أي كثير البركة وهو كذلك من عدة جهات فهو مبارك في محل صدوره لأنه نازل من الله تبارك وتعالى المتفضل المنان مفيض النعم التي لا حصر لها ولا عد، ومبارك في محل نزوله وهو قلب رسول الله (صلى الله عليه وآله) الرحيم الكريم الذي أرسل رحمة للعالمين، ومبارك في آثاره ففيه الهداية والخير والسعادة في الدنيا والآخرة وفيه نظام حياة البشرية وقوامها وحفظ كيائها وفيه السلام والطمأنينة، ومبارك في حجمه فهو كتاب واحد إلا أن جميع أرباب العلوم والمعرفة يغترفون منه وهو معين لا ينضب فتجد الأصولي والفقهاء والنحوي والأديب والمفكر

والسياسي والاجتماعي والاقتصادي والطبيب والمشرع والحاكم يأخذون منه ويستدلون بآياته ومع ذلك يبقى خالداً معطاءً وهذا دليل نزوله من الله فإن هذا كله مما لا يمكن لكتب عديدة أن تضمه وتحويه، وهو مبارك بعدد الذين اهتموا على يديه وتنورت قلوبهم وعقولهم ببركته.

### عزيز:

أي يصعب مناله فإنه في كتاب مكنون وحقائقه العليا محفوظة في اللوح المحفوظ وما هذه الكلمات إلا أمثال لتقريب تلك المعاني إلى أذهان البشر المستأنسة بالماديات والتي لا تسمو لتنال تلك الحقائق، نعم، يمسه ويصل إليها ويعيها المطهرون الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً وهم آل محمد (صلى الله عليه وآله) وقد سمعت أمير المؤمنين (عليه السلام) يقول: إننا لا نملك علماً أكثر من فهم لهذا الكتاب، وهو عزيز بمعنى يندر وجود مثله وهو كذلك لأنه كلام من ليس كمثلته شيء، وهو عزيز أي ممتنع عن أن ينال بسوء، فيكون بمعنى الآية الشريفة: [إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ] (الحجر: ٩)، وهو عزيز بمعنى أنه قاهر وغالب ومتسلط لأنه كلمة الله وكلمة الله هي العليا فهو يعلو ولا يعلى عليه وموقعه دائماً التسلط والحاكمية على العباد والتصرف في شؤونهم، وهو عزيز بمعنى مطلوب كما قيل كل موجود مملول وكل مفقود مطلوب، وهذا الكتاب مطلوب لكل من أراد الوصول إلى الله تبارك وتعالى.

**مجيد:**

قال الراغب في المفردات: المجد: السعة في الكرم والجلال وأصله في قولهم (مَجَدَتْ الإبل) إذا حصلت في مرعى كثير واسع فوصف القرآن بالمجيد لكثرة ما يتضمن من المكارم الدنيوية والأخروية وعلى هذا وصفه بالكريم بقوله تعالى: [إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ] ( الواقعة: ٧٧).

لسعة فيضه وكثرة جوده، وقد أشرنا في شرح صفة (مبارك) إلى هذه الآثار

الواسعة.

**قيما:**

من القيمومة، فهذا الكتاب قيّم على العباد ليسوقهم ويقودهم ويدلّهم على ما يصلحهم ويهيئ لهم كل أسباب السعادة في الدنيا والآخرة كما يفعل القيم على الأسرة أو على المجتمع، ومنهج القرآن قيّم على جميع المناهج الأخرى سواء على مستوى العقائد أو التشريعات وهو مقدم عليها وقائد لها وهي تابعة وخاضعة ومحكومة له، فالقيمومة العليا في هذه الحياة للقرآن إن أرادت البشرية خيرها وسعادتها لا ما فعلته بالابتعاد عن منهج القرآن وتحكيم عقول البشر القاصرة الخاضعة غالبا لمنطق الأهواء والمصالح وقد مهدت الآية لهذه القيمومة بأن وصفته أنه لا عوج فيه ولا نقص ولا خلل ولا قصور، فقال تعالى: [وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا] (الكهف: ١). فمن شروط القيمومة على البشر من يريد تكميل غيره أن يكون كاملاً في نفسه فإن فاقد الشيء لا يعطيه كما قالوا، ومن ضرورة القيمومة على البشر أن يتصدى لها من لا نقص فيه ولا خلل ولا قصور ولم يتحقق ذلك إلا

في هذا الكتاب الكريم وعدله الثقل الأصغر أهل بيت النبوة وكل ما سواهم لاحق له في إمامة المجتمع والقيومة عليه، وفي هذا المعنى أحاديث كثيرة أوجبت تقديم الكتاب والعترة.

[وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً] (طه: ١٢٤)، أي ضيقة وهذه صفة كل من يعرض عن ذكر الله تبارك وتعالى ويكون مقطوع الصلة به سبحانه ويعيش بعيداً عن القرآن الكريم فإنه يكون في ضيق وتعاسة وألم لأنه انسلخ من رحمة الله الواسعة ووقع فريسة الأهواء والمطامع والشهوات التي لا تقف عند حد فهو في رعب خشية الموت فيخسر الدنيا التي هي همه وما له في الآخرة من نصيب، ويعيش الحرص على ما في يده خشية الفوت، ويعيش التعب لأنه يلهث وراء سراب، فما يحقق شيئاً يظن أن فيه سعادته حتى يكتشف أنه متوهم فيسعى إلى غيره، فمثلاً يظن أن سعادته في المال حتى جمع المليارات فما تحققت سعادته، فيظن أنها في الدور الفارحة فيبني منها ما لا عين رأت فلا تحقق سعادته، فيظن أنها في النساء فيستمتع بما شاء منهن ثم يجد نفسه قد وصل إلى طريق مسدود فينطبق عليه قوله تعالى: [فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي]، والقمر كناية عن المال فظن أنه ربه وكافل سعادته [فَلَمَّا أَفْلَ] وفشل في تحقيقها له [قَالَ لَا أَحِبُّ الْآفِلِينَ]، [فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً]، وهي كناية عن أمور دنيوية أخرى [قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ] وهذا الذي يحقق لي السعادة وطمأنينة القلب لأنه [هَذَا أَكْبَرُ].

وأهم وأعظم تأثيراً [فَلَمَّا أَفَلَ] وفشل هذا الرب الجديد في تحقيق السعادة [قَالَ لَا أَحِبُّ الْآفِلِينَ] وهؤلاء الأرباب الناقصين الذين لا يملكون لأنفسهم فضلاً عن غيرهم ضرراً ولا نفعاً، وعندئذ إن كان مخلصاً في البحث عن الحقيقة كتبت له الهداية وقال مقالة المؤمنين: [قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ، إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ] (الأنعام: ٧٦-٧٩)، وإن لم يكن كذلك كتبت عليه الشقاوة وكان جوابه: [وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَغْمَالُهُمْ كَسْرَابٍ بِقِيَعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ] (النور: ٣٩).

وهكذا يبقى في شقاء ونكد وضيق بين مطرقة الموت الذي يمكن أن يختطفه في أية لحظة، وسندان الحرص والطمع [وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ] (البقرة: ٩٦)، وأنت ترى أن أكثر حالات الانتحار هي في الدول المرفهة اقتصادياً والتي تعيش التخممة ومنشأه هذا النكد والفتك الذي يعيشه بسبب الخواء الروحي.

[قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ، يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ] (المائدة: ١٥-١٦)، فهو نور لأنه يشرق أولاً في قلب المؤمن فيطهره من أدران المعاصي وكدورات الذنوب ويجلي صفحته ليكون مستعداً لتجليات الحق فيه وهو نور للأمة وللمجتمع يرشدها إلى النظام الذي يكفل سعادتها.

ومن لطيف التعبير القرآني أنه جعل لفظ النور مفرداً والظلمات جمعاً لأن طريق الحق واحد لا يتعدد وإن تعددت سبله ومصاديقه . قال تعالى: [اهدنا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ] (الفاتحة: ٦)، بينما الظلمات عديدة والآلهة التي تصد عن الله تبارك وتعالى كثيرة.

ومن آثار القرآن وبركاته أنه يهدي من اتبع رضوان الله تعالى سبل السلام وأول سلام ينعم به هو سلام النفس وطمأنينة القلب وصفاء الذهن [الْأَلْبِذِكْرُ لِلَّهِ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ] (الرعد: ٢٨)، ثم السلام داخل العائلة والأسرة التي تقوم على أساس الإسلام وتعاليم القرآن [وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ] (الروم: ٢١)، ثم السلام بين أفراد المجتمع عندما تسودهم آداب الإسلام [فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا] (آل عمران: ١٠٣)، [مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ] (الفتح: ٢٩)، [وَيُؤَثِّرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ] (الحشر: ٩).

### قول ثقيل:

والثقل للمعنى الذي يحمله القول أو اللفظ هو ثقيل على النفس لأنه يمسك بزمام شهواتها فلا يطلق لها العنان وإنما يهذبها ويقومها ويقودها، وهو ثقيل على العقل لما يتضمنه من أسرار ودقائق يصعب تحملها على العقول الجبارة وثقيل على الروح لما فيه من تكاليف شاقة وتربية مكثفة وإليه أشار (ﷺ) شيتني هود والواقعة لأن فيها فاستقم كما أمرت وهو (ﷺ) يعرف ثقل هذا الأمر.

ومنشأ ثقله صدوره من الله العظيم، لذا تنقل كتب السير حالته (ﷺ) عند نزول الوحي عليه وقد وصف القرآن ثقله بقوله: [لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ] (الحشر: ٢١).

وهو ثقیل لما یصیب حامله والساعي إلى إقامته في المجتمع من محن وبلايا وصعوبات. قال تعالى: [المص، كِتَابٌ أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ] (الأعراف: ١-٢) لذلك أمر (ﷺ) بقيام الليل والتعلق بالله تبارك وتعالى وتعميق الصلة به استعداداً لتلقي هذا القول الثقيل والمسؤولية العظيمة وقد وعده تعالى بتحصيل هذه النتائج، قال تعالى: [وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا] (الإسراء: ٧٩).

### موعظة وشفاء وهدى ورحمة:

وأختصر هنا ما ذكره السيد الطباطبائي (قده) في تفسير الآية<sup>(١)</sup>:

قال الراغب في المفردات: الوعظ: زجر مقترن بتخويف. وقال الخليل. هو التذكير بالخير فيما يرق له القلب وشفاء الصدور كناية عن ذهاب ما فيها من الصفات الروحية الخبيثة التي تجلب إلى الإنسان الشقاء وتنغص عيشته السعيدة وتحرمه خير الدنيا والآخرة، وإنما عبر بالصدور لان الناس لما وجدوا القلب في

(١) الميزان: ج ١٠/ في تفسير الآيات من ٥٧-٧٠ من سورة يونس، والمقصود في المتن الآية ٥٧ وهو قوله تعالى: [يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَ تَكْمٌ مَّوْعِظَةٌ مِّنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ].

الصدر وهم يرون الإنسان إنما يدرك ما يدرك بقلبه وبه يعقل الأمور ويحب ويغض ويريد ويكره ويشتاق ويرجو ويتمنى عدوا الصدر خزانة لما في القلب من أسراره والصفات الروحية التي في باطن الإنسان من فضائل وورذائل.

أقول: وتدل الأحاديث على أن القرآن شفاء حتى من الأمراض البدنية بل في بعضها أن سورة الفاتحة لو قرأت سبعين مرة على ميت فقام حياً لم يكن ذلك عجباً.

والرحمة تأثر خاص في القلب على مشاهدة ضرر أو نقص في الغير يبعث الراحم إلى جبر كسره وإتمام نقصه، وإذا نسبت إلى الله سبحانه كان بمعنى النتيجة دون أصل التأثير لتزهره تعالى عن ذلك فينطبق على مطلق عطيته تعالى وإفاضته الوجود على خلقه.

أقول: هذا أحد الوجوه في شرح هذه الأسماء المباركة التي لا يمكن فهم نسبتها إلى الله تبارك وتعالى كما تنسب إلى المخلوقين.

وإذا أخذت هذه النعوت الأربعة التي عدّها الله سبحانه للقرآن في هذه الآية - أعني انه موعظة وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة -، وقيس بعضها إلى بعض ثم اعتبرت مع القرآن كانت الآية بياناً جامعاً لعامة أثره الطيب الجميل وعمله الزاكي الطاهر الذي يرسمه في نفوس المؤمنين منذ أول ما يقرع أسماعهم إلى آخر ما يتمكن من نفوسهم ويستقر في قلوبهم.

فإنه يدركهم أول ما يدركهم وقد غشيتهم الغفلة وأحاطت بهم لجة الحيرة فأظلمت باطنهم بظلمات الشك والريب وأمضت قلوبهم بأدواء الرذائل وكل صفة أو حالة رديئة خبيثة فيعظهم<sup>(١)</sup> موعظة حسنة ينبههم بها من رقدة الغفلة، ويزجرهم عما بهم من سوء السريرة والأعمال السيئة ويبعثهم نحو الخير والسعادة.

ثم يأخذ في تطهير سرهم عن خبائث الصفات ولا يزال يزيل آفات العقول وأمراض القلوب واحداً بعد الآخر حتى يأتي على آخرها.  
ثم يدلهم على المعارف الحقّة والأخلاق الكريمة والأعمال الصالحة دلالة بلطف يرفعهم درجة بعد درجة وتقريبهم منزلة فمنزلة حتى يستقروا في مستقر المقربين، ويفوزوا فوز المخلصين.

ثم يلبسهم لباس الرحمة وينزلهم دار الكرامة ويقعدهم على أريكة السعادة حتى يلحقهم بالنبين والصدّيقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً ويدخلهم في زمرة عباده المقربين في أعلى عليين.

فالقرآن واعظ شافٍ لما في الصدور هادٍ إلى مستقيم الصراط مفيض للرحمة بإذن الله سبحانه، وإنما يعظ بما فيه ويشفي الصدور ويهدي ويبسط

(١) وأنت ترى ذلك في السور المكّية التي نزلت أولاً كالمدرّ والمزمل فإنها ذات إيقاعات سريعة تستعمل حروفاً قوية فيكون تأثيرها بما يشبه الصعقة الكهربائيّة التي تستعمل لإيقاظ الغافل كما أن مضامينها يتركز على التذكير بالآخرة والموت وأحوال القيامة وعاقبة المكذّبين وبيان سنن الله تعالى في الأمم ونحوها من الصعقات.

الرحمة بنفسه لا بأمر آخر فإنه السبب الموصل بين الله وبين خلقه فهو موعظة وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين.

### الحياة في كنف القرآن:

وقد جربتُ الحياة في كنف القرآن ومنَّ الله تعالى عليَّ أن عشت في رعايته منذ ريعان الشباب وكنت أختمه في السنة عشر مرات أو أكثر في بعض السنين حتى خالط لحمي ودمي وفكري ولساني وقلبي وكنت مع تلاوتي له أقرأ في البداية تفسيراً مختصراً وهو تفسير شبر ثم بدأت أطلع بامعان في التفاسير المفصلة كالميزان ومجمع البيان وبعض التفاسير الحركية، فكان لهما ولغيرهما مما كنت أطلع الفضل في تكوين شخصيتي العلمية والفكرية في وقت مبكر من حياتي - بداية العشرينات من عمري - حتى أكملت بعضها ولخصت رؤوس أفكارها حتى أرجع إليهما باستمرار فتقدح في ذهني تلك الأفكار وفي روعي وقلبي تلك اللحظات السعيدة.

### ما الذي وجدته في رحاب القرآن؟

فماذا وجدت في رحاب القرآن؟ وماذا سيجد من يعيش في رعاية القرآن؟ سيرى عظمة الله سبحانه تتجلى في آياته وقوانينه وسننه وقدرته على كل شيء، فالأرض جمعياً قبضته والسموات مطويات بيمينه والعزة لله جمعياً والقوة والملك له وحده فهو الذي يرث الأرض ومن عليها وإليه مرجع العباد وهو أقرب إليهم من جبل الوريد ويحول بين المرء وقلبه ولا يملك شيء لشيء نفعاً ولا ضراً إلا بإذنه، فعندئذ يتصاغر أمام حامل القرآن كل ما سوى الله تبارك وتعالى مهما

عظم ظاهراً أو حاول أولياؤه وأتباعه تعظيمه والنفخ في صورته فإذا قدرة الله تلقف ما يأفكون فلا إرم ذات العماد ولا فرعون ذو الأوتاد ولا صاحب الكنوز التي تنوء مفاتيحه بالعصبة أولي القوة، أما حامل القرآن فقوته متصلة بالله فلا يخشى ما سواه [مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بِئْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ] (العنكبوت: ٤١)، و(من خاف الله أخاف الله منه كل شيء) (١).

وعندئذ سترى أن هذه القوى الكبرى التي [يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى] (طه: ٦٦)، وقادرة على تحقيق كل ما تريد، وإذا بها تنهار وتذوب كما يذوب الملح في الماء بلا حرب ولا أي عدو ظاهر لكن الله ينبئك عن الذي يقف وراء فنائهم [فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ، ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقِقُونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ] (النحل: ٢٦-٢٧).

وسيرى وعد الله وطمأننته للمؤمنين بأن العاقبة لهم ولكن بعد أن: [مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ] (البقرة: ٢١٤)، وأن لا بد من الفتنة والابتلاء ليمحص الله الذين آمنوا [ألم، أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون، ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين] (العنكبوت: ١-٣).

(١) من لا يحضره الفقيه: ٤/٤١٠.

وعندئذ يقر بال مؤمن مهما واجهته من صعوبة ومحنة لأنه من سنة الله في عباده فعليه أن يصدق في المواقف وسيجزي الله الصادقين ويهون الخطب عليه انه كله بعين الله سبحانه قال تعالى: [فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا] (الطور: ٤٨)، [ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصَيِّهُمُ ظَمًا وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْؤُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نِيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ] (التوبة: ١٢٠).

وسيرى من علو الإيمان الذي يعمر قلبه والمعارف العليا التي يحملها إلى هذه البشرية التائهة التي تلهث وراء السراب تعيش لأغراض زائفة وتمني نفسها بأمان باطلة يزينها لهم أولياء الشيطان من مال وجاه وشهوات يتنافسون عليها ويتقاتلون على شيء لا يبقى لهم بل يكون وبالاً عليهم. يصنعون لأنفسهم آلهة يصطلحون على عبادتها وطاعتها وتقديم الولاء لها فيقيمون لها الطقوس والاحتفالات والمهرجانات ويذبحون من أجلها القرابين ليس من الحيوانية فقط بل البشرية ويهدرون على أقدامها المليارات.

وسيرى أنه ليس وحده حتى يشعر بالضعف أو الذلة أو الخضوع والاستسلام ولا أن ما يعانيه ويشاهده ويعيشه بدعاً من الحوادث ولا أن تجربته فريدة [قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَاءٍ مِّنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنِّي أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ] (الأحقاف: ٩)، فإذن قد سبقه على هذا الخط أنبياء عظام وأولياء كرام وحملة رسالات ومصلحون وعباد صالحون عانوا أكثر مما عانى وصبروا على اشد ما صبر عليه وواجهوا من مجتمعاتهم أعظم مما يواجه

والصورة نفس الصورة قال تعالى: [فَمِنْهُمْ مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ] (الحديد: ٢٦)، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مِّنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ] (المائدة: ١٠٥).

وسيرى تكريم الله لخلقه حين خاطبهم بنفسه ووجه إليهم كلامه مباشرة، الله العظيم خالق السموات والأرض ذو الأسماء الحسنى يرسل إليهم بنفسه رسالة ويعهد إليهم بعهد، أي تكريم أعظم من هذا وأي تفضيل فوق هذا [وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا] (الإسراء: ٧٠) فكيف يا ترى مشاعر الإنسان وهو يقرأ رسالة حبيبه بل الحبيب المطلق (إن القرآن عهد الله إلى خلقه فينبغي لكل مؤمن أن ينظر فيه)<sup>(١)</sup>.

وسيرى أن كل شيء في هذا الكون بقدر وحساب دقيق، قال تعالى: [إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ] (القمر: ٤٩)، [وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ] (الحجر: ٢١)، [وَوَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ] (الأنبياء: ٤٧)، وكل المخلوقات أفراداً ومجتمعات تجري وفق سنن ثابتة [سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ] (النساء: ٢٦)، [وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَّمٌ أُمَّنَّاكُمْ مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ] (الأنعام: ٣٨) لا يستطيع أحد أن يخرج من هذا القانون الإلهي العظيم [فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا] (فاطر: ٤٣)، فكيف يعبد الإنسان غيره تبارك وتعالى وهو لا يستطيع أن يخرج من

(١) الكافي: ٦٠٩/٢، باب في قراءته (قراءة القرآن)، ح ١.

قبضة سننه وقوانينه، فلا مجال للعب ولا العبث واللغو [رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ] (آل عمران: ١٩١)، [وَمَا خَلَقْتَ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونَا] (الذاريات: ٥٦)، [لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهُمْ آتَاةً لَاتَّخِذْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ] (الأنبياء: ١٧) ولا مجال للصدفة العمياء التي طالما تشدق بها الملحدون وضحكوا بها على عقول الناس ردحا من السنين وأضلواهم بها فتعسأ للتابع والمتبوع، فمن وراء خلق الإنسان هدف فلا بد ان يحيا من اجله ويكرس كل طاقاته لتحقيقه وهو رضا الله تبارك وتعالى.

وسيجد في القرآن الوعد الإلهي بالإمداد والقوة الغيبية في كل موقف وشدة ومأزق ومعركة مع النفس الأمارة بالسوء أو الشيطان، وأن الله معه وكفى به ناصراً ما دام هو مع الله قال تعالى: [إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ، نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ، نُزِّلًا مِنْ غُفُورٍ رَحِيمٍ، وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ] (فصلت: ٣٠ - ٣٣) وآيات كثيرة تخبر عن إنزال السكينة في قلوب المؤمنين والإمداد بالملائكة المسومين وغيرها.

وسيجد في كنف القرآن الطمأنينة قال تعالى: [أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ] (الرعد: ٢٨)، وهدوء البال وشفاء الصدور والهدى والبركة وكل خير مما وصف القرآن به نفسه.

فإذا وجد حامل القرآن كل ذلك اشتدت عزيمته وقوي قلبه وصلحت نفسه وازدادت همته وظهرت حكمته وسيكون عندئذ مصدراً للعتاء ومنبعاً للخير لنفسه وللمجتمع كما هو شأن المصلحين العظام وعلى رأسهم رسول الله (ﷺ) وأمير المؤمنين (عليه السلام).

### ضرورة العودة إلى القرآن:

أبعد كل هذا نحتاج إلى ذكر المزيد من المحفزات للعودة إلى القرآن والحياة في كنفه وهل بقي من لا يعي فداحة الخسارة التي حلت بنا بسبب ابتعادنا عن القرآن. إذن فلنرجع جميعاً إلى القرآن تائبين نادمين ملتجئين إياه أن يعود إلى إمامتنا وهدايتنا إلى الله تبارك وتعالى وعلينا أن نفكر في سبيل إلى إخراج هذا الكتاب الكريم من عزلته التي فرضناها نحن عليه وتفعيل دوره في الحياة المجتمع.

وقد تقول: إن مثل هذا حاصل من خلال ما نشاهده من كثرة حلقات تعليم القرآن وحفظه وتجويده وبيان قواعده ورسمه .

وأقول: مع احترامي لهذا كله إلا أن هذا اهتمام بالقشور والمهم هو اللب فإن اللفظ وعاء لا يصال المعنى وقشر لحفظ المعنى الذي هو اللب وآلة لنقل المعنى إلى الذهن فهل يكفي الاهتمام بالقشر وترك اللب؟ فالمطلوب هو إعادة القرآن بروحه ومضامينه ومعانيه وأفكاره ومفاهيمه، ولا شك أن الخطوة الأولى منه هي الاهتمام بتلاوته ومعرفة معاني ألفاظه وتطبيق القواعد العربية على مخارج حروفه.

## مسؤولية الحوزة في إعادة القرآن:

وأعتقد أن أول شريحة في المجتمع تقع عليها المسؤولية هي الحوزة الشريفة بطلبتها وفضلائها وخطبائها وعلمائها لأن صلاح المجتمع من صلاح الحوزة وفساده بفسادها والعياذ بالله، فقد جاء في الحديث الشريف عن رسول الله (ﷺ): (صنفتان من أمتي إذا صلحا صلحت أمتي وإذا فسدا فسدت أمتي، قيل يا رسول الله (ﷺ) ومن هم؟ قال (ﷺ): الفقهاء والأمرء)<sup>(١)</sup>.

وقد قلت في بعض كتبي<sup>(٢)</sup> أنه من المؤسف حقاً غياب القرآن عن مناهج الدراسة الحوزوية، فقد نظمت بشكل لا يحتاج فيه الطالب إلى التعمق في القرآن الكريم من أول تحصيله إلى نهايته ولا يمر به إلا لماماً عند الاستدلال على قاعدة نحوية أو مبحث أصولي أو مسألة فقهية، فأصبح مسرحاً للتدقيقات العقلية ولم يتخذ غذاءً للقلب والروح ودواءً للنفس، وربما يبلغ الحوزوي مرتبة عالية في الفقه والأصول وهو لم يحي حياة القرآن ولم يخض تجربة التفاعل مع القرآن واستيعابه كرسالة إصلاح، وقد تمر الأيام والأسابيع ولا تجد طالب العلم يمسك المصحف الشريف ليتلو آياته ويتدبر فيها لعدم وجود صلة روحية عميقة بينه وبين القرآن، ولو وجد فيه زاده وغذائه الذي يغنيه عن غيره لما استطاع تركه، وهذه مصيبة عظيمة للحوزة والمجتمع، وربما لا يحسن بعضهم قراءته مضبوطةً بالشكل.

(١) الخصال: أبواب الاثنين، حديث ١٢.

(٢) وصايا ونصائح إلى الخطباء وطلبة الحوزة الشريفة (وقد تقدم في هذا المجلد).

ولما كانت رسالة الحوزة الشريفة التي تصدت لحملها هي إصلاح المجتمع وتقريبه إلى الله تبارك وتعالى فإن أول مهمة لهم هي فهم القرآن والسعي إلى تطبيقه فإن الأمة لا تكون بخير إلا إذا تمسكت بقرآنها واهتدت بهديه واستضاءت بنوره كما هو نص حديث الثقلين المشهور: (إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً)<sup>(١)</sup>.

### جاهلية اليوم:

إن البشرية تعيش اليوم جاهلية جديدة - وإن تسمى بعضهم بالإسلام - بحسب المفهوم الذي يعطيه القرآن للجاهلية، إذ أنه لا يعتبرها فترة زمنية انتهت بطلوع شمس الإسلام بل هي حالة اجتماعية تتردى إليها الأمة وينتكس إليها المجتمع كلما أعرض عن شريعة الله سبحانه [أَفْحَكُمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ] (المائدة: ٥٠)، وقد نبه القرآن الكريم إلى حصولها حينما قال: [وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى] (الأحزاب: ٣٣) وكأنه إشعار بوجود جاهلية ثانية وهي هذه التي تعيش البشرية اليوم شؤمها وتعاستها وشقاءها.

بل جمعت جاهلية اليوم مساوئ الجاهليات القديمة كلها فالقوي يأكل الضعيف، واللواط يسن بقانون رسمي يجيزه ويرتضي الزواج بين الذكرين، والزنا يفوح برائحته الكريهة وهمجيته الحيوانية وأمراضه الفتاكة كالأيديز ونحوه في كل أرجاء العالم، والبخس في الميزان منتشر بجميع أشكاله ليس على مستوى الأفراد فقط بل على مستوى الدول فلا يوجد إنصاف في العلاقات بين

(١) تقدم ذكره.

المجتمعات البشرية وهو ما يسمى بالمصطلح (الكيل بمكيالين)، واتخاذ الأبحار والرهبان وسائر رؤوس الضلال من شياطين الإنس والجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً أرباباً من دون الله يحرّمون ما أحل ويحلون ما حرم، والآلهة التي تعبد من دون الله سبحانه قد تعددت ولم تعد مقتصرة على الحجرية منها فقط، بل ما زالت الذهنيات الشيطانية تتفتق عن المزيد وشياطين الأنس والجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً ويصدون عن صراط الله المستقيم [لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ، ثُمَّ لَا تَنبِتُهُمْ مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ] (الأعراف: ١٦-١٧)، [وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا] (الأعراف: ٨٦)، وما أكثر هؤلاء الذين يصدون عن سبيل الله من آمن ويغونها عوجاً عن الفطرة السليمة من فاسقات نصبن فخوخ الفتنة والإغراء، إلى بورصات اقتصادية يسيل لها اللعاب، إلى فنانيين لا عمل لهم إلا تدمير الأخلاق والقيم الاجتماعية وغيرها.

كل هذه من صفات وعلامات جاهلية اليوم وفي كل زمان ومكان، وهذا المفهوم من المفاهيم القرآنية التي يجب استيعابها وفهمها.

### مقارنة بين الجاهلية الأولى والجاهلية اليوم:

ولمزيد من البيان نعقد مقارنة بين عقائد وممارسات الجاهلية الأولى والجاهلية التي نعيشها اليوم، وأريد بهذا البيان عدة أهداف:

١- تنقيح المفاهيم والمصطلحات القرآنية واستنباط معانيها التي يريدتها القرآن وإزالة الغبار المتراكم عليها نتيجة الغفلة عن القرآن، وإعمال العقول فيه من دون الرجوع إليه.

٢- استيعاب الحاجة إلى القرآن إذا فهمنا أن البشرية عادت إلى جاهليتها الأولى فهي بحاجة إلى أن يعود القرآن ليمارس دوره من جديد في الأخذ بيدها نحو الإسلام الحقيقي.

٣- تعزيز فكرة الإمام المهدي (أرواحنا له الفداء) وإقامة الدليل العلمي عليها إذ أن البشرية لما عادت إلى جاهليتها الأولى فإن القرآن وحده لا يكفي لممارسة دوره في إنقاذها بل لابد له من حامل يجسده على أرض الواقع كما رسول الله (ﷺ) وإن لم يكن نبياً لانقطاع النبوة به (ﷺ) ولا تجتمع هذه الأوصاف إلا في الحجة بن الحسن (أرواحنا له الفداء)، وما هي إرهاصات ظهوره تتحقق ويقرب يومه الموعود<sup>(١)</sup>. وتفصيل الكلام في بحث خاص<sup>(٢)</sup> به (ﷺ).

### صفات ومميزات المجتمع الجاهلي بحسب المفهوم القرآني:

وأول صفة من صفات الجاهلية هي عبادة الناس لغير الله تبارك

(١) لذا ورد في الخبر أنه (ﷺ) يأتي بإسلام جديد وقرآن جديد وهي لا تعني دلالتها المطابقة لأنه (ﷺ) لا يخرج عن دائرة إسلام وقرآن جده (ﷺ) وإنما يراد به أنه ينفذ الغبار عن القرآن ويزيل عنه ركام السنين ويعيده إلى الحياة من جديد.

(٢) صدر الكتاب يومئذ بعنوان (شكوى الإمام (ﷺ) وجمع مع هذا الكتاب و(شكوى المسجد) في كتاب عنوانه (ثلاثة يشكون).

وتعالى والعبادة بمعنى الطاعة والولاء كما ورد عنهم (عليه السلام) في تفسير قوله تعالى: [اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ] (التوبة: ٣١) قال (عليه السلام): (أما والله ما دعوهم إلى عبادة أنفسهم، ولو دعوهم ما أجابوهم، ولكن أحلوا لهم حراما، وحرّموا عليهم حلالا فعبدوهم من حيث لا يشعرون)<sup>(١)</sup> هذه العبادة كانت في ذلك المجتمع الجاهلي لغير الله تبارك وتعالى لذا جاء في أول سورة من سور القرآن المطالبة بعدم طاعة ما سوى الله [كَلَّا لَا تَطْعَهُ] (العلق: ١٩)، فكانت الطاعة لآلهة متعددة يومئذ: [مَا نَعْبُدُهُمْ - أَي الْأَصْنَام - إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى] (الزمر: ٣)، [وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ] (آل عمران: ٦٤)، [إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبْرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا] (الأحزاب: ٦٧)، [فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أُمِرُوا فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ] (هود: ٩٧)، [فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ عَذَابًا] (مريم: ٥٩)، [وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا

(١) الكافي: ٥٣/١، باب (التقليد) حديث ١.

وهذا المصطلح القرآني المهم (العبادة) يحتاج إلى إشباع لعدم وضوحه في أذهان المجتمع فيظنون أن العبادة هي الصلاة أو السجود وليست هي الطاعة لذا لا يجدون قدحاً في دينهم أن يصلوا ويصوموا لله لكن معاملاتهم وسلوكياتهم في الحياة تكون بغير ما أنزل الله وهو معنى خطير يجب إزالة الشبهة عنه لذا ورد عن الإمام الجواد (عليه السلام) قوله: (من أصغى إلى ناطق فقد عبده، فإن كان هذا الناطق عن الله فقد عبد الله، وإن كان الناطق ينطق عن لسان إبليس . . .) (تحف العقول: صفحة ٣٣٦).

يَهْتَدُونَ] (البقرة: ١٧٠)، [وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ، كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَإِنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ] (الحج: ٣-٤)، [إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ الْحَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةَ] (الفتح: ٢٦).

هذه بعض آلهة الجاهلية الأولى التي كانت تعبد من دون الله تبارك وتعالى وهي (الأصنام، العلماء غير المخلصين، الفراعنة، هوى النفس الأمارة بالسوء وشهواتها، إبليس، العصبية، العادات والتقاليد الموروثة عن السلف) وأصلها اتباع الهوى [فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ] (القصص: ٥٠).

فهل اختلف حال الناس اليوم؟ ولا أريد بالناس هذه الأمم التي تسمى أنفسها متحضرة فإنها غارقة في مستنقع الجاهلية من قرنها إلى أخصم قدميها، ولكن هلم بنا إلى الخطب الأفضع إلى الذين يسمون أنفسهم مسلمين وهم يسيرون في ركاب أولئك الكفار وينغمسون في طاعة الشهوات والهوى وما يصدر عن إليه من آلهة جديدة كالرياضة والفن وبعض النظريات والقوانين المنحرفة، وما زالت طاعة السادة والكبراء كرئيس العشيرة والوجهاء تمثل من دون رعاية للشرع المقدس فيحلون ما حرم الله ويحرمون ما أحل الله تبارك وتعالى، وما زالت الأعراف والتقاليد وسنن الآباء والأجداد تطاع أكثر من شريعة الله سبحانه بحيث يرضى المجتمع بمعصية الله ولا يرضى بالخروج عن هذه الأعراف والتقاليد، ولسان حالهم يقول: (النار ولا العار) خلافا للإسلام الذي مثله الإمام الحسين (عليه السلام) في كربلاء بقوله:

## الموت أولى من ركوب العار والعار أولى من دخول النار

وهذا واضح في السنية العشائرية وغيرها، وهذه المرأة المسكينة تطيع المودة ودور الأزياء وما يقتضيه الأتيكت وما يصدره الغرب من ملابس وأدوات زينة وكماليات حتى لو كانت مخالفة للشريعة فهل. بقى من العبادة والطاعة والولاء شيء؟ هذا على مستوى الشرك الجلي، والقرآن يخبرنا أن هذه الآلهة كلها ستبترأ من عبادها يوم القيامة ولا ينفع الندم حينئذ: [وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ، إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ، وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّا كَرَّرْنَا فَتَنَّا مِنهُمْ كَمَا تَبَرَّوْا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ] (البقرة: ١٦٥-١٦٦).

ويصف هذه الآلهة التي يعبدها البشر بتقديم الولاء والطاعة لهم من دون الله تبارك وتعالى قال تعالى: [مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ] (العنكبوت: ٤١)، وقال تعالى: [وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ] (النور: ٣٩).

وهذا بحث جدير بالاهتمام لأنه يلفت نظر الناس إلى انحراف عقائدهم وأنهم بعيدون عن التوحيد الخالص وأن طاعتهم لله تبارك وتعالى اقل بكثير من طاعتهم لهذه الأصنام المتعددة. وليكن البحث بعنوان (أصنام الجاهلية الحديثة)

التي يزيد لها خطورة خفاؤها وعدم الالتفات إليها حتى للمؤمنين فضلاً عن غيرهم. أما على مستوى الشرك الخفي فالمصيبة أعظم، وقلما تجد عملاً مخلصاً وإن ظن صاحبه ذلك، فلماذا يكتب اسمه على لوحة كبيرة عندما يشيد مسجداً لو كان عمله لله ولماذا يمنّ بعبائه ويتحدث به لو كان مخلصاً؟

والصفة الثانية من صفات الجاهلية هي أن الشريعة التي تنظم أمورهم وتنظر في خصوماتهم بعيدة عن شريعة الله سبحانه [أَفْحَكُمُ الْجَاهِلِيَّةَ يَبْغُونَ] (المائدة: ٥٠)، وعن الصادق عليه السلام: (الحكم حكمان حكم الله وحكم الجاهلية فمن أخطأ حكم الله حكم بحكم الجاهلية)<sup>(١)</sup>. فكل حكم بغير ما أنزل الله هو حكم جاهلية على تعبير القرآن، ونحن نرى أن أكثر أفراد مجتمعنا منضوون تحت عشائر تحكمها سنن عشائرية ما أنزل الله بها من سلطان وضعها ناس جهلة بعيدون عن الله تبارك وتعالى، وهذا كمثل ويمكن أن تضرب بطرفك في شرائح اجتماعية أخرى لترى مصداق ذلك، وها أنت ترى أن دول العالم المختلفة تتحكم فيها قوانين وتشريعات و(أيديولوجيات) من صنع البشر الناقص الذي لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً ولا يرى أبعد من أرنية أنفه، فتراه كل يوم يغير مادة ويضيف فقرة ويلغي أخرى ويكتشف خطأ غيرها فيرتق ما فتق، وهكذا وقد وصف الحديث الشريف كل مخالفة للشريعة وتقصير في تطبيقها جاهلية نحو قوله عليه السلام: (من مات ولم يوص مات ميتة جاهلية)<sup>(٢)</sup>.

(١) الكافي: ج ٧ ص ٤٠٧.

(٢) الرسائل العشرة: الشيخ الطوسي، صفحة ٣١٧.

ففرعون الذي يقول: [مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى] (غافر: ٢٩)، ليس حالة خاصة فردية بل هي متكررة دائماً عند الكثيرين ممن ينصبون أنفسهم مشرعين من دون الله تبارك وتعالى.

ومن سمات الجاهلية انحراف عقائدها وإليها أشير بقوله تعالى: [يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ] (آل عمران: ١٥٤)، فقد كانوا يعتقدون مثلاً أنه مهما ارتكب الإنسان من موبقات فإنه ينجو من العقاب إذا قرب إلى الآلهة قرباناً، ومجتمعنا بفعل ما رسخه خطباء المنبر الحسيني في أذهانهم يعتقدون أنه مهما فعل من منكرات وكبائر فإن دمعة واحدة على الحسين (عليه السلام) تكفيه لدخول الجنة، انطلاقاً من الحديث الشريف: (من بكى على الحسين ولو مقدار جناح بعوضة وجبت له الجنة)<sup>(١)</sup>، واستدلوا بقول الشاعر:

فإنَّ النار ليس تمس جسماً  
عليه غبار زوار الحسين

ونحن لا ننكر كرامة الحسين (عليه السلام) على الله تبارك وتعالى فهو يستحق هذا التكريم وأزيد: لكن هذا على نحو المقتضي وجزء العلة لدخول الجنة ولا بد من تمامه من جزء العلة الأخرى من الشروط وعدم الموانع وأول الشروط طاعة الله تعالى في أوامره ونواهيه وهذا القرآن صريح: [وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى] (الأنبياء: ٢٨)، وفي حديث الإمام الصادق (عليه السلام): (لن تنال شفاعتنا مستخفاً بالصلاة)<sup>(٢)</sup>، ومنافٍ للآية الشريفة: [فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ، وَمَنْ

(١) كامل الزيارات: صفحة ٢٠١.

(٢) بحار الأنوار: ٧٦ / ١٣٦.

يَعْمَلُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ [الزلزلة: ٧ - ٨]، إلا أن يتدارك عمله بالتوبة الصادقة. وهذا الانحراف في الاعتقاد له أثره الخطير في ابتعاد الناس عن الدين وقلة وعيهم بعد أن خدروا بهذه العقيدة البعيدة عن القرآن وركونهم إليها فتركوا العمل بالقرآن.

ومن معالم الجاهلية السفور والتبرج وإظهار المفاتن والتهتك وشيوع الفاحشة، قال تعالى: [وَلَا تَبْرَجْنَ تَبْرُجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى] [الأحزاب: ٣٣]، والمجتمع اليوم قد فاق تلك الأمم بفسقه وفجوره وتفننه في الغواية والإضلال وإيقاع البشر في الفاحشة وتسخر كل إمكانياتها المتطورة لترويجها، وكما كانت الجاهلية تبتكر الأساليب وتضع قوانين لإشباع غريزتها الجنسية بطرق شيطانية، فمثلا سنت قريش قراراً يقتضي حرمة طواف الطائف بالبيت بشيابه لأنه قد عصى الله بها وارتكب المآثم فيها فلا بد أن يطوف بملابس من أهل مكة أو جديدة أو يطوف عارياً.

وأولياء الشيطان اليوم سنوا أساليب لإشاعة الفاحشة غير ملاهي الفسق والفجور باسم الرياضة مثلاً التي لا تقل تهتكاً عما يجري في تلك الملاهي بل الملاهي أرحم لأنها في الخفاء ويستهنها الجميع ويستحيي صاحبها أن يلصق به عارها، أما هذه فتمارس علناً ويفتخر بها صاحبها ويبارك عمله الجميع. أترى أي أعبوبة أصبح هؤلاء بيد الشيطان يتصرف بهم كيف يشاء. وهكذا العناوين والأسماء الأخرى كملكة الجمال أو باسم عرض الأزياء أو باسم الفن وكلها استهتار ومجون وفسق وفجور ولكن بغطاء مقبول لدى المجتمع لا ينجو منه إلا

من عصم الله، والهدف واحد هو أن تعيش البشرية همجية الحيوان وفوضى الجنس ونار الشهوة المستعرة التي لا تبقي ولا تذر.

ومن سمات الجاهلية فساد التصورات وانحراف الرؤية للحياة فمثلاً كان بعض الجاهليين يرفضون تزويج بناتهم من غيرهم لأنهم يرون أنفسهم فوق الآخرين وهم ما يسمون بـ(الحُمس)، وفي جاهلية اليوم توجد شرائح كثيرة كذلك ولعل أوضح مصاديقها بعض السادة المنتسبين لرسول الله (ﷺ) فإنهم لا يزوجون نساءهم إلا لسيد مثلهم وقد تعنس بناتهم ويفوتهن الزواج ويحرم من ممارسة حق مشروع لهن في التنعم بتكوين أسرة وليعشن سعادة الأمومة. كل ذلك بسبب هذا التصور الخاطئ الجاهلي فأين هذه التصورات من مبادئ القرآن: [خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً] (النساء: ١)، ومن تعاليم رسول الله (ﷺ): (إذا جاءكم من ترضون خلقه ودينه فزوجه) <sup>(١)</sup>، وإذا كان لهم شرف بانتسابهم لرسول الله (ﷺ) فإن شرف رسول الله (ﷺ) بانتسابه للإسلام ولطاعة الله تعالى، وليس لأنه محمد بن عبد الله قال تعالى: [لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ] (الزمر: ٦٥)، [وَكَلِمَةٌ تَقُولَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ، لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ، ثُمَّ لَقَطْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ، فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ] (الحاقة: ٤٤ - ٤٧)، ويقول هو (ﷺ): (ولو عصيت لهويت) <sup>(٢)</sup> فما قيمة هؤلاء الذين يتاجرون باسمه (ﷺ) وهم يخالفون شريعته؟

(١) وسائل الشيعة: كتاب النكاح: أبواب مقدمات النكاح وآدابه، باب ٢٨، حديث ١.

(٢) بحار الأنوار: ٢٢ / ٤٦٧.

ومن معالمها اختلاف القيم والموازن التي يتفاضل بها البشر من إلهية حقيقية إلى شيطانية وهمية، فالقرآن يصرح: [إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ اتَّقَاكُمْ] (الحجرات: ١٣)، [قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ] (يونس: ٥٨) بينما الجاهلية تتفاضل بالمال والجاه وكثرة الولد [أَلْهَاكُمْ التَّكَاثُرُ، حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ] (التكاثر: ١-٢)، [وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَدِّينَ] (سبأ: ٣٥)، وهذه الأمور من الوضوح بحيث لا أحتاج إلى ذكر أمثلة، والآيات التاليتان توضحان هذه المقارنة الصارخة بين المقاييس: [زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ، قُلْ أَوْبَيْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَلِكَ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ] (آل عمران: ١٤ - ١٥). ويقول تعالى: [وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَن آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرَفَاتِ آمِنُونَ] (سبأ: ٣٧).

ومن الخصائص المشتركة للجاهليتين انتشار الرذائل الخلقية وأوضحها شرب الخمر والتطيف في الميزان والغش والكذب واللواط قال تعالى: [وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمْ الْمُنْكَرَ] (العنكبوت: ٢٩)، [وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ] (الأعراف: ٨٥)، [وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ، الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ، وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ] (المطففين: ١-٣)، بل يستهزئون من

الإنسان النظيف [وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ] (الأعراف: ٨٢)، بحيث أن جعفر بن أبي طالب سجل اسمه في التاريخ على أنه ممن حرم على نفسه الخمر والزنا في الجاهلية، ومن رذائل أخلاقهم أن القوي يأكل الضعيف وانعدام الأخلاق والمثل الإنسانية فضلاً عن الإلهية والمهم هو المنافع الشخصية. وها هي حضارة اليوم تسحق شعوباً بكاملها وتهلك الحرث والنسل من أجل ما يسمونه (المصالح) التي هي فوق كل شيء عندهم، أما الهدف الحقيقي وهو رضا الله تبارك وتعالى والفوز في الآخرة فهذا تخلف ورجعية، قال تعالى: [وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ] (آل عمران: ١٥٤)، فهذه غايتهم وهذا هو هدفهم الذي يعيشون من اجله هل لنا من الأمر من شيء.

ومن أهم خصائص الجاهلية بل هي السبب في تحققها ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هذا الذي حذر منه رسول الله (ﷺ): (كيف بكم إذا فسدت نساؤكم وفسق شبابكم ولم تأمروا بالمعروف ولم تنهوا عن المنكر؟ فقليل له: ويكون ذلك يا رسول الله؟ فقال: نعم، وشر من ذلك، كيف بكم إذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف؟ فقليل له يا رسول الله ويكون ذلك؟ فقال (ﷺ): وشر من ذلك، كيف بكم إذا رأيتم المعروف منكراً والمنكر معروفاً<sup>(١)</sup>.) وهذا ما وصلت إليه المجتمعات اليوم والتقصير أول ما يبدأ من علماء الدين

(١) الكافي: ٥٩/٥، باب: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

أو الربانيين على تعبير القرآن وتخاذلهم وتقاعسهم عن أداء وظيفتهم، وأوضح مصداق للربانيين هم انتم يا طلبة وفضلاء الحوزة الشريفة. قال تعالى: [وَتَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتِ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعمَلُونَ، لَوْلَا يُنْهَاهُمُ الرَّبَّائِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتِ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ] (المائدة: ٦٢ - ٦٣)، [كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ، تَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ] (المائدة: ٧٩-٨٠).

وهذه خصيصة أخرى من خصائص المجتمع البعيد عن الإسلام وهي موالاته ومداهنة الفاسقين والذين كفروا، وعن هذا التقصير يقول أمير المؤمنين (عليه السلام): (أما بعد فإنه إنما هلك من كان قبلكم حيثما عملوا من المعاصي ولم ينههم الربانيون والأحبار عن ذلك، وأنهم لما تهادوا في المعاصي نزلت بهم العقوبات فأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر واعملموا أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لن يقربا أجلاً ولن يقطعاً رزقاً)<sup>(١)</sup>.

وبدون القيام بهذه الفريضة لا تبقى للمؤمنين قيمة لا عند الله ولا عند رسوله بل ولا حتى عند أعدائهم، لذلك كان هناك موحدون بين قريش وهم الأحناف الذين نبذوا عبادة الأصنام وتفرغوا لعبادة الله سبحانه، لكن لم تكن لهم قيمة عند المشركين ولم يأبهوا بوجودهم لأنهم تركوا هذه الفريضة العظيمة. بينما جعل القيام بهذه الوظيفة من صفات المجتمع المسلم بحق: [كُنْتُمْ خَيْرَ

(١) نهج البلاغة: الخطبة (٢٧).

أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ] (آل عمران: ١١٠)، [وَلْيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ، الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ] (الحج: ٤٠ - ٤١)، [وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ] (آل عمران: ١٠٤)، [وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ] (التوبة: ٧١)، وغيرهم كثير ولسنا هنا بصدد الاستقصاء فإن هذا البحث مبني على الإشارات فقط ومجرد فتح الباب للتفكير في هذه القضايا وكل باب يفتح منه ألف باب بلطف الله تبارك وتعالى وسعة رحمته.

ومن معالم الجاهلية سيطرة الخرافات والأساطير، فمثلاً كانت العرب تتشائم من صوت الغراب والبوم، والغرب اليوم يتشائم بلا معنى من رقم (١٣) وانتشر يومئذ العرافون والكهنة وراجت سوقهم، واليوم نرى إقبال الناس على قارئ الكف والرمل والأبراج والطريحة وأصحاب النور والمطوعات ونظائرها مما ينظلي على الجهلة والسذج.

ومن سمات الجاهلية الصد عن القرآن وعزل الناس عنه بشتى الطرق فقد كان النضر بن الحارث وهو ممن ذهب إلى بلاد فارس وتعلم من أخبار ملوكهم يتعقب رسول الله (ﷺ) فإذا قام (ﷺ) من مجلس جلس إليهم النضر وتحدث لهم بتلك القصص والأخبار ثم يقول: بالله أينا أحسن حديثاً قصصاً أنا أو

محمد؟ وكانوا يصفون القرآن بأنه أساطير الأولين أو أحاديث اكتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلاً أو حديث يفتري، أو يصفقون بصوت عال عند تلاوته (ﷺ) للقرآن ليحولوا دون سماعه، ويصف القرآن موقفهم هذا بقوله: [وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ] (فصلت: ٢٦)، وقال تعالى: [وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ] (القمر: ٢)، وها هي جاهلية اليوم تصف القرآن نفس الأوصاف بأنه من كلام محمد وقد أنشأه وفق البيئة التي عاشها، وانه يمثل نبوغاً إنسانياً وليس وحياً إلهياً، وحاولوا التأليف في متناقضات القرآن ولكنهم لما عجزوا واكتسحهم القرآن وفرض وجوده عليهم عمدوا - بما أوتوا من خبث ومكر وخداع - إلى تفريغه من مضمونه وعزله عملياً عن واقع الحياة وحوّلوه إلى ما يشبه الأناشيد والأغاني التي يترنم بها المطربون ويعبر الجالسون عن طربهم بصيحات (الله الله يا شيخ) وحوّلوه إلى تعويذات يُعلّقها على صدورهم أو في بيوتهم لا أزيد من ذلك. وهذا الأسلوب كما ترى أخطر من أسلوب النضر بن الحارث وأمثاله وأشد مكرراً وأفتك أثراً.

ومن التصرفات البارزة التي يتصف بها الجاهليون: هي الجمود على التقاليد الموروثة عن السلف والتزمت في الالتزام بها وعدم الخروج عنها وإن قام الدليل والحجة على خلافها، وهذا التصرف نتيجة التحجر وعدم السلامة في التفكير وتحكيم العاطفة باعتبار أن الشيء الذي تتوالى عليه أجيال من الآباء والأجداد يكتسب قداسة يصعب اختراقها. وقد كرر القرآن هذا المعنى كثيراً بحيث نستطيع أن نفهم منه أن هذه كانت من المحن التي اشترك فيها جميع

الأنبياء. قال تعالى: [وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْلَوْكَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلَا يَهْتَدُونَ] (البقرة: ١٧٠)، [إِنَّهُمْ أَلَفُوا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ، فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ] (الصافات: ٦٩ - ٧٠)، [قَالُوا أَجِئْنَا لِنُعْبَدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ] (الأعراف: ٧٠)، [بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ، وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ، قَالَ أَوْلَوْكَانَ جِئْتَكُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ] (الزخرف: ٢٢ - ٢٤)، فالآيتان الأخيرتان تدلان على أن هذه المحنة الكبيرة تواجه كل من يريد أن يحرر مجتمعه ويسعى لإصلاحه، لقوله تعالى: [وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ] (الزخرف: ٢٢-٢٤)، وليست مختصة بالأنبياء وخدمهم.

وجاهلية اليوم لا تختلف عن الجاهلية الأولى في ذلك، والشواهد عليها كثيرة وقد عانت مجتمعاتنا كثيراً من هذه (النزعة الاستصحابية) على تعبير أحد المفكرين الحوزويين<sup>(١)</sup>.

(١) والمقصود به هو السيد الشهيد محمد باقر الصدر رحمته الله ولم يكن سماحة الشيخ يصرح به جهاراً حيث ألقى هذه المحاضرات أيام البطش الصدامي ما قبل سنة ٢٠٠٣ حيث كان التصريح والتلميح تهمة كافية لإعدام صاحبها، إلا أن سماحة الشيخ كان يخلل أفكاره ببعض طروحاته ونظرياته رحمته الله ويتمثل له ويعيش أفكاره ويشير إليه بطريق خفي في الوقت الذي تخلت الكثير من الجهات الدينية عن خط الحماسة والوعي الإسلامي، بل إن السلطات الصدامية أخذت ترفع

ومن علامات الجاهلية عدم معرفة الإمام الحقيقي (من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية)<sup>(١)</sup> ولا يراد بالمعرفة معرفة الاسم فقط بل معرفة المسؤولية الكاملة والتكليف التام تجاه الإمام والقيام بها حق القيام وهذا التقصير واضح منا تجاه صاحب العصر (أروحنا له الفداء) وقد وصف الدعاء المأثور هذه الجاهلية (اللهم عرفني نفسك فإنك إن لم تعرفني نفسك لم أعرف نبيك اللهم عرفني رسولك فإنك إن لم تعرفني رسولك لم أعرف حجتك اللهم عرفني حجّتك فإنك إن لم تعرفني حجّتك ضللت عن ديني)<sup>(٢)</sup> والضللال عن الدين هو عين الجاهلية.

وهذا ما يحتاج إلى بحث كامل عن لزوم وجود الإمام والحجة في كل زمان وتكليفنا في زمان الغيبة ومسؤوليتنا تجاه الإمام (عليه السلام) والإجابة عن الكثير من التساؤلات والمشاكل الفكرية التي تحاط بها قضية الإمام (عليه السلام) مما هو غائب عن ذهن المؤمنين به فضلاً عن غير المؤمنين به أصلاً، بينما هم (عليهم السلام) (باب الله الذي لا يؤتى إلا منه)<sup>(٣)</sup> فكيف يهتدي إلى الله سبحانه من لا يعرف بابه فماذا بعد الله إلا الضلال المبين.

ومن سماتها الخضوع للماديات وعدم الاعتراف بما وراء المادة

التقارير المتتالية عن حركة الشيخ الدينية حتى وصفته بعض التقارير الأمنية والتي عُثر عليها بعد سقوط النظام البعثي بأن حركته وخطته شبيهة بحركة باقر الصدر في الشباب.

(١) كمال الدين وتمام النعمة: ٤٠٩.

(٢) الكافي: ٣٣٧/١.

(٣) الكافي: ١٩٦/١.

وإنكار الغيب قال تعالى: [وَقَالُوا إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ] (الأنعام: ٢٩)، [وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ] (الجاثية: ٢٤)، فيأتي القرآن ليؤسس لهم أهدافاً سامية يعيشون من أجلها [وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ] (الذاريات: ٥٦)، [قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ] (هود: ٦١)، [ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ] (يونس: ١٤)، فالإنسان ما خلق فقط لهذه الدنيا حتى يكرس همه لها بل جعل في الأرض خليفة ليستعمرها ويجعلها حرثاً لآخريته وخالقه يحصى عليه أعماله لينظر كيف يعمل، ويأتي التوبيخ الإلهي لمثل هذا الإنسان الغارق في الماديات [أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى، أَلَمْ يَكُنْ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى، ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ فَخْلَقَ فَسَوَّى، فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى، أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى] (القيامة: ٣٦ - ٤٠)، بلى سبحانك اللهم أنت قادر على ذلك وعلى كل شيء، نعم، لكن هذا لا يمنع من أن يأخذ نصيبه من الدنيا من دون أن يجعله هدفاً وغاية وإنما يوظفه لخدمة الهدف الحقيقي وهو رضا الله تبارك وتعالى: [وَأَتَّبِعْ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَسْرِ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ] (القصص: ٧٧)، فليس النقص والخلل في حياة الدنيا لذا قيل: (الدنيا مزرعة الآخرة)<sup>(١)</sup> وفي حديث آخر: (الدنيا متجر

(١) عوالي اللاكي: ١ / ٢٦٧.

أولياء الله)<sup>(١)</sup> ففيها يتاجرون مع الله تجارة لن تبور.

ومن سمات الجاهلية التشتت والتفرق والتمزق، قال تعالى: [وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ] (الروم: ٣١-٣٢)، وكل ذلك بسبب تضييعهم للمحور الواحد الذي يجب أن يجتمعوا حوله وهو توحيد الله تبارك وتعالى، وجعلت الكعبة المشرفة رمزاً له، لكن المجتمع البعيد عن الله يتمزق دولاً وبلداناً أولاً، حتى وصل عدد دول العالم اليوم أزيد من (١٨٠) دولة ويتمزق أجناساً ويتفرق قوميات حتى داخل البلد الواحد ويتمزق فكرياً فهذا شيوعي وهذا رأسمالي وهم أبناء بلد واحد وقومية واحدة ودين واحد ويتمزقون آيديولوجيا حتى داخل الدين الواحد بل داخل المذهب الواحد وكل طائفة تنقسم على نفسها فرقا وهكذا: [كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ] (المؤمنون: ٥٣)، وقد نبه القرآن إلى أن هذا التفرق هو إحدى عقوبات الابتعاد عن المنهج الإلهي: قال تعالى: [قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبَسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ] (الأنعام: ٦٥)، وجاء الإسلام ليوحدهم بهذا القرآن قال تعالى: [وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ] (آل عمران: ١٠٣)، [وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله هو الذي آيدك بنصره

(١) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ٢٠٣/١٥.

وَبِالْمُؤْمِنِينَ، وَاللَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ  
وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ [ (الأنفال: ٦٢ - ٦٣).

ومن سمات الجاهلية الواضحة الرعب من الموت ومن كل ما يوحى  
به أو يشير إليه وذلك لأنهم خسروا الآخرة وجعلوا غاية همهم إشباع شهواتهم  
وأطماعهم [قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا  
المَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ، وَلَنْ يَتَمَنَّوَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ،  
وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرَ أَلْفَ  
سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحَّزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ] (البقرة: ٩٤ -  
٩٦)، [قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا  
المَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ، وَلَا يَتَمَنَّوَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ  
بِالظَّالِمِينَ] (الجمعة: ٦-٧)، [فَإِذَا جَاءَ الخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ  
كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ المَوْتِ] (الأحزاب: ١٩)، لكن القرآن يقرر لهم حقيقة  
دامغة لا مفر منها [قُلْ إِنْ المَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى  
عَالِمِ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ] (الجمعة: ٨)، [قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ  
الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِّنَ المَوْتِ أَوْ القِتْلِ وَإِذَا لَا تُمْتَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا] (الأحزاب:  
١٦)، [أَيِنَّمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمْ المَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ] (النساء: ٧٨)، [قُلْ  
لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ القِتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ] ([٢١٥])،  
فالخوف من الموت لا يكون إلا بالاستعداد له بالإيمان والعمل الصالح وإعمار  
الآخرة بما يرضي الله تبارك وتعالى ويقرب منه.

واشعر أنني إلى هنا قد قدّمت إشارة كافية وفتحت باب التفكير بمقدار كافٍ في هذا الاتجاه لأن أهم خطوة في معالجة أمراضنا الاجتماعية هي تشخيص الداء بدقة ومن ثم وصف العلاج المناسب.

واتضح لدينا الآن من خلال هذه النقاط العديدة تحقق عنوان الجاهلية في البشرية اليوم وعلّمنا أن لطف الله بعباده دائم ولا يختص بقوم دون قوم، فجاهلية أمس ليست أولى من جاهلية اليوم ولا خصوصية لها حتى ينزل إليها تبارك وتعالى قرآناً ويبعث إليهم رسولاً، ويترك جاهلية اليوم سدىً، فما أحوجها إلى مصلح وهو الحجة بن الحسن (أرواحنا له الفداء) وما أحوجنا إلى القرآن لينقذنا من حضيض الجاهلية إلى قمة الإسلام.

### القرآن علاج لأمراضنا الاجتماعية:

فلنكرّس جهدنا في الاستفادة من قابلية القرآن وقدرته على علاج أمراض البشرية والارتقاء بها في سلم الكمال، فإن القرآن خالد وحي ومعطاء إلى يوم القيامة ومن خلوده قدرته على تشخيص الداء وتقديم الدواء لكل مجتمع وكل زمان ومكان وما علينا إلا أن نستشير كوامن القرآن ونلتمس منه دواء دائنا وأمراضنا الاجتماعية والفردية.

فإذا أصيبت الأمة بالتمزق والتشتت فدواءهم قوله تعالى: [واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا] (آل عمران: ١٠٣)، بعد معرفة أن حبل الله هما القرآن وأهل البيت (عليهم السلام) بحسب الحديث الشريف.

وإذا أصيبت الأمة بالجبن والخور فعلاجهم قوله تعالى: [أينما تكونوا

يُذِرْكُمْ الْمَوْتَ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ [النساء: ٧٨]، [قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ] (الجمعة: ٨).

وإذا مر المجتمع ببلايا ومصاعب ومحن فشفأؤهم في قوله تعالى: [أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزَلْزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرُ اللَّهَ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ] (البقرة: ٢١٤).

وإذا شعروا بالإحباط واليأس فعلاجهم قوله تعالى: [وَلَا تَيَاسُؤْا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيَاسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ] (يوسف: ٨٧)، [وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ] (الحجر: ٥٦)، [إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ] (غافر: ٥١).

وإذا ألقينا مسؤولية الانحراف والظلم على غيرنا أو على الزمن فلنقرأ قوله تعالى: [وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكُمْ] (النساء: ٧٩) [إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ] (الرعد: ١١)، [وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ] (آل عمران: ١١٧).

وإذا انصاع الناس وراء الكثرة الكاثرة ولسان حالهم (حشر مع الناس عيد) بلا تعقل وروية وبصيرة، أجابهم القرآن: [وَمَا أَكْثَرَ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ] (يوسف: ١٠٣)، [وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يَضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ] (الأنعام: ١١٦) [وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ] (يوسف: ١٠٦).

ومن الأمراض الاجتماعية التي عالجها القرآن (الإشاعة)<sup>(١)</sup> وهو داء فتاك يفرق المجتمع ويزلزل كيانه ويبلبل، أفكاره فقال فيها وفي علاجها: [وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَدَّعَوْا بِهٖ وَكَوَّوْهُ رُدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أَوْلِيَ الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلَّهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا] (النساء: ٨٣)، وغيرها الكثير مما يعالج عللنا المزمنة.

### دروس مستفادة من طريقة القرآن في إصلاح المجتمع:

وهنا ينبغي الإشارة إلى بعض الدروس المستفادة من طريقة القرآن في إصلاح المجتمع وهدايته:

١- الالتفات إلى جانب العلل أكثر من المعلولات عند معالجة حالة معينة وهو شيء مهم وضروري، فعندما يراجع المريض طبيباً ويشرح له الأعراض التي يعاني منها فإن أهم ما يقوم به الطبيب تشخيص العلة وتعيين العلاج لها، أما الاكتفاء بمعالجة الأعراض المرضية كوجع الرأس وألم البطن أو ارتفاع درجة الحرارة من دون أن يشخص العلة فهذا من خطل التفكير، فمثلاً إن من يريد أن يعالج ظاهرة التبرج، أو ميوعة الشباب وتقليدهم للغرب، أو امتناع الناس عن دفع الخمس أو أداء الصلاة، أو ارتكابهم للفواحش كشرب الخمر واللواط، أو قل: عموم ابتعاد الناس عن تطبيق شريعة الله وتعمدهم مخالفتها لا يكفي بأن يقول لهم هذا واجب فافعلوه وهذا حرام فاتركوه لأنهم مسلمون ويعرفون ذلك، فلا بد من تشخيص العلة لضعف الوازع الديني عندهم الذي هو الدافع للتطبيق

(١) صدر لاحقاً كتيب عن هذا الموضوع ضمن سلسلة (نحو مجتمع نظيف).

ومن ثم علاجه، وضعف الوازع الديني إنما منشأه ضعف الجانب الأخلاقي والعقائدي لدى المجتمع، لذا ركز القرآن في مكة - أي في أوائل نزوله - على هذين الجانبين. بما طرح من عقائد ودافع عنها بالأدلة المختلفة ورد الإشكالات الموجهة إليها، وغالبا ما كان يشير كوامن فطرتهم لأنه دليل وجداني مرتكز في باطن كل إنسان ولا يستطيع أحد إنكاره والتنصل منه، واهتم بعرض مشاهد يوم القيامة وسنن الله في الأمم السالفة وعرض الكثير من مواقف العظة والعبرة حتى أيقظ عقولهم وطهر قلوبهم وعندئذ كلفهم بالأحكام فاستجابوا لها طواعية، ونحن نعلم ان فترة التربية في مكة كانت أكثر منها في المدينة ومن هذا يعلم الاهتمام المتزايد بجانب العلل أكثر من المعلولات.

٢- ومن هنا يفتح الكلام عن الدرس الثاني المستفاد من طريقة القرآن في إصلاح النفس والمجتمع وهي ضرورة بناء الجانب الأخلاقي والعقائدي لشخصية المسلم، وقد اعتمد القرآن في هذا البناء على عدة أساليب ذكرتها في دروس (فلنرجع إلى الله) وقلنا هناك: أنه سلك طريق العوالم الثلاثة التي يعيشها الإنسان (العقل، القلب، الروح) فمثلاً يربط بين منع السماء بركاتهما والأرض خيراتها وتسلب الأشرار وعدم استجابة الدعاء فيجعل علتها ابتعاد الناس عن شريعة الله وترك فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فمن أراد أن يتخلص من هذه النتائج السيئة فليؤد هذه الفريضة. ففي الحديث: (إذا تركتم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر نزعنا عنكم البركات ونزلت عليكم البليّات

وسلطت عليكم شراركم ثم تدعون فلا يستجاب لكم<sup>(١)</sup>.

وكان على رأس هذه الأساليب ما أشرنا إليه من عرض مشاهد وأهوال الموت وما بعده ويوم القيامة وحوار الكافرين والفاسقين في النار ومع شياطينهم والتذكير بسنن الله تبارك وتعالى في المعرضين عن طاعته. قال تعالى: [دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا] (محمد: ١٠)، [فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ] (آل عمران: ١١)، وتعداد نعمه على العباد التي لا تعد ولا تحصى مع إقرارهم بحقيقة فطرية: [هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ] (الرحمن: ٦٠)، ثم بيان السعادة التي تعمر قلب الإنسان وحياته ومجتمعه لو طبق شريعة الله. قال تعالى: [وَكُلُوا مِنْ أَهْلِ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقُوا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ] (الأعراف: ٩٦). إن العقيدة والأخلاق هما اللذان يرسمان الهدف الذي يعيشه الإنسان وبالتالي فهما يُحدّدان معالم مسيرته، فمثلاً إذا أريد التبرع لمشروع خيري أو مساعدة محتاج فأيهما الذي يبادر إلى المشاركة: المؤمن الذي يتبغي رضا الله سبحانه ويرجو العوض منه أم البعيد عن الدين الذي غاية همّه الاستزادة من الدنيا والذين هم [قَدْ يَسُؤُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَسُؤُا الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ] (المتحنة: ١٣)، فالأول أسرع للمشاركة. فهذا مثال على اثر العقيدة والأخلاق في دفع الإنسان إلى التطبيق، فالمؤمن هدفه الله تبارك وتعالى، فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا، وإنما انحدرت الأمة وضلت لأنها أضاعت الهدف الذي تعيش من أجله ففرقت بهم السبل. قال تعالى: [وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ

(١) تهذيب الأحكام: ٦ / ١٧٦.

وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ [الأنعام: (١٥٣)].

فما علينا إلا ملء هذا الفراغ في عقول وقلوب المجتمع حتى تصح مسيرته وتنظم حياته وفق ما أراد الله تبارك وتعالى، وان نأخذ بطريقة القرآن في إحياء القلوب وترقيتها وتهذيب النفوس وتغذيتها بالعقائد الحقة التي هي منشأ الأخلاق الفاضلة. قال تعالى: [أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ] (الحديد: ١٦).

وهذا باب ينبغي للمفكرين والمربين الولوج فيه وهو أسلوب القرآن في الموعدة وإحياء القلوب وجميع الآيات الشريفة فيه التي لو تأملها العاقل لأعاد النظر في منهج حياته، كقوله تعالى في سورة الدخان: [كَمْ تَرَكَوْا مِنْ جَنَّاتٍ وَعَيْونَ، وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ، وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ، كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ، فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ] (الدخان: ٢٥ - ٢٩).  
وإني أنصح بقراءة كتاب (القلب السليم)<sup>(١)</sup> الذي يتألف من جزئين أولهما في العقائد والآخرة في الأخلاق وهما صادران من قلب مخلص طاهر.

٣- التدرجية في الهداية والإصلاح والأخذ بأيدي الناس برفق

(١) للمرحوم الشهيد السيد عبد الحسين دستغيب ولم يكن سماحة الشيخ يستطيع التصريح بالاسماء لأنه يعرضه لعقوبة النظام الصدامي، وكانت هذه الكتب تدخل الى العراق سراً ثم تستنسخ خفية وتوزع كذلك.

ومثالهم الرئيسي على ذلك: التدرج في تحريم شرب الخمر - باعتباره عادة راسخة في المجتمع وقد أشربت في قلوبهم وعقولهم - فتدرج في المنع على مراحل، أولها: [يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ] (البقرة: ٢١٩)، فقال بعضهم لا نشربها لأنها إثم وقد حرم الله الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم، وقال بعضهم نشربها بمقدار المنافع فيها، ثم نزل قوله تعالى: [لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ] (النساء: ٤٣)، فامتنع بعضهم وقالوا لا نتناول شيئاً منافياً للصلاة، ثم نزلت آية المائة التي أفادت المنع المؤكد الجازم: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ] (المائدة: ٩٠).

ونفس نزول القرآن نجوماً أي مبعضاً على مدى (٢٣) سنة إنما يهدف - فيما يهدف إليه - المعالجات الآتية آخذاً بنظر الاعتبار الزمان والمكان والظروف الموضوعية وتباين مستوى الناس واستعدادهم للتلقي والتطبيق.

ويمكن أن يكون التدرج بعدة أشكال فعندما يراد معالجة ظاهرة اجتماعية متأصلة - كالسنينة العشائرية مثلاً - فنبدأ أولاً بإثارة الإشكالات حول مدى صحتها وجدواها والتشكيك فيها ثم طرح البدائل والخيارات الأخرى المقابلة لها فإذا زرع في النفوس هذا التشكيك وبدأ الالتفات إلى البديل الأفضل فستنشأ القناعة بإبدالها، وعندئذ يمكن التصدي لنقضها، أما محاولة نقضها مباشرة ومن دون هذه التهيئة فإنه يعني الفشل الذريع، وما دامت راسخة ومتأصلة وقد جبل الإنسان على احترام ما هو مألوف ومورث عنده والتعبد به فسيكون هؤلاء

المتعبدون كلهم ضد اية محاولة لتغيير هذه الظاهرة الاجتماعية.  
 فعندما بُعث الرسول (ﷺ) بالنبوة لم يتعرض للأصنام مباشرة بل كان يعبد  
 الله تعالى هو (ﷺ) وعلي (عليه السلام) وخديجة (عليها السلام) بمرأى ومسمع من قريش من  
 دون أن تتعرض له بسوء، لكنه (ﷺ) فتح الباب للعديد من التساؤلات: ماذا  
 يفعل هؤلاء الثلاثة ولمن يعبدون ولماذا تركوا طريقة قومهم وما هذه الشجاعة  
 والإيمان الراسخ في قلوبهم الذي يجعلهم يقفون بكل اطمئنان مقابل الجميع...  
 هذه التساؤلات أدت إلى إسلام جماعة - راجع قصة عبد الله بن مسعود في كتب  
 السيرة - ولم تعارضه قريش لأنه لم يستفزها ولم يُثر حفيظتها فيما لو تعرض  
 للأصنام مباشرة.

#### ٤- الاهتمام وإفادات نظر الأمة إلى المراكز الأساسية لكيان

الأمة الذي لا يحفظ إلا بها خصوصاً تلك التي يعلم إعراض الأمة عنها  
 وإهمالها لأمرها من بعده (ﷺ) فشدد عليها كثيراً، مثلاً، الأمر بالمعروف والنهي  
 عن المنكر والإمامة والولاية للمؤمنين ومشاققة الكافرين ومودة ذوي القربى  
 والاعتصام بالقرآن والعترة والمواظبة على المساجد والجماعات والجمعيات، وما  
 أن غاب شخصه (ﷺ) حتى أهملت الأمة هذه الأسس الرصينة لحفظ كيانها  
 فبدأ العد السريع للانحراف فأى عودة للصلاح والإصلاح لابد لتحقيقها من إعادة  
 دور هذه الأمور في حياة الأمة إلى بحوث مستقلة بإذن الله تعالى.

#### ٥- التسلية وتطبيب خاطر والتخفيف عن المصاعب والأتعاب التي

تواجه الشخص الذي يسعى إلى إصلاح المجتمع وهدايته أو ما سميناه

بحامل القرآن كرسالة إصلاح، قال تعالى: [المص، كِتَابٌ أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِيَتَذَكَّرَ بِهِ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ] (الأعراف: ١-٢)، و[فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ كِتَابٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ] (هود: ١٢)، [وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ، إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ] (النحل: ١٢٧ - ١٢٨)، [لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ] (آل عمران: ١٨٦)، وأرقّ تعبير وألطفه قوله تعالى: [وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا] (الطور: ٤٨)، عين الرعاية واللطف والرحمة والحراسة والتوجيه والبصيرة وغيرها.

وتجد سوراً كاملة نزلت لهذا الغرض كسورة يوسف التي تحس إنها نزلت في الفترة العصبية التي عاشها رسول الله (ﷺ) في مكة قبل الهجرة حيث فقد الناصر بموت أبي طالب وخديجة (عَلَيْهِمَا السَّلَام) ويأس عمليا من إسلام قريش وحاول ان يجد مأوى آخر غير مكة كالتائف فلم يفلح فضاقت الدنيا بالمؤمنين، وفي ذلك الحين نزلت عليهم سورة يوسف تقص عليهم كيف تأمر الأخوة على أخيهم الصغير ورموه في الجب وهو يعني الموت بحسب الأسباب الطبيعة، لكن الله تعالى يرسل قافلة تستنقذه ويباع إلى بيت ملك مصر ثم يقع في محنة امرأة العزيز وباقي النساء فيسجن سنين لكن الله تعالى ينقذه من السجن ويعلمه تأويل الأحاديث، فنال ببركة ذلك موقع أمين خزائن مصر، ثم أصبح ملكا عليها بعد أن ملك قلوب الناس بأخلاقه وحسن تدييره. وهنا يأتي أولئك الإخوة المتآمرون

ذليلين بين يديه فيعفو عنهم بنفسه الكبيرة وقلبه الرحيم ويقول لهم: [لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَعْفُرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ] (يوسف: ٩٢)، ويجمع الله شمله مع أبيه وأخيه. واستعار رسول الله (ﷺ) نفس الكلمة حين فعلت قريش نفس الفعل حتى نصره الله عليهم ومكنه من رقابهم في عقر دارهم مكة فأعاد عليهم كلمة أخيه الكريم يوسف (عليه السلام) وقال (ﷺ): (لا تثريب عليكم اليوم اذهبوا فانتم الطلقاء) بعد أن استنطقهم: ما تروني فاعلاً بكم، قالوا (أخ كريم وابن عم كريم)<sup>(١)</sup>، وهذا إقرار منهم بسمو ذاته (ﷺ).

٦- الحث على طلب العلم والتعلم والتفقه بكل ما يقرب إلى الله سبحانه ويزيد من المعرفة به، وقيل أن في القرآن أكثر من خمسمائة آية تحث على العلم والتفكر وتثني على العلماء وتذمّ الجاهل والجهلاء وتصف عاقبتهم، حتى جعل القرآن صفة الفقه والعلم والمعرفة بالله تبارك وتعالى سبباً لمضاعفة قوة المؤمنين على أعدائهم عشرة أضعاف بحسب التعليل المستفاد من ذيل الآية الشريفة، قال تعالى: [يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِثَّتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ] (الأنفال: ٦٥) بينما جعل الصبر الذي هو من الأسباب المهمة للنصر بمثابة زيادة القوة ضعفاً واحداً فقط: قال تعالى: [الآن خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِثَّتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ] (الأنفال: ٦٦).

(١) تفسير نور الثقلين: ٢ / ٤٦٠.

## من فقه المواجهة مع الكفار والطواغيت:

وهذا الفقه شامل لكل نواحي الحياة، فماذا ضح القرآن من أفكار تدرج في ما يمكن تسميته فقه المواجهة مع الكفار؟ قال تعالى: [وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا] (النساء: ١٠٤)، فلماذا الفرار من لقائهم ما دامت الأضرار تحل بالطرفين؟ والفرق أنكم ترجون ما عند الله في الآخرة فلا خسارة، بينما هم لا يرجون ما عند الله شيئاً إلا العذاب الأليم.

وقوله تعالى: [وَضُنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ] (الحشر: ٢).

وقوله تعالى: [مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِّنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْؤُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ، وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ] (التوبة: ١٢٠ - ١٢١) فلماذا التقاعس والتقصير في تقديم ما تقتضيه طاعة الله تبارك وتعالى من جهد ومال ولماذا سوء الظن بالله تعالى هذا الذي يعتري الناس حين يطلب منهم دفع ما بذمتهم من حقوق شرعية كالخمس الزكاة ونحوهما؟

ومنها قوله تعالى: [ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَاجِ

المؤمنين] (يونس: ١٠٣).

ومنها هذه الآيات المباركة من سورة محمد، وإذا استطعت أن تنتقل بروحك وفكرك وقلبك إلى تلك الفترة الزمنية السعيدة من حياة البشرية وتصور أنك ضمن الجماعة المؤمنة المحيطة برسول الله (ﷺ) التي واكبته من الزمان الصعب أول الرسالة عندما كانوا قلة مستضعفين تسومهم قريش سوء العذاب حتى هذه الفترة التي دب فيها العجز واليأس لدى المشركين بعد وقعة الأحزاب حيث أصبح زمام المبادرة بيد رسول الله (ﷺ) وتوالت انتصاراتهم من فتح الحديبية إلى فتح خيبر وفتح مكة والطائف ثم اليمن والجزيرة كلها، فتصور أنك هناك وينزل عليك هذا الخطاب القرآني العظيم ومن لدن ربك ومدبر أمورك وخالق السموات والأرض يتحدث إليك مباشرة ليقول لك: [بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ] [الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ، وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ، ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ، فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبِ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثَخْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَانَ فِإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرْنَا مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيُنَبِّئَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ، سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ، وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا لَهُمْ، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَصْرَفُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ، وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ، ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ، أَلَمْ

يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ  
وَالْكَافِرِينَ أَثْمَالَهُمَا، ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ<sup>(١)</sup>،  
إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ  
وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ، وَكَأَيِّن مِّن  
قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجْتِكَ أَهْلَكَنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ، أَفَمَن كَانَ  
عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ] (محمد: ١-١٤)، [وَعَدَّ  
اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ  
الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلِيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلِيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ  
أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ]  
(النور: ٥٥).

وهو أثناء ذلك يحذر من محاولات المنافقين الذين يخذلون المؤمنين عن  
مواجهة الأعداء ويسخرون من ضعف إمكانياتهم متغافلين عن سر قوة المؤمنين  
وهي اتصالهم بالله تبارك وتعالى، فاسمعه سبحانه يقول: [إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ  
وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ  
حَكِيمٌ] (الأنفال: ٤٩).

(١) وهذه الآية تمثل الإطار العام لهذه المقابلة المؤمنين لهم مولى يرعاهم ويتولى تربيتهم  
وسعادتهم وصلاحهم وهو الله تبارك وتعالى بينما الكفار لا مولى لهم وإنما مولاهم الشيطان  
الضعيف الذي يفر عند المواجهة ويخذلهم [وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ  
الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَأَتِ الْفُتَاتِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقَبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكُمْ إِنِّي  
أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ] (سورة الأنفال: ٤٨).

وتندرج في هذا السياق - أعني فقه المواجهة مع الكفار - كل الوعود الإلهية بالنصر والغلبة ووراثة الأرض، وأن العاقبة لهم، وأن الله معهم، وتنزل الملائكة عليهم بالسكينة من ربهم، ورفع الخوف والحزن عنهم، وعقد صفقة الشراء معهم فيشتري منهم أنفسهم وأموالهم والثلث الجنة، وكذا مضاعفة القرض لله تبارك وتعالى والإنفاق في سبيله. ولا يسع هذا المختصر كل التفاصيل.

والحقيقة الكبرى التي يثبتها القرآن الكريم بهذا الصدد أن النصر والهزيمة أمام العدو الخارجي - الكفار - إنما هي فرع النصر والهزيمة مع العدو داخل النفس الأمانة بالسوء وهو الشيطان، فتراه عندما يعد المؤمنين بخلافة الأرض ووراثة من عليها فإنه يجعل الخطوة الأولى في ذلك إصلاح الذات وتطبيق المنهج الإلهي على النفس أولاً، قال تعالى: [وَتُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ، وَتَمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَتُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ] (القصص: ٥ - ٦)، فأولاً جعلهم أئمة وهو يعني تطهير ذواتهم وتنزيهها، ويؤكد أن لا قيمة للنصر على الكفار إذا لم يكن مقترناً بالنصر على الشيطان وإخلاص العمل لله سبحانه لأن العمل أن لم يكن ابتغاء مرضاة الله فهم والكفار على حد سواء وكلاهما أهل دنيا وما لهما في الآخرة من نصيب.

فمثلاً في خضم هزيمة المسلمين في معركة أحد والخسارة الأليمة التي حلت بهم يخاطبهم سبحانه: [إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا] (آل عمران: ١٥٥) فهزيمتهم وإدبارهم كان

بسبب ما اكتسبوا من السيئات، وبالمقابل يقول تعالى: [إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ] (محمد: ٧)، ونصر الله يكون بطاعته تبارك وتعالى وإلا فإنه غني عن العالمين، والآية المتقدمة [وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ]، ومن هنا خاطب رسول الله (ﷺ) سرية مجاهدين عادت من القتال: (مرحبا بكم، قضيتم الجهاد الأصغر وبقي عليكم الجهاد الأكبر. قيل: وما هو يا رسول الله؟ قال: جهاد النفس)<sup>(١)</sup>.

### الكيان الصهيوني من الأعراض المرضية فعالجوا أصل المرض:

فعندما يهتم المسلمون اليوم بأمر الدولة الصهيونية اللقيطة ويسعون إلى إزالتها، عليهم أن يلتفتوا إلى أن هذه الدولة ما هي إلا أحد الأعراض المرضية التي تظهر على جسد الأمة الإسلامية نتيجة وجود مرض كامن فيها هو الأصل والعلة لهذه الأعراض، والمرض هو ابتعاد المسلمين عن المنهج الإلهي في حياتهم فلا ينبغي لهم الاهتمام بالأعراض المرضية والغفلة عن علة هذه الأعراض، ويكون مثلهم كما يجري في ساحة مصارعة الثيران - على تشبيه أحد المفكرين<sup>(٢)</sup> - فالثور الهائج يركز كل همه وعدائه وغضبه وقوته على الخرقه الحمراء ويغفل عن المصارع الحامل لها، فراح هذا المصارع يغرز في عنقه الخناجر التي تصيب مقتله وهو غافل عنه حتى يموت ويفنى. فلا يكون حالنا كحال ذلك الثور؟! وأنت ترى أن الأمة تقترب من النصر على أعدائها كلما اقتربت من النصر على أنفسها وبمقدار ما تعود وترجع إلى الله تبارك وتعالى.

(١) الكافي: ١٢/٥، باب: وجوه الجهاد.

(٢) وهو: الشيخ جودة سعيد.

## فائدة تكرار القصص في القرآن:

٧- تكرار واستمرار جرعات العلاج وعدم الاكتفاء بعرض العلاج لمرة واحدة عند التصدي لتصحيح حالة منحرفة أو سد نقص أو علاج خلل موجود في فكر الأمة أو عقيدتها أو سلوكها، فمثلاً تجد قصص بعض الأنبياء قد تكررت أكثر من عشر مرات وكل طرح له ذوقه وأثره ودوره في تحقيق الغرض ويترك انطبعا غير الذي يتركه الآخر وان كان الجميع بنفس المضمون.

فعندما نريد أن تناول قضية تبرج المرأة أمام الرجل وخلاعتها ونصب نفسها شيطانا يصد عن ذكر الله تعالى وطاعته لتجسيد قول إبليس عملياً: [لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ، ثُمَّ لَا يَتَيْنَهُمْ مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ] (الأعراف: ١٦ - ١٧)، وهذه الفاسقات يستعملن شتى الأساليب لغواية الرجال وإيقاعهم في المعصية من السفور المتبرج في الشارع إلى الحركات المتميعة في الجامعات إلى إبداء مفاتن الجسد إلى الرياضة إلى المشاهد الخليعة في الفن.

فعندما نريد أن نتصدى لمواجهة هذا الداء الفتاك في المجتمع فيمكن معالجته في كتاب عن الظواهر الاجتماعية المنحرفة وكتاب عن قضايا المرأة وكتاب عن اثر الرياضة والفن في تدمير أخلاقيات المجتمع وكتاب عن مشاكل طلبة الجامعات وهمومهم وتطلعاتهم وكتاب بنفس المضامين عن الشباب وكتاب عن فقه العائلة ويتضمن الروابط الأسرية والاجتماعية وفق تعاليم الشريعة وهكذا لان هذه المشكلة الخطيرة تدخل في جميع هذه المحاور، وتناولها في كل

المحاور يعطيها صورة ونمطا غير الذي يعطى عند عرضها في محور آخر، ولا اقل من ازدياد عدد الشرائح التي تخاطبها هذه الكتب وبالنتيجة تكون الصورة متكاملة عندما تُتناول من جميع الاتجاهات<sup>(١)</sup>.

٨- سلوك مختلف الطرق لهداية الإنسان ولما كان له عوالم ثلاثة

هي النفس والعقل والقلب فتجده قد سخرها جميعا ووظفها لاستمالة البشر إلى طاعة الله تبارك وتعالى وقد شرحت ذلك بشيء من التفصيل في دروس (فلنرجع إلى القرآن).

وتجده كثيراً ما يستنطق الفطرة ويستشيرها وقد وصف علة إنزال القرآن في بعض الأحاديث أنه: (ليستشير كوامن فطرتهم) فإن الوجدان أوضح دليل وأصدق لا يناقش فيه أحد، فاستمع إليه تعالى وهو يخاطب الفطرة في إثبات الصانع: [أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ، أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ]، [أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ، أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ]، [أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ، أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ]، [أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ، أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ] (الواقعة: ٥٨ - ٧٢)، أو يقول تعالى وهو في مقام عتاب الإنسان العاصي: [هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ] (الرحمن: ٦٠)، وأنت ترفل في نعم الله تبارك وتعالى: [وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها] (إبراهيم: ٣٤).

(١) تم إصدار كتيبات ونشرات تغطي كل هذه المحاور المذكورة بفضل الله تبارك وتعالى، وكانت تنتشر بسرعة وبكميات كبيرة مما أدى إلى رعب النظام وارتباكه وسعى بمكره وخدعه لمعرفة من يتولى الطبع والنشر واعتقل بعضهم.

## كيف السبيل إلى إعادة تفعيل دور القرآن؟

وأعود الآن إلى التساؤل الذي طرحناه وهو كيف السبيل إلى إعادة القرآن إلى الحياة والاستفادة منه، ويتحمل مسؤولية ذلك طرفان: المجتمع والحوزة الشريفة التي هي عنوان ورمز وعي الأمة وفكرها ومستواها الديني فقد قلنا إن أهم وظيفة تقوم بها الحوزة في المجتمع هي طرح مفاهيم القرآن ورؤاه وتصوراته وأخلاقه وعقائده - التي أشرنا إلى بعضها - إلى المجتمع بالفهم الصحيح النقي كما يريده القرآن وبالشكل المناسب ليكون دوره فاعلا في حياة الأمة ويكون ذلك بعدة قنوات كالمنبر الحسيني والمحاضرات والندوات وخطب الجمعة والجماعة والكتب والمجلات والنشرات ونحوها.

ولكن قبل ذلك يجب إعادة القرآن إلى مناهج الدراسة الحوزوية ويتم ذلك على مستويين:

**الأول: الدراسات الأولية أي مستوى المقدمات والسطوح الابتدائية**  
 فيعطون المناهج التالية<sup>(١)</sup>:

١- حفظ وتلاوة القرآن الكريم وضبطه بالشكل وفق قواعد اللغة العربية وإتقان قواعد تجويده ضمن الإطار الشرعي.

٢- تفسير إجمالي للألفاظ ولو على نحو شرح المفردات كما في تفسير شبر ونحوه، ليأخذ الطالب أفكاراً عامة عن معاني القرآن.

٣- دراسة علوم القرآن، وأفضل كتاب في ذلك (البيان) أو مقدمة كتاب

(١) أدخل سماحة الشيخ هذه المفردات كلها في برامج الدراسة في جامعة الصدر الدينية التي يشرف عليها.

آلاء الرحمن المطبوعة في أول تفسير شبر.

٤- إقامة المسابقات في العلوم المختلفة عن القرآن وتخصيص جوائز للفائزين والمتفوقين.

الثاني: الدراسات العالية ويكون على شكل عدة خطوات:

١- فتح باب التخصص في الدراسات القرآنية، وأفضل وقت له هو بعد إكمال السطوح العالية حيث يعد الطالب المتخصص منهجاً خاصاً به ويمكن أن يستفيد من بعض الكتب الموجودة بعد أن يجري اختبار معين لاكتشاف أهلية الطالب الذي يريد التخصص في هذا المجال ويفرغ لهذه الدراسة مع توفير المصادر ذات الصلة ليكون مدرساً أو مفسراً أو باحثاً قرآنياً.

٢- دراسة تفسير القرآن بشكل معمق أما كل القرآن أو آيات ومقاطع منتقاة منه تخدم هدفاً معيناً، ويمكن ان يتخذ احد التفاسير متناً يتولى المدرس شرحه والتعليق عليه وإضافة ما يمكن إضافته من المعلومات النافعة المستفادة من التفاسير والمصادر الأخرى، وفي رأيي القاصر إن من المصادر المفضلة هما الميزان وفي ظلال القرآن لأن لكل منهما اتجاهات خاصة في التفسير غير الآخر يعلمه من نهل من معارفهما.

٣- وضع مناهج للدروس في مفاهيم القرآن وتصورات ونظرياته وأطروحاته وفلسفته في الكون والحياة بعد أن يكون الطالب قد أخذ تفسيراً اجمالياً لألفاظ القرآن في دراسته السابقة، وتحصل هذه الأمور بدراسة آيات القرآن دراسة موضوعية وليس بالطريقة التجزيئية المتعارفة وإن كانت هذه

الطريقة هي الأساس لتلك، وقد قارنت بين المنهجين في كتابي المخطوط (مدخل إلى تفسير القرآن) الذي يعد هذا البحث مقدمة له.

ويركز على المواضيع العلمية أي التي لها واقع معاش سواء على صعيد العقائد أو الأخلاق أو الفكر، فتتناول مثلاً: التقوى، الصبر، الفقه، التوحيد، الإمامة، الولاية، الشيطان، المعاد، المجتمع المسلم مقومات بنائه وعوامل انهياره، الرجاء والأمل، الموعدة والعبرة، سنن الله في الأمم والمجتمعات، وهكذا، وعندئذ ستتغير الكثير من أفكارنا لأن المعاني المتداولة الآن للألفاظ القرآنية لا تنطبق بالضبط على الفهم القرآني لها بحسب استقراء موردها في القرآن بسبب ما تراكم من غبار التأويلات والتفسير بالرأي وتحكيم الأهواء والتعصبات وحملات المغرضين وغيرها.

### الفقه والفقيه في المصطلح القرآني:

وقد عرضنا قبل قليل مفهوم الجاهلية في المصطلح القرآني وصفات وخصائص المجتمع الجاهلي والبدائل الإلهية التي يقدمها القرآن وهكذا كنموذج لمفهوم اجتماعي.

وأقدم الآن الفهم القرآني للفظ حوزوي وهو (الفقه) كمثال آخر، فالفقه يتداول عندنا على انه العلم بالأحكام الشرعية رغم أنه في المصطلح القرآني بمعنى المعرفة بالله تبارك وتعالى ولا ملازمة بينهما كما هو واضح بل النسبة بينهما العموم من وجه.

ففي الآية الشريفة: [فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ

وَلْيَنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ] [٢٦٩] ونحن نعلم ان الحذر والتقوى لا ينشآن من المعرفة بالأحكام الشرعية بل للحذر مناشئته الروحية والنفسية والعقلية وبعد حصول التقوى والمعرفة في القلب يندفع إلى تعلم الأحكام الشرعية وتطبيقها وتستطيع أن تجرب ذلك بنفسك فاقراً كتب الفقه وتعمق فيها من أولها إلى آخرها هل تراها غدت قلبك بشيء أو زادت فيه الحذر والتقوى؟ وكم رأينا فقيها بالمعنى الاصطلاحي وهو مكب على الدنيا وبعيد كل البعد عن الله تبارك وتعالى.

والقرآن يقص علينا خبر مثل هذا الفقيه: [وَأَنْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ، وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلُ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرُكُهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا فَاقْصُصْ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ] (الأعراف: ١٧٥ - ١٧٦).

ومن الشواهد على أن معنى الفقه هو المعرفة بالله تعالى جعل محله القلب في الآيات الشريفة وهو محل المعرفة الحقيقية بالله تعالى، بينما الأحكام الشرعية محلها العقل، قال تعالى: [رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ] (التوبة: ٨٧)، وقال تعالى: [لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا] (الأعراف: ١٧٩).

لذا جعلت الآية هذا الفقه أي المعرفة الراسخة بالله والمبدأ والمعاد سبباً لمضاعفة القوة عشرة اضعاف. قال تعالى: [يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضْ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِثَّتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِثَّةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا

مَنْ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ [الأنفال: ٦٥].

ويؤكد هذا المعنى ما ورد في الحديث الشريف عن رسول الله (ﷺ) قال:  
 (ألا أخبركم بالفقيه حقاً؟ من لم يقنط الناس من رحمة الله ولم يؤمنهم من عذاب  
 الله ولم يؤيسهم من روح الله، ولم يرخص في معاصي الله ولم يترك القرآن رغبة  
 عنه إلى غيره، ألا لا خير في علم ليس فيه تفهم، ألا لا خير في قراءة ليس فيها  
 تدبر، ألا لا خير في عبادة ليس فيها تفقه)<sup>(١)</sup> هذا في كتاب الوسائل. وللحديث  
 بقية في مصدر آخر<sup>(٢)</sup> كالتالي: (فإنه إذا كان يوم القيامة نادى مناد: يا أيها الناس  
 إن أقربكم من الله تعالى مجلساً أشدكم له خوفاً، وإن أحبكم إلى الله أحسنكم  
 عملاً، وإن أعظمكم عند الله نصيباً أعظمكم فيما عنده رغبة، ثم يقول عز وجل: لا  
 أجمع لكم اليوم خزي الدنيا وخزي الآخرة، فيأمر لهم بكراسي فيجلسون عليها،  
 وأقبل عليهم الجبار بوجهه وهو راض عنهم وقد أحسن ثوابهم).

فترى أن صفات الفقيه كل ما يقرب إلى الله تبارك وتعالى، وفي حديث  
 عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: (كانت الفقهاء والحكماء إذا كاتب بعضهم بعضاً  
 كتبوا ثلاثاً ليس معهن رابعة: من كانت الآخرة همته كفاه الله همه من الدنيا، ومن  
 أصلح سريرته أصلح الله علانيته، ومن أصلح فيما بينه وبين الله عز وجل أصلح الله  
 فيما بينه وبين الناس)<sup>(٣)</sup>.

(١) بحار الأنوار: ٤٩/٢، باب: صفات العلماء وأصنافهم، حديث ٨

(٢) مدينة البلاغة: صفحة ٩٨، عن كتاب الجعفریات.

(٣) الخصال: صفحة ١٢٩ باب الثلاثة.

وفي حديث عن أبي الحسن (عليه السلام): (من علامات الفقه الحلم والعلم والصمت، إن الصمت باب من أبواب الحكمة وإن الصمت يكسب المحبة وإنه دليل على كل خير)<sup>(١)</sup>.

ويمكن استفادة هذا المعنى بالجمع بين حديثين ففي الخصال عن رسول الله (صلى الله عليه وآله): (صنفان من أمتي إذا صلحا صلحت أمتي وإذا فسدا فسدت أمتي: الأمراء والفقهاء)<sup>(٢)</sup> وفي الوسائل عن الأمالي. بدل العلماء القراء فإذا ضمنا إليه الحديث الآتي في صفة القراء نحصل على المعنى المذكور.

فبين الفقيه بالمصطلح القرآني والفقيه بالمعنى الحوزوي عموم من وجه إذ قد يكون فقيها بالمعنى القرآني وهو ليس كذلك بالمعنى الحوزوي إذ يوجد الكثير من أولياء الله العارفين ولهم الكرامات المشهودة مع أنهم لم يبلغوا درجة عالية في العلوم الحوزوية وقد يكون العكس فتجد شخصاً امتلأ ذهنه بالنظريات والأفكار الأصولية والعقلية والمسائل الفقهية بحيث تجده ملماً حتى بدقائق المسائل لكن قلبه غير معمور بذكر الله تعالى ولو سأله عن أبسط مسألة في تهذيب النفس والسلوك الصالح إلى الله تبارك وتعالى وتصفية الباطن وتطهير القلب لبقى متحيراً، فمثل هذا ليس فقيها بالمعنى القرآني، والكامل هو من جمع المعنيين كما هو شأن علمائنا المقدسين الذين بلغوا مقاماً عالياً في الفقه والأصول وشامخاً في العرفان، وهم المقصودون في الحديث الشريف: (الفقهاء أمناء

(١) الاختصاص: ٢٣٢.

(٢) تقدم مصدره في بداية الكتاب.

الرسول<sup>(١)</sup>، وبمثل هذا المنظار القرآني يجب أن نفهم الأحاديث الشريفة لئلا تضيع علينا معانيه السامية.

### مسؤولية الحوزة عن تفعيل دور القرآن:

وإني هنا أذكر حديثاً واحداً فقط يبين مسؤولية الحوزة الشريفة عن توعية المجتمع وهدايته وإصلاحه فقد روي أن رسول الله (ﷺ) (خطب فحمد الله وأثنى عليه ثم ذكر طوائف من المسلمين فأثنى عليهم، ثم قال: ما بال أقوام لا يتعلمون من جيرانهم ولا يتفقهون ولا يتفطنون؟ والذي نفسي بيده ليعلمن جيرانهم أو ليتفقهن أو ليتفطنن أو لأعاجلهم بالعقوبة في دار الدنيا، ثم نزل ودخل بيته، فقال أصحاب رسول الله (ﷺ): من يعني بها الكلام؟ قالوا: ما نعلم يعني بهذا الكلام إلا الأشعريين فقهاء علماء ولهم جيران جفاة جهلة.

فاجتمع جماعة من الأشعريين فدخلوا على النبي (ﷺ) فقالوا: ذكرت طوائف من المسلمين بخير وذكرتنا بشر فما بالنا؟ فقال رسول الله (ﷺ) لتعلمن جيرانكم ولتفقهنم ولتأمرنهم ولتنهّنهم أو لأعاجلنكم بالعقوبة في دار الدنيا، فقالوا: يا رسول الله فأمهلنا سنة ففي سنة ما نعلمهم ويتعلمون فأمهلهم سنة ثم قرأ رسول الله (ﷺ): [لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ، كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ] (٢).

(١) بحار الأنوار: ٣٦/٢ حديث ٣٨.

(٢) الميزان في تفسير القرآن: ٦ / ٨٤ في تفسير الآية، عن كتاب الدر المنثور.

هذه هي بعض المقترحات التي أقدمها بين يدي الحوزة الشريفة في هذا المجال والوظيفة المشتركة للجميع هي المواظبة على تلاوة القرآن والاستفادة منه آناء الليل وأطراف النهار وستعرف الكثير عن هذا من خلال الأحاديث الشريفة الآتية.

وهذه الوظيفة للحوزة لا تخصصهم وإنما خاطبناهم بها لوجوبها عليهم أكثر من غيرهم، وإلا فالمجتمع كله مسؤول عن اتباع هذه الخطوات بحسب ما يناسب كل فرد، فذوو المعرفة القليلة يبدأون بقراءة التفاسير المبسطة كتفسير شبر. وإني أنصح كل مسلم - وهو ما جربته أنا - أن يبدأ حياته مع القرآن بأن يتلوه في مصحف وعلى هامش كل صفحة تفسيرها مختصراً كتفسير شبر؛ ليتسنى له فهم مفردات الآيات خلال تلاوتها، ويستمر على هذا الحال عدة ختمات إلى أن يمتلك معرفة إجمالية بالقرآن، ثم يعود إلى نسخة المصحف يتلو فيها مع تطوير قابليته بقراءة كتب التفسير المتقدمة كالميزان وفي ظلال القرآن ويقراً الكتب التي شرحت مفاهيم القرآن أو تناولت القرآن بحسب الموضوعات، حيث يتخذ احدها عنواناً للبحث ثم يستقري القرآن فتجتمع كل الآيات المتعلقة بذلك العنوان ثم يستنتج من المجموع تصور القرآن ونظريته - وأنا هنا استعير هذه المصطلحات الفكرية لأجل استئناس الأذهان بها مع بعض التحفظات - لهذا الموضوع الذي يفترض فيه أن يعالج مشكلة واقعية يعيشها المجتمع سواء كانت عقائدية أو أخلاقية أو فكرية أو غيرها.

وقد يكون من الأفضل متابعة ذلك مع بعض فضلاء الحوزة الشريفة

ليوجهوهم ويحييوا عن تساؤلاتهم ويرشدوهم لما ينفعهم فإن المجتمع والحوزة أحدهما يكمل الآخر، فالحوزة توجه المجتمع والمجتمع يضغط على الحوزة لتكون بمستوى المسؤولية وبمستوى حاجة الأمة وطموحاتها ومواكبة للزمان الذي تعيشه وعندئذ ستنفرز العناصر الكفوءة من الحوزة عن غيرها وستعرف الأمة من هو الأصلح لها.

إن القرآن لا يفهم حق فهمه إلا عندما يحمله الإنسان كرسالة يصلح بها نفسه والذين من حوله ويواجه بها الخطأ والانحراف الذي يضرب بأطنابه على البشرية، عندئذ يعيش في مثل الأجواء التي نزل فيها وعندئذ تفتح له أسراره، ولا تكفي قراءته لمجرد التبرك وإن كان في ذلك فضل لا ينكر.

ومن الضروري أن تتناول إحدى الدراسات القرآن بحسب تأريخ نزول آياته وإن كان الإلمام بذلك تفصيلاً أمراً متعسراً لعدم وجود دليل قطعي عليه إلا أنه يمكن اقتناص بعض موارده ويستفاد من هذا البحث فوائد كثيرة في مجال معرفة خطوات القرآن في إصلاح المجتمع باعتباره نزل تدريجياً بحسب الوقائع والحوادث.

إن هذا التنزيل المتدرج للقرآن بدلاً من النزول دفعة واحدة له وقعه المباشر وتأثيره الفعال في الحالات التي عالجها، قال تعالى: [وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا] (الإسراء: ١٠٦)، وما دام هو كتاب تربية وهداية وإحياء فلا بد أن يكون تدريجياً وبلطف فيصف العلاج المناسب في الوقت المناسب وبالجرعة المناسبة لا أقل ولا أكثر ولا قبل الموعد ولا بعده، وهكذا

أخذ القرآن بيد هذه الأمة برفق لتجد نفسها بعد عقدين من الزمان في قمة السمو والكمال والرفعة والعزة والمنعة.

### بعض الآداب والمستحبات المتعلقة بتلاوة القرآن:

وأود هنا أن أذكر بعض الآداب والسنن والمستحبات المتعلقة بقراءة القرآن والمستفادة من الروايات الشريفة:

١- يستحب ختم القرآن في الشهر مرة، وأن لا تزيد عن أربعة أشهر أي يختمه في السنة ثلاث مرات غير الزيادات التي ينبغي إضافتها في شهر رمضان المبارك.

٢- أن تكون قراءته على نحو الختمة أي يبدأ من أول القرآن إلى آخره، وليس قراءة سور متفرقة اشتهر فضلها بين الناس مهما كانت أهميتها، ليمر على القرآن كله وينال كل بركاته وهو المعبر عنه في الحديث الشريف الآتي: (الحال المرتحل)<sup>(١)</sup>.

٣- أن يصادف الختم يوم الجمعة وأن يقرأ عند ختم القرآن الدعاء المختص به وهو موجود في الصحيفة السجادية.

٤- عندما يختم القرآن لا يقف عند نهايته بل يصله مباشرة بافتتاح ختمه جديدة ولو بأن يبدأ بسورة الفاتحة وأول خمس آيات من سورة البقرة.

٥- أن يكون على طهارة وفي مصلاه مستقبلاً القبلة.

٦- ورد في تفسير قوله تعالى: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا]

(١) الكافي: ٢ / ٦٠٥.

وَرَابِطُوا] (آل عمران: ٢٠٠)، إن من المرابطين من يثبت على مصلاه ينتظر حلول وقت الفريضة، فلتحصيل فضل المرابطين يستغل المؤمن هذه الحالة وهي فترة انتظار وقت الصلاة لتلاوة القرآن ويكون الأجر أعظم لو كان ذلك في المسجد منتظراً صلاة الجماعة.

٧- وورد استحباب النوم على طهارة وقراءة القرآن قبل أن يأوي المؤمن إلى فراشه وفي حديث إنه: (من أحدث ولم يتوضأ فقد جفاني ومن توضأ ولم يصل ركعتين فقد جفاني ومن صلى ركعتين ولم يدعني فقد جفاني ومن دعاني ولم أجه فقد جفوته ولست برب جاف)<sup>(١)</sup>، وإذا أضيف لها الاستحباب المؤكد لصلاة الليل، واستحباب التخلي قبل النوم، واستحباب السواك، خرجنا من ضم المجموع بوُردٍ مهم وهو أن المؤمن قبل أن يأوي إلى فراشه يتخلى وينظف أسنانه ثم يتوضأ ويصلي صلاة الليل، إما كلها أو بعضها، ويؤد البعض الآخر إلى ما قبل طلوع الفجر ثم يقرأ مقداراً من القرآن الكريم ويدعو الله سبحانه له وللمؤمنين فإنه سيجمع كل هذه المستحبات. أما الإنسان الذي يسهر الليل على البرامج والأفلام الفاسدة التي تتعب أعصابه وترهقه فيعيش في معاناة ونكد.

٨- أن تكون تلاوته للقرآن خصوصاً للمبتدئين في تفسير شبر الذي يتضمن أكثر من فائدة ففيه نسخة من المصحف الشريف وفيه تفسير إجمالي لمعاني القرآن، وهو ما قلناه أنه ضمن مناهج الدراسات الأولية للقرآن، وفيه مقدمة في علوم القرآن وهو درس آخر، وفيه ملحق بفهرس الألفاظ القرآنية

(١) وسائل الشيعة: كتاب الطهارة، أبواب الوضوء، باب ١١، حديث ٢.

بحيث أن أي آية تريد معرفة موضعها تستخرج من هذا الدليل وموضع أي كلمة منها، وفيه القراءات المتعددة للكلمة الواحدة إن وجدت في هامشه، وفيه ترتيب نزول السور ففي عنوان كل سورة يقول أنها نزلت بعد كذا سورة، كل هذه الفوائد في هذا الكتاب الجليل.

٩- أن يبدأ بإهداء الختمة الأولى لرسول الله (ﷺ) ثم الثانية لأmir المؤمنين (عليه السلام) وهكذا لجميع المعصومين الأربعة عشر (عليهم السلام)، فقد وردت فيه رواية شريفة وهم أكرم الخلق فسردون الهدية بما يليق بكرمهم يوم القيامة.

١٠- رفع الصوت بالقرآن عند التلاوة، وان يكون حزينا وان يتدبر معانيه ولا يكن هم أحدكم نهاية السورة، كما في الحديث.

١١- استحباب القراءة في المصحف حتى لو كان حافظاً لما يقرأ، ويستحب أن يكون لكل فرد من أفراد العائلة نسخة من المصحف الشريف خاصة به يضع فيه علامة.

١٢- الإنصات إلى القرآن وتدبر ما يسمع في أية فرصة تسنح للاستماع. أسأل الله تعالى أن يحيينا حياة القرآن وينيلنا شفاعته ويجعلنا ممن يهتدي بهداه ويستضيء بنور علمه إنه ولي النعم وهو اللطيف بعباده ومن لطفه بنا أن هدانا إلى دينه القويم وأتحفنا بكتابه الكريم ونبيه العظيم وأهل بيته الميامين الغرر. الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا نهتدي لولا أن هدانا الله.

## الأربعون حديثاً في فضل القرآن وآثاره وأدب تلاوته:

وسأكتفي هنا بذكر نصوص الأحاديث مع جعل عنوان مناسب لمضمونها، وتصنف الأحاديث بحسب المضامين، أما شرحها وبيان ما فيها من نكات فيمكن أن يكون له محل آخر، وسوف لا أتحدد بالعدد أربعين لأن الأخبار التي حثت على حفظ أربعين حديثاً لا نفهم منها أنها بشرط لا عن الزيادة فالزيادة خير إذن.

### ١- ضرورة تعلمه:

عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: (ينبغي للمؤمن أن لا يموت حتى يتعلم القرآن أو أن يكون في تعليمه)<sup>(١)</sup>.

وعن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: (لا يعذب الله قلباً وعى القرآن)<sup>(٢)</sup>.

وعنه (صلى الله عليه وآله) قال: (خياركم من تعلم القرآن وعلمه)<sup>(٣)</sup>.

وعنه (صلى الله عليه وآله) قال: (حملة القرآن في الدنيا عرفاء أهل الجنة يوم القيامة)<sup>(٤)</sup>.

وعنه (صلى الله عليه وآله) قال: (القرآن غنى لا غنى دونه ولا فقر بعده)<sup>(٥)</sup>.

وعنه (صلى الله عليه وآله) قال: (إذا قال المعلم للصبي: بسم الله الرحمن الرحيم فقال

الصبي بسم الله الرحمن الرحيم كتب الله براءة للصبي وبراءة لأبويه وبراءة للمعلم)<sup>(٦)</sup>.

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: (الحافظ للقرآن العامل به مع السفارة الكرام

البررة)<sup>(٧)</sup>.

(١) و(٢) و(٣) و(٤) و(٥) و(٦) وسائل الشيعة: كتاب الصلاة، أبواب قراءة القرآن ولو في غير

الصلاة، باب ١، الأحاديث ٤، ٥، ٦، ١١، ١٦ بحسب الترتيب.

(٢) المصدر السابق، باب ٥، حديث ١.

## ٢- تعلم القرآن أعظم نعمة:

عن النبي (ﷺ) أنه قال: (من قرأ القرآن فظن أن أحداً أعطي أفضل مما أعطي فقد حقر ما عظم الله، وعظم ما حقر الله)<sup>(١)</sup>.

## ٣- القرآن شافع مشفع وخصم مصدق:

عن الرسول (ﷺ) أنه قال في حديث: (إذا التبست عليكم الفتن كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن فإنه شافع مشفع وما حلُّ مصدق، ومن جعله أمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلفه ساقه إلى النار، وهو الدليل يدل على خير سبيل، وهو كتاب فيه تفصيل وبيان تحصيل - إلى أن قال - لا تحصي عجائبه ولا تبلى غرائب، مصابيح الهدى ومنار الحكمة)<sup>(٢)</sup>.

## ٤- صفة قارئ القرآن:

عن أبي عبد الله (عليه السلام) أنه قال: (ينبغي لمن قرأ القرآن إذا مرّ بآية من القرآن فيها مسألة أو تخويف أن يسأل عند ذلك خير ما يرجو ويسأله العافية من النار ومن العذاب)<sup>(٤)</sup>.

وعن رسول الله (ﷺ): (إني لأعجب كيف لا أشيب إذا قرأت القرآن)<sup>(٥)</sup>، ومن خطبة أمير المؤمنين (عليه السلام) في وصف المتقين قال: (أما الليل فصافون أقدامهم تالين لأجزاء الكتاب يرتلونه ترتيلاً، يحزنون به أنفسهم ويستثيرون به تهيج أحزانهم، بكاء على ذنوبهم، ووجع كلوم جراحهم، وإذا مروا بآية فيها

(١) المصدر، باب ٢، حديث ٣.

(٢) و(٤) و(٥) المصدر، باب ٣، الأحاديث ٣، ٢، ٦ بحسب الترتيب.

تخويف أصغوا إليها مسامع قلوبهم وأبصارهم فاقشعرت منها جلودهم ووجلّت قلوبهم فظنوا أن سهيل جهنم وزفيرها وشهيقها في أصول آذانهم، وإذا مروا بآية فيها تشويق ركنوا إليها طمعاً وتطلعت أنفسهم إليها شوقاً، ووطنوا أنها نصب أعينهم<sup>(١)</sup>.

#### ٥- وجوب إكرام حملة القرآن وحرمة الاستخفاف بهم:

عن رسول الله (ﷺ) قال: (إن أهل القرآن في أعلى درجة من الآدميين ما خلا النبيين والمرسلين فلا تستضعفوا أهل القرآن حقوقهم، فإن لهم من الله العزيز الجبار لمكاناً)<sup>(٢)</sup>.

#### ٦- ثواب من يصعب عليه تعلم القرآن وحفظه:

عن الصادق (عليه السلام) قال: (من شُدّد عليه القرآن كان له أجران ومن يسر عليه كان مع الأولين)<sup>(٣)</sup>.

وعنه (عليه السلام) قال: (إن الذي يعالج القرآن ويحفظه بمشقة منه وقلة حفظ له أجران)<sup>(٤)</sup>.

#### ٧- وجوب قراءة البسملة قبل السورة:

عن الصادق (عليه السلام): (إذا أمّ الرجل القوم جاء شيطان إلى الشيطان الذي هو

(١) المصدر، نفس الباب، حديث ٦.

(٢) المصدر، باب ٤، حديث ١.

(٣) المصدر، باب ٥، ح ٣.

(٤) المصدر، حديث ٢.

قرين الإمام فيقول: هل ذكر الله يعني هل قرأ بسم الله الرحمن الرحيم فإن قال نعم هرب وإن قال لا ركب عنق الإمام ودلى رجله في صدره فلم يزل الشيطان أمام القوم حتى يفرغوا من صلاتهم<sup>(١)</sup>.

#### ٨- استحباب قراءة القرآن عند زيارة القبور:

في (من لا يحضره الفقيه) عن الإمام الرضا (عليه السلام): (ما عبد مؤمن زار قبر مؤمن فقراً عنده إنا أنزلناه في ليلة القدر سبع مرات إلا غفر الله له ولصاحب القبر)<sup>(٢)</sup>.

وفي رواية أخرى: (أمن من الفزع الأكبر) وفي معناه روايات عديدة. وفي أخرى استحباب إضافة سورة الفاتحة والمعوذتين والتوحيد وآية الكرسي كل منها ثلاث مرات، وورد في ثوابها: (إن الله يبعث إليه ملكاً يعبد الله عند قبره ويكتب له وللमित ثواب ما يعمل ذلك الملك فإذا بعثه الله من قبره لم يمر على هول إلا صرفه الله عنه بذلك الملك الموكل حتى يدخله الله به الجنة)<sup>(٣)</sup>.

#### ٩- فضل تعلم القرآن في الشباب وآثاره:

عن الصادق (عليه السلام) قال: (من قرأ القرآن وهو شاب مؤمن اختلط القرآن بلحمه ودمه، وجعله الله من السفارة الكرام البررة، وكان القرآن عنه حجيلاً يوم القيامة، يقول: يا رب إن كل عامل قد أصاب أجر عمله غير عاملي، فبلغ به أكرم

(١) بحار الأنوار: ٢٠/٨٢.

(٢) وسائل الشيعة: كتاب الطهارة، أبواب صلاة الجنائز، باب ٥٧، حديث ٥.

(٣) جامع أحاديث الشيعة: كتاب الصلاة، أبواب زيارة القبور، باب ٢ وفيه عشرة أحاديث.

عطائك، قال: فيكسوه الله العزيز الجبار حلتين من حلال الجنة ويوضع على رأسه تاج الكرامة، ثم يقال له: هل أرضيناك فيه؟ فيقول القرآن: يا رب قد كنت أرغب له فيما هو أفضل من هذا، قال: فيعطى الأمن بيمينه والخلد بيساره ثم يدخل الجنة فيقال له اقرأ آية فاصعد درجة، ثم يقال له: هل بلغنا به وأرضيناك؟ فيقول: نعم<sup>(١)</sup>.

### ١٠- ضرورة تعليم الأولاد القرآن:

عن الرسول الله (ﷺ) في حديث إلى أن قال: (ويكسى أبواه - أي حامل القرآن - حلتين إن كانا مؤمنين ثم يقال لهما هذا لما علمتماه القرآن)<sup>(٢)</sup> ([٣٠٦]). وفي حديث عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: (إن الله ليهمّ بعذاب أهل الأرض جمعياً حتى لا يحاشي منهم أحد إذا عملوا بالمعاصي واجتروا السيئات، فإذا نظر إلى الشيب ناقلي أقدامهم إلى الصلوات والولدان يتعلمون القرآن رحمهم فأخّر ذلك عنهم)<sup>(٣)</sup>.

### ١١- أقسام قرّاء القرآن وصفة القارئ الحق:

عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: (قرّاء القرآن ثلاثة: رجل قرأ القرآن فاتخذه بضاعة واستدر به الملوك واستطال به على الناس، ورجل قرأ القرآن فحفظ حروفه وضع حدوده<sup>(٤)</sup> وأقامه إقامة القدح، فلا كثر الله هؤلاء من حملة القرآن، ورجل قرأ القرآن فوضع دواء القرآن على داء قلبه فأسهر به ليله واطمأ به نهاره وقام به

(١) الكافي: ٦٠٤/٢.

(٢) نهج السعادة: ٢٢٣/٧.

(٣) وسائل الشيعة: كتاب الصلاة، أبواب أحكام المساجد، باب ٣، حديث ٣.

(٤) وهم هؤلاء الذين يدققون في قواعد التجويد التي وضعوها وغفلوا عن معاني ما يقرأون.

في مساجده وتجافى به عنه فراشه، فبأولئك يدفع الله البلاء وبأولئك يدبيل الله من الأعداء وبأولئك ينزل الله الغيث من السماء، فوالله لهؤلاء في قراء القرآن اعز من الكبريت الأحمر<sup>(١)</sup>.

وعن رسول الله (ﷺ) قال: (يا حامل القرآن تواضع به يرفعك الله، ولا تعزز به فيذلك الله، يا حامل القرآن تزين به لله يزينك الله به، ولا تزين به للناس فيشينك الله به)<sup>(٢)</sup>.

## ١٢- فهم القرآن مرتبة قريبة من النبوة:

عن رسول الله (ﷺ) من حديث قال: (من ختم القرآن فإنما أدرجت النبوة بين جنبه ولكنه لا يوحى إليه)<sup>(٣)</sup>.

١٣- الطريق الأكمل لقراءة القرآن أن تبدأ من أوله إلى آخره وليس بأن تقرأ سوراً متفرقة:

عن الزهري قال: (قلت لعلي بن الحسين (عليه السلام): أي الأعمال أفضل؟ قال: (الحال المرتحل) قلت وما الحال المرتحل، قال (عَلَيْهِ السَّلَامُ): فتح القرآن وختمه، كلما جاء بأوله ارتحل في آخره)<sup>(٤)</sup> وفي النهاية سئل: أي الأعمال أفضل فقال: الحال المرتحل، فقيل: وما ذلك، قال: الخاتم المفتاح هو الذي يختم القرآن بتلاوته ثم

(١) و (٢) وسائل الشيعة: كتاب الصلاة، أبواب قراءة القرآن ولو في غير الصلاة، باب ٨، حديث

١، ٣.

(٣) المصدر السابق، باب ١١، حديث ١٨.

(٤) المصدر السابق، باب ١١، حديث ٢.

يفتح التلاوة من أوله؛ شبهه بالمسافر يبلغ بالمنزل فيحل فيه ثم يفتح السير أي يبدأه وكذلك قراءة أهل مكة إذا ختموا القرآن بالتلاوة ابتدأوا وقرأوا الفاتحة وخمس آيات من أول سورة البقرة إلى قوله: [هُمُ الْمُفْلِحُونَ] ويقفون ويسمون فاعل ذلك الحال المرتحل أي أنه ختم القرآن وابتدأ بأوله ولم يفصل بينهما بزمان.

وفي هذا المعنى حديث عن الإمام الصادق (عَلَيْهِ السَّلَامُ): (قيل يا ابن رسول الله أي الرجال خير قال (عَلَيْهِ السَّلَامُ): الحال المرتحل، قيل يا ابن رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): وما الحال المرتحل؟ قال (عَلَيْهِ السَّلَامُ): الفاتح الخاتم الذي يقرأ القرآن ويختمه فله عند الله دعوة مستجابة<sup>(١)</sup>).

#### ١٤ - الوصية بكثرة قراءة القرآن:

وفي وصية النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) لعلي (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قال: (وعليك بتلاوة القرآن على كل حال)<sup>(٢)</sup>.

#### ١٥ - ثواب قراءة القرآن:

عن الصادق (عَلَيْهِ السَّلَامُ) في حديث قال: (عليكم بتلاوة القرآن فإن درجات الجنة على عدد آيات القرآن، فإذا كان يوم القيامة يقال لقارئ القرآن: اقرأ وأرق فكلما قرأ آية يرقى درجة)<sup>(٣)</sup>.

(١) المصدر، حديث ٨

(٢) المصدر، باب ١١، حديث ١.

(٣) المصدر، حديث ١٠.

وعن أبي جعفر (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): (من قرأ عشر آيات في ليلة لم يكتب من الغافلين، ومن قرأ خمسين آية كتب من الذاكرين، ومن قرأ مائة آية كتب من القانتين، ومن قرأ مائتي آية كتب من الخاشعين، ومن قرأ ثلاثمائة آية كتب من الفائزين، ومن قرأ خمسمائة آية كتب من المجتهدين، ومن قرأ ألف آية كتب له قنطار والقنطار خمسة عشر ألف (خمسون ألف) مثقال من ذهب، المثقال أربعة وعشرون قيراطاً أصغرهما مثل جبل أحد وأكبرهما ما بين السماء والأرض)<sup>(١)</sup>.

١٦- ضرورة المحافظة على ما تعلم من القرآن ولا يتركه بحيث

يؤدي الى نسيانه:

عن يعقوب الأحمر قال: (قلت لأبي عبد الله (عليه السلام) إن عليّ ديناً كثيراً وقد دخلني ما كاد القرآن يتفلت مني، فقال أبو عبد الله (عليه السلام): القرآن القرآن إن الآية من القرآن والسورة لتجيء يوم القيامة حتى تصعد ألف درجة - يعني في الجنة - فتقول: لو حفظتني لبلغت بك هاهنا)<sup>(٢)</sup>.

أقول: مرّ عليك أن الحفظ المعنوي بمعنى مراعاة حدوده ومعانيه والالتزام بأوامره ونواهيه.

١٧- استحباب التلاوة على وضوء:

عن محمد بن الفضيل عن أبي الحسن (عليه السلام) قال: (سألته أقرأ المصحف ثم

(١) المصدر، باب ١٧، حديث ٢.

(٢) المصدر، باب ١٢، حديث ٣.

يأخذني البول فأقوم فأبول وأستنجي وأغسل يدي وأعود إلى المصحف فأقرأ فيه؟ قال: لا حتى تتوضأ للصلاة<sup>(١)</sup>.

وعنهم (عَلَيْهِ السَّلَامُ): (لقارئ القرآن بكل حرف يقرأ في الصلاة قائماً مائة حسنة وقاعداً خمسون حسنة ومتطهراً في غير صلاة خمسة وعشرون حسنة وغير متطهر عشر حسنة، أما إني لا أقول: المر، بل بالألف عشر وباللام عشر وبالميم عشر وبالراء عشر)<sup>(٢)</sup>.

#### ١٨- استحباب الاستعاذة عند القراءة:

عن الحلبي عن أبي عبد الله (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قال: (سألته عن التعوذ من الشيطان عند كل سورة يفتتحها، قال: نعم، فتعوذ بالله من الشيطان الرجيم)<sup>(٣)</sup>.

وعن أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلَامُ): (والاستعاذة هي ما قد أمر الله به عباده عند قراءتهم القرآن بقوله: [فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ] ومن تأدب بأدب الله أذاه إلى الفلاح الدائم)<sup>(٤)</sup>.

#### ١٩- القرآن عهد الله فكم ينبغي للمسلم أن يقرأ منه يومياً:

عن أبي عبد الله (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قال: (القرآن عهد الله إلى خلقه فقد ينبغي للمراء المسلم أن ينظر في عهده وأن يقرأ منه في كل يوم خمسين آية)<sup>(٥)</sup>.

(١) المصدر، باب ١٣، حديث ١.

(٢) المصدر، حديث ٣.

(٣) المصدر، باب ١٤، حديث ٢.

(٤) المصدر، حديث ١.

(٥) المصدر، باب ١٥، حديث ١.

أقول: وبحساب بسيط تستنتج أن أقل ما ينبغي للمؤمن أن يختم القرآن في السنة ثلاث مرات لأن عدد آيات القرآن أكثر من ستة آلاف فيختمه على هذا المعدل في (١٢٠) يوماً أي أربعة أشهر هذا بغض النظر عن مضاعفة الجهد في شهر رمضان .

## ٢٠- آيات القرآن خزائن فاستفد منها جميعاً:

عن علي بن الحسين (عليه السلام) قال: (آيات القرآن خزائن فكلما فتحت خزانة ينبغي لك أن تنظر ما فيها)<sup>(١)</sup>.

## ٢١- استحباب قراءة القرآن في البيوت:

عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: قال أمير المؤمنين: (البيت الذي يقرأ فيه القرآن ويذكر الله عز وجل فيه تكثر بركته وتحضره الملائكة وتهجره الشياطين، ويضيء لأهل السماء كما تضيء الكواكب لأهل الأرض، وإن البيت الذي لا يُقرأ فيه القرآن ولا يذكر الله عز وجل فيه تقل بركته وتهجره الملائكة وتحضره الشياطين)<sup>(٢)</sup>.

## ٢٢- الكسب وطلب الرزق لا يمنع من المواظبة على قراءة القرآن:

عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: (ما يمنع التاجر منكم المشغول في سوقه إذا رجع إلى منزله أن لا ينام حتى يقرأ سورة من القرآن فيكتب له مكان كل آية

(١) المصدر، حديث ٢.

(٢) المصدر، باب ١٦، حديث ٢.

يقرأها عشر حسنات وتمحي عنه عشر سيئات<sup>(١)</sup>.

٢٣- استحباب القراءة في المصحف حتى لو كان حافظاً لما يقرأ:

عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: (من قرأ القرآن في المصحف متع ببصره وخفف عن والديه وإن كانا كافرين)<sup>(٢)</sup>.

وعن النبي (صلى الله عليه وآله) قال: (ليس شيء أشد على الشيطان من القراءة في المصحف نظراً)<sup>(٣)</sup>.

وفي حديث آخر: (النظر إلى المصحف من غير قراءة عبادة)<sup>(٤)</sup>.

أقول: وهذه اقل وظيفة يقوم بها من لا يحسن القراءة وإلا فعليه الاستماع. وعن إسحاق بن عمار عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: (قلت له: جعلت فداك إنني أحفظ القرآن على ظهر قلبي فاقرأه على ظهر قلبي أفضل أو أنظر في المصحف، قال فقال لي: بل اقرأه وانظر في المصحف فهو أفضل، أما علمت أن النظر في المصحف عبادة)<sup>(٥)</sup>.

٢٤- استحباب اقتناء نسخة من المصحف في البيت:

عن الصادق (عليه السلام) قال: (إنه ليعجبني أن يكون في البيت مصحف يطرد الله

(١) المصدر، باب ١١، حديث ٦.

(٢) المصدر، باب ١٩، حديث ١.

(٣) المصدر، حديث ٢.

(٤) المصدر، حديث ٦.

(٥) المصدر، باب ١٩، حديث ٤.

عز وجل به الشياطين)<sup>(١)</sup>.

## ٢٥- استحباب ترتيله وكراهة العجلة فيه:

عن عبد الله بن سليمان قال: سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن قول الله عز وجل: [وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً] قال: (قال أمير المؤمنين (عليه السلام): بينه تبياناً ولا تهذه هذا الشعر ولا تنثره نثر الرمل ولكن اقرعوا به قلوبكم القاسية، ولا يكن هم أحدكم آخر السورة)<sup>(٢)</sup>.

وفي تفسير قوله تعالى: [الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ] روي عن الصادق (عليه السلام) أنه قال: (حق تلاوته هو الوقوف عند ذكر الجنة والنار، يسأل في الأولى ويستعيد من الأخرى)<sup>(٣)</sup>.

وفي حديث عن الإمام الصادق (عليه السلام): (إن القرآن لا يُقرأ هذرمة ولكن يرتل ترتيلاً وإذا مررت بآية فيها ذكر الجنة فقف عندها وسل الله الجنة وإذا مررت بآية فيها ذكر النار فقف عندها وتعوذ بالله من النار)<sup>(٤)</sup>.

## ٢٦- استحباب قراءته بالحزن كأنه يخاطب إنساناً وحرمة ما يفعل

الصوفية من الغشية والصعقة:

عن الصادق (عليه السلام) قال: (إن القرآن نزل بالحزن فاقرأه بالحزن)<sup>(٥)</sup>.

(١) المصدر، باب ٢٠، حديث ١.

(٢) المصدر، باب ٢١، حديث ١.

(٣) المصدر، باب ٢٧، ح ٧.

(٤) المصدر، حديث ٣.

(٥) المصدر، باب ٢٢، ح ١.

وعن حفص قال: (ما رأيت أحداً أشد خوفاً على نفسه من موسى بن جعفر (عليه السلام)) ولا أرجى للناس منه وكانت قراءته حزناً فإذا قرأ كأنما يخاطب إنساناً<sup>(١)</sup>.  
وعن جابر عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: (قلت إن قوماً إذا ذكروا شيئاً من القرآن أو حدثوا به صعق أحدهم حتى يرى أن أحدهم لو قطعت يده أو رجلاه لم يشعر بذلك، فقال: سبحان الله ذلك من الشيطان، ما بهذا نعتوا إنما هو اللين والرقعة والدمعة والوجل)<sup>(٢)</sup>.

### ٢٧- استحباب رفع الصوت بالقرآن:

عن معاوية بن عمار قال: (قلت لأبي عبد الله (عليه السلام)): الرجل لا يرى أنه صنع شيئاً في الدعاء وفي القراءة حتى يرفع صوته، فقال: لا بأس، إن علي بن الحسين (عليه السلام) كان أحسن الناس صوتاً بالقرآن وكان يرفع صوته حتى يسمعه أهل الدار وإن أبا جعفر (عليه السلام) كان أحسن الناس صوتاً بالقرآن، وكان إذا قام من الليل وقرأ رفع صوته فيمر به مار الطريق من الساقين وغيرهم فيقومون فيستمعون إلى قراءته)<sup>(٣)</sup>.

### ٢٨- حرمة التغمي بالقرآن:

عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: (قال رسول الله (صلى الله عليه وآله)): اقرأوا القرآن بألحان العرب وأصواتها وإياكم ولحون أهل الفسق وأهل الكبائر فإنه سيجيء من بعدي

(١) المصدر، حديث ٣.

(٢) المصدر، باب ٢٥، حديث ١.

(٣) المصدر، باب ٢٣، حديث ٢.

أقوام يرجعون القرآن ترجيع الغناء والنوح والرهابية لا يجوز تراقبهم قلوبهم مقلوبة وقلوب من يعجبه شأنهم<sup>(١)</sup>.

٢٩- وجوب الإنصات لقراءة القرآن أخلاقياً واستحبابه شرعياً إلا في

الصلاة:

عن عبد الله بن أبي يعفور عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: (قلت له الرجل يقرأ القرآن أيجب على من سمعه الإنصات له والاستماع؟ قال: نعم إذا قرأ عندك القرآن وجب عليك الإنصات والاستماع)<sup>(٢)</sup>.

وفي حديث زرارة عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: (وإذا قرأ القرآن في الفريضة خلف الإمام فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون)<sup>(٣)</sup>.

٣٠- استحباب ختم القرآن في كل شهر مرة:

عن محمد بن عبد الله قال: قلت لأبي عبد الله (عليه السلام): اقرأ القرآن في ليلة؟ فقال: (لا يعجبني أن تقرأه في أقل من شهر)<sup>(٤)</sup>.

٣١- استحباب إهداء ثواب القراءة إلى المعصومين (عليهم السلام) لكي

يضاعف الأجر:

عن علي بن المغيرة عن أبي الحسن (عليه السلام): (قلت فإذا كان في يوم الفطر

(١) باب ٢٤، حديث ١.

(٢) المصدر، باب ٢٦، حديث ٤.

(٣) المصدر، حديث ٥.

(٤) المصدر، باب ٢٧، حديث ١.

جعلتُ لرسول الله (ﷺ) ختمة<sup>(١)</sup> ولعلي (عليه السلام) أخرى ولفاطمة (عليها السلام) أخرى ثم الأئمة (عليهم السلام) حتى انتهيت إليك فصيرت لك واحدة منذ صرت في الحال، فأبي شيء لي بذلك؟ قال: لك بذلك أن تكون معهم يوم القيامة، قلت: الله أكبر فلي بذلك؟ قال: نعم ثلاث مرات<sup>(٢)</sup>.

### ٣٢- استحباب البكاء أو التباكي عند سماع القرآن:

عن الصادق (عليه السلام) قال: (إن رسول الله أتى شاباً من الأنصار فقال: إني أريد أقرأ عليكم فمن بكى فله الجنة فقرأ آخر سورة الزمر [وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا] إلى آخر السورة فبكى القوم جميعاً إلا شاباً فقال: يا رسول الله قد تباكيت فما قطرت عيني فقال: إني معيد عليكم فمن تباكى فله الجنة فأعاد عليهم فبكى القوم وتباكى الفتى فدخلوا الجنة جميعاً<sup>(٣)</sup>).

### ٣٣- العلم كله في القرآن:

روي عن علي (عليه السلام) أنه قيل له: (هل عندكم شيء من الوحي؟ قال: لا، والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إلا أن يعطي الله عبداً فهماً في كتابه<sup>(٤)</sup>).

وعن إبراهيم بن العباس قال: (ما رأيت الرضا (عليه السلام) سئل عن شيء قط إلا علمه ولا رأيت أعلم منه بما كان في الزمان الأول إلى وقته وعصره وكان المأمون يمتحنه بالسؤال عن كل شيء فيجيب فيه، وكان كلامه كله وجوابه وتمثله

(١) مما قرأه في شهر رمضان.

(٢) المصدر، باب ٢٨، حديث ١.

(٣) المصدر، باب ٢٩، حديث ١.

(٤) تفسير الصافي: ٣٩/١ وتقدم الطريق إلى مصادره من طريق العامة.

انتزاعات من القرآن<sup>(١)</sup>.

وفي نهج البلاغة: (ذلك القرآن فاستنطقوه ولن ينطق ولكن أخبركم عنه: ألا إنه فيه علم ما يأتي والحديث عن الماضي ودواء دائكم ونظم بينكم)<sup>(٢)</sup>.

٣٤- القرآن شفاء من كل داء:

عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: (لو قرأت الحمد على ميت سبعين مرة ثم ردت فيه الروح ما كان ذلك عجباً)<sup>(٣)</sup>.

٣٥- القرآن فيه جلاء القلوب:

عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: (إن هذه القلوب لتصدأ كما يصدأ الحديد وإن جلاءها قراءة القرآن)<sup>(٤)</sup>.

٣٦- الإكثار من قراءته في شهر رمضان:

عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: (لكل شيء ربيع وربيع القرآن شهر رمضان)<sup>(٥)</sup>.  
وعن علي بن حمزة قال: (دخلت علي أبي عبد الله (عليه السلام) فقال له أبو بصير: جعلت فداك أقرأ القرآن في شهر رمضان في ليلة؟ فقال: لا، ففي ليلتين؟ فقال: لا، فقال: ففي ثلاث؟ فقال: ها وأشار بيده ثم قال: يا أبا محمد إن لرمضان حقاً وحرمة

(١) المصدر، باب ٢٧، حديث ٦.

(٢) الخطبة ١٥٨ من الجزء الأول.

(٣) الكافي: ٦٢٤/٢.

(٤) إرشاد القلوب: صفحة ٧٨.

(٥) ثواب الأعمال: ١/١٢٩، باب ثواب قراءة القرآن.

لا يشبهه شيء من الشهور<sup>(١)</sup>.

وفي خطبة النبي (ﷺ) في آخر جمعة من شعبان قال: (ومن تلا فيه - أي شهر رمضان - آية من القرآن كان له مثل أجر من ختم القرآن في غيره من الشهور)<sup>(٢)</sup>.

### ٣٧- تلاوة القرآن حق تلاوته:

في تفسير قوله تعالى: [الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ] (البقرة: ١٢١) قال الإمام الصادق (عليه السلام): (يرتلون آياته ويتفقهون به ويعملون بأحكامه ويرجون وعده، ويخافون وعيده ويعتبرون بقصصه، ويأتمرون بأوامره وينتهون بنواهيها، ما هو والله حفظ آياته ودرس حروفه وتلاوة سوره ودرس أعشاره وأخماسه. حفظوا حروفه وأضاعوا حدوده وإنما هو تدبر آياته والعمل بأحكامه قال تعالى: [كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ])<sup>(٣)</sup>.

### ٣٨- القرآن لا يشبع منه العلماء:

عن رسول الله (ﷺ) قال من حديث في وصف القرآن: (هو جبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم وهو الذي لا تزيف به الأهواء ولا يشبع منه العلماء ولا تلتبس منه الألسن ولا يخلق من الرد ولا تنقضي عجائبه من قال به صدق ومن حكم به عدل ومن عمل به أجر ومن دعا إليه هُدي إلى صراط

(١) وسائل الشيعة: كتاب الصلاة، أبواب قراءة القرآن في غير الصلاة، باب ٢٧، ح ٣.

(٢) عيون أخبار الرضا: صفحة ١٦٢.

(٣) الميزان في تفسير القرآن: ١ / ٢٦٠، عن إرشاد القلوب للديلمي.

مستقيم<sup>(١)</sup>.

### ٣٩- القرآن في نهج البلاغة:

(وتعلموا القرآن فإنه أحسن الحديث وتفقهوا فيه فإنه ربيع القلوب واستشفوا بنوره فإنه شفاء الصدور وأحسنوا تلاوته فإنه أنفع القصص وإن العامل بغير علمه كالجاهل الحائر الذي لا يستفيق من جهله بل الحجة عليه أعظم والحسرة له ألزم وهو عند الله ألوم)<sup>(٢)</sup>.

### ٤٠- دعاء الإمام السجاد (عليه السلام) عند ختم القرآن:

اللهم إنك أعنتني على ختم كتابك الذي أنزلته نوراً وجعلته مهيمناً على كل كتاب أنزلته وفضلته على كل حديث قصصته وفرقناً فرقت بين حلالك وحرامك وقرآناً أعربت به عن شرايع أحكامك وكتاباً فصلته لعبادك تفصيلاً ووحياً أنزلته على نبيك محمد صلواتك عليه وآله تنزيلاً وجعلته نوراً نهدي من ظلم الضلالة والجهالة باتباعه وشفاء لمن أنصت بفهم التصديق إلى استماعه وميزان قسط لا يحيف عن الحق لسانه، ونور هدى لا يطفأ عن الشاهدين برهانه وعلم نجاة لا يضل من أم قصد سنته، ولا تنال أيدي الهلكات من تعلق بعروة عصمته، اللهم فإذا أهدتنا المعونة على تلاوته، وسهلت حواسي ألسنتنا بحسن عبارته، فاجعلنا ممن يرعاه حق رعايته، ويدين لك باعتقاد التسليم لمحكم آياته، ويفزع إلى الإقرار بمتشابهه وموضحات بيئاته، اللهم إنك أنزلته على نبيك محمد ﷺ مجملاً، وألهمته علم عجائبه مكملاً وورثتنا علمه مفسراً وفضلتنا على من

(١) سنن الدارمي: ٤٣٥/٢، كتاب فضائل القرآن، ومثله في كتب الخاصة.

(٢) نهج البلاغة: الجزء الأول، الخطبة ١١٠.

جهل علمه، وقويتنا عليه لترفعنا فوق من لم يطق حملة، اللهم فكما جعلت قلوبنا له حملة وعرفتنا برحمتك شرفه وفضله، فصل على محمد الخطيب به، وعلى آله الخزان له، واجعلنا ممن يعترف بأنه من عندك، حتى لا يعارضنا الشك في تصديقه، ولا يختلجنا الزيغ عن قصد طريقه، اللهم صل على محمد وآله واجعلنا ممن يعتصم بحبله، ويأوي من المتشابهات إلى حرز معقله، ويسكن في ظل جناحه، ويهتدي بضوء صباحه، ويقتدي بتبليج أسفاره، ويستصبح بمصباحه ولا يلتمس الهدى في غيره، اللهم وكما نصبت به محمداً علماً للدلالة عليك وأنهجت بآله سبيل الرضا إليك، فصل على محمد وآله، واجعل القرآن وسيلة لنا إلى اشرف منازل الكرامة، وسُلماً نخرج فيه إلى محل السلامة وسبباً نجزي به النجاة في عرصة القيامة، وذريعة نقدم بها على نعيم دار المقامة، اللهم صل على محمد وآله، واحطط بالقرآن عنا ثقل الأوزار، وهب لنا حسن شمائل الإبرار، واقف بنا آثار الذين قاموا لك به آناء الليل وأطراف النهار، حتى تطهرنا من كل دنس بتطهيره، وتقفوا بنا آثار الذين استضاءوا بنوره، ولم يلهم الأمل عن العمل فيقطعهم بخدع غروره، اللهم صل على محمد وآله، واجعل القرآن لنا في ظلم الليالي مؤنساً، ومن نزعات الشيطان وخطرات الوسوس حارساً، ولأقدامنا عن نقلها إلى المعاصي حابساً، ولألسنتنا عن الخوض في الباطل من غير ما آفة مخرساً، ولجوارحنا عن اقتراف الآثام زاجراً، ولما طوت الغفلة عنا من تصفح الاعتبار ناشراً، حتى توصل إلى قلوبنا فهم عجائبه، وزواجراً أمثاله التي ضعفت الجبال الرواسي على صلابتها عن احتمالها، اللهم صل على محمد وآله وأدم بالقرآن صلاح ظاهرنا، واحجب به خطرات الوسوس عن صحة ضمائرنا واغسل به درن قلوبنا، وعلائق أوزارنا، واجمع به منتشر أمورنا وارو به في موقف العرض عليك ظمأ هواجرنا، واكسنا به

حلل الأمان يوم الفزع الأكبر في نشورنا، اللهم صل على محمد وآله، واجبر بالقرآن خلتنا من عدم الإملاق، وسق به ألينا رغد العيش خصب سعة الأرزاق وجنبنا به الضرائب المذمومة، ومداني الأخلاق، واعصمنا به من هوة الكفر ودواعي النفاق، حتى يكون لنا في القيامة إلى رضوانك وجنانك قائداً، ولنا في الدنيا عن سخطك وتعدي حدودك ذائداً، ولما عندك بتحليل حلاله وتحريم حرامه شاهداً، اللهم صل على محمد وآله، وهون بالقرآن عند الموت على أنفسنا كرب السياق وجهد الأنين، وترادف الحشارج، إذا بلغت النفوس التراقي [وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ]، وتجلّى ملك الموت لقبضها من حجب الغيوب ورماها عن قوس المنايا بأسهم وحشة الفراق، وداف لها من دعاف مرارة الموت كأساً مسمومة المذاق، ودنا منا إلى الآخرة رحيل وانطلاق، وصارت الأعمال قلائد في الأعناق، وكانت القبور هي المأوى إلى ميقات يوم التلاق، اللهم صل على محمد وآله، وبارك لنا في حلول دار البلى، وطول المقامة بين أطباق الثرى، واجعل القبور بعد فراق الدنيا خير منازلنا، وافسح لنا برحمتك في ضيق ملاحدنا، ولا تفضحنا في حاضر القيامة بموابقات آثامنا، وارحم بالقرآن في موقف العرض عليك ذلّ مقامنا، وثبت به عند اضطراب جسر جهنم يوم المجاز عليها زلل أقدامنا، ونجنا به من كل كرب يوم القيامة، وشدائد أهوال يوم الطامة ويّض وجوهنا يوم تسود وجوه الظلمة في يوم الحسرة والندامة، واجعل لنا في صدور المؤمنين وداءً، ولا تجعل الحياة علينا نكداً، اللهم صل على محمد عبدك ورسولك، كما بلغ رسالتك، وصدع بأمرك ونصح لعبادك اللهم اجعل نبينا صلواتك عليه وعلى آله يوم القيامة أقرب النبيين منك مجلساً، وأمكنهم منك شفاعاً، وأجلهم عندك قدراً، وأوجههم عندك جاهاً، اللهم صل على محمد وآل محمد، وشرف بنيانه، وعظم برهانه، وثقل ميزانه، وتقبل

شفاعته وقرب وسيلته، وبيض وجهه وأتم نوره وارفع درجته، وأحينا على سنته وتوفنا على ملته، وخذ بنا منهاجه، واسلك بنا سبيله، واجعلنا من أهل طاعته، واحشرنا في زمرة، وأوردنا حوضه، واسقنا بكأسه، وصل اللهم على محمد وآله صلاة تبلغه بها أفضل ما يأمل من خيرك وفضلك وكرامتك إنك ذو رحمة واسعة وفضل كريم، اللهم اجزه بما بلغ من رسالاتك وأدّى من آياتك، ونصح لعبادتك، وجاهد في سبيلك، أفضل ما جزيت أحداً من ملائكتك المقربين، وأنبيائك المرسلين المصطفين، والسلام عليه وعلى آله الطاهرين ورحمة الله وبركاته<sup>(١)</sup>.

---

(١) الصحيفة السجادية: دعائه (عليه السلام) عند ختم القرآن.

## يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ (١) كيف خطط رسول الله ﷺ للخلافة من بعده

[المائدة : ٦٧]

بسم الله الرحمن الرحيم  
والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين..

### الإمامة ضرورة عقلائية:

إن الإمامة وولاية أمر الناس ضرورة اجتماعية لا يختلف فيها اثنان، وقد أطبق عليها جميع العقلاء، ولا يمكن لحياة المجتمع المتحضر ونظام معاشه أن يستقيم بدون إمام ورئيس يدير مع جهازه شؤون الأمة ويدبر أمورها. فوجود النظام الحاكم في المجتمع بمنزلة العقل في جسم الإنسان الذي يوجّه بوصلة الحياة، وبدونه تحصل الفوضى والتشتت والصراعات وتضيع مصالح العباد والبلاد. ﷺ

ومن كلمات أمير المؤمنين عليه السلام في ذلك: (لا بد للناس من أمير برّ أو فاجر، يعمل في إمرته المؤمن ويستمتع فيها الكافر ويبلغ الله فيها الأجل

(١) محاضرتان ألقاهما سماحة الشيخ محمد يعقوبي على طلبة الحوزة العلمية في مسجد الرأس الشريف المجاور لمقر أمير المؤمنين عليه السلام، في النجف الأشرف بمناسبة عيد الغدير يومي (١٦، ١٧ ذي الحجة ١٤٢١هـ - ١٢، ١٣ آذار/٢٠٠١) وقد أضاف إليهما بعض الزيادات الضرورية. وقام أحد الفضلاء لاحقاً بتخريج النصوص من مصادرها.

ويجمع به الفيء ويقاتل به العدو وتأمين به السبل ويؤخذ به للضعيف من القوي حتى يستريح برّ أو يُستراح من فاجر<sup>(١)</sup>.

### ضرورة الإمامة في الشرع:

والحكم في الشرع ضروري كذلك فقد أجمع علماء الإسلام على ضرورة وجود إمام، وإذا كان بينهم خلاف ففي التفاصيل كيفية تعيين الإمام ومؤهلاته وصلاحياته لا في أصل احتياج الأمة، فبناء العامة يقولون بالشورى<sup>(٢)</sup>، أو أن الأمر لمن غلب حتى لو قهر الأمة بالسيف<sup>(٣)</sup> وتقمّص إمامتها قهراً، ونحن -الإمامية- نقول أنها بالنص<sup>(٤)</sup>، وأنها حق جعله الله تبارك وتعالى لمن اجتمعت فيه شروطها، سواء سمحت له الظروف بالقيام فعلاً بالأمر أو صودرت حريته ومُنِع من ممارسة دوره كاملاً، كما في الحديث الشريف: (الحسن والحسين إمامان إن قاما وإن

(١) نهج البلاغة: ١٨٧/١ الخطبة ٤٠.

(٢) البخاري/باب رجم الحبلى ١٢٠/٤ عن معالم المدرستين، المراجعات المراجعة ٨٠.

(٣) الأحكام السلطانية ص ٧-١١ لقاضي القضاة أبو يعلى الفراء الحنبلي - عن معالم المدرستين - أقوال مدرسة الخلفاء ص ٥٥٨.

(٤) أحصى الصافي الكلبايكاني في كتابه (منتخب الأثر) أكثر من خمسين رواية في هذا المجال، وقال بعد ذلك النصوص الواردة في ساداتنا الأئمة الاثنا عشر بلغت في الكثرة حداً لا يسعه مثل هذا الكتاب وكتب أصحابنا في الإمامة وغيرها مشحون بها واستقصاؤها صعب جداً (منتخب الأثر ص ١٤٥ والرواية الأولى منتخب الأثر ص ٩٧ باب ٨ فيما يدل على الأئمة الاثنا عشر بأسمائهم (نقلا عن مدخل إلى الإمامة).

قعدا<sup>(١)</sup> أي قاما بالأمر أو قعدا عنه لأي سبب من الأسباب.

وقد اهتم رسول الله ﷺ بهذا الأمر بدقة، فكان ﷺ لا يُخرج سرية إلا عليها أمير مهما قلّ أفرادها، بل في الحديث عن رسول الله ﷺ: (الإمام الجائر خير من الفتنة)<sup>(٢)</sup>؛ وإذا خرج اثنان للسفر فليؤمرا أحدهما<sup>(٣)</sup>، وكان ﷺ إذا خرج لغزوة لا يترك المدينة بدون خليفة له<sup>(٤)</sup>، بل روي في حديث: (وال ظلومٌ غشوم خيرٌ من فتنة تدوم)<sup>(٥)</sup>؛ لأنه به تحفظ الثغور وتقوم مصالح العباد، لذا تعامل الأئمة عليهم السلام بإيجابية مع السلطات الحاكمة في ما فيه مصالح العباد وحفظ النظام الاجتماعي ورفي الدولة الإسلامية وصيانة كرامتها، إلى درجة أنهم جوزوا في بعض الظروف دفع الزكاة والخراج إلى السلطة وجعلوها مبرئة للذمة كأنها واصله إليهم<sup>(٦)</sup>.

### المصالح المهمة من تعيين الخليفة:

في ضوء هذه الضرورة المجمع عليها عقلاً وشرعاً كان من مسؤوليات

(١) البحار ج ١٦ باب ١١ ص ٣٠٧.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن ميثم البحراني: ١٠٣/٢.

(٣) كتاب المحجة ج ٤ آداب السفر عن أبو داود ج ٢ ص ٣٤ عن أبي هريرة عن النبي ص قوله (إذا كنتم ثلاثة في سفر فأمروا أحدكم).

(٤) معالم المدرستين / ج ١ / ذكر من استخلف الرسول ﷺ على المدينة في غزواته.

(٥) ميزان الحكمة للريشهري: ٢٣٦٧/٣ والغرر والدرر: ح ١٠١٠٩.

(٦) وسائل الشيعة: كتاب الزكاة، أبواب المستحقين، باب ٢٠.

حامل الرسالة -أي رسالة- ووظائفه بل أهمها على الإطلاق تعيين الخليفة والإمام البديل لعدة مصالح مهمة:

١- ديمومة الرسالة واستمراريتها في أداء دورها، فإن أية رسالة مهما كانت تمتلك من نقاط قوة - كرسالة الإسلام - تموت بموت صاحبها، فإنه من المقطوع به ارتباط الرسائل والدعوات بحاملها القيمين عليها المدافعين عنها المستوعبين لأسرارها، لذلك فإنها تنتهي بنهاية صاحبها إلا أن يواصل الطريق من هو جدير بحملها، وأنت ترى الرسائل السماوية - وهي أكمل الدعوات - حُرِّفَتْ وشُوِّهَتْ بعد فترة يسيرة من غياب أصحابها<sup>(١)</sup>.

٢- قطع الطريق أمام غير المؤهلين لهذا المنصب الإلهي، فإن الإمرة والزعامة خصوصاً الزعامة الدينية بما لها من قدسية وهيبة وجاه من أهم ما تنزع إليه النفس الأمارة بالسوء، ففي الحديث: (آخر ما ينزع من قلوب الصديقين حب الجاه)<sup>(٢)</sup> إذن سيكون المتربصون بها كثيرين والحالمون بها والساعون إلى تحصيلها أكثر. وقد اعترفوا أنه ما عانت الأمة من شيء كما عانت من مسألة الإمامة والخلافة وأن الولايات التي أصابتها والدماء التي سفكت ترجع في الأصل إلى هذا الأمر، وهذا واضح تأريخياً.

(١) كمثال على ذلك المسيحية بمجرد أن رفع عيسى ﷺ أصبح الإنجيل الذي هو حاوي على كل ما يتعلق بالرسالة عدة أناجيل مزورة وموضوعة كإنجيل متي ويوحنا ولوقا ومرقس فلم يبق من الدين المسيحي إلا الاسم.

(٢) المحجة البيضاء ج ٦ / فصل حب الجاه ص ١٠٧.

٣- صيانة الأمة من التشتت وحمايتها من التمزق، فإن من شأن تعدد المتصدين لهذا المنصب أن تتعدد الأحزاب والفرق الموائية لهم، وكلُّ يجرُّ النار إلى قرصه، فيتمزق أمر الأمة وتصبح طرائق قديداً، وها هي الأجيال بعد الأجيال تدفع ثمن التيه والضياح وآل أمرها إلى الانحلال، لذا قال تعالى: [وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا] (آل عمران: ١٠٣) [وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ] (الأنفال: ٤٦) وحبل الله الممدود إلى الخلق هما الثقلان كتاب الله وأهل بيت نبيه (صلوات الله عليهم أجمعين) كما دلت عليه النصوص الشريفة<sup>(١)</sup>. وقد أشارت الزهراء (سلام الله عليها) إلى هذه الفكرة المهمة في خطبتها فقالت: (وجعل إمامتنا نظاماً للملة)<sup>(٢)</sup> أي بها تنتظم أمورهم وتستقر.

٤- إن حامل الرسالة لا يستطيع أن يستمر بمشروعه حتى النهاية ويقدم كل ما عنده قبل أن يطمئن إلى وجود البديل؛ لأنه قبل ذلك يخشى على مستقبل الرسالة، فإذا أحرز اجتماع الشروط في الشخص البديل استطاع أن يتقدم بلا تردد أو خوف على مستقبل الرسالة، هذا الخوف الذي أشار إليه نبي الله موسى عليه السلام، لذا كان أول دعاء له: [وَأَجْعَلْ لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي، هَارُونَ أَخِي، اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي، وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي] (طه: ٢٩-٣٢) وفي كلمات أمير المؤمنين عليه السلام: (لَمْ يُوجِصْ مُوسَى عليه السلام خِيفَةً عَلَى نَفْسِهِ، بَلْ أَشْفَقَ مِنْ غَلْبَةِ الْجُهَالِ وَدَوَلِ

(١) راجع كتاب (شكوى القرآن) وقد تقدم في هذا الكتاب.

(٢) البحار ج ٦ باب ٢٣ ص ٣١٥.

الضَّالِّ) (١).

### شرفية موقع الإمامة في الفكر الإسلامي:

هذه أمور يدرّكها كل عاقل، ويزداد الأمر وضوحاً كلما ازدادت أهمية الرسالة كدين الإسلام الذي جاء رحمة للعالمين وخالداً إلى يوم القيامة، فهو - أي الإسلام - بهذه السعة والشمول طويلاً - على مدى الزمان - وعرضاً - لجميع البشر -، وكلما تعاظم منصب الشخص الراحل والغائب عن الساحة ازدادت المسؤولية والأخطار حول المنصب.

وأشرف موقع هو إمامة المسلمين وولاية أمورهم وخلافة رسول الله ﷺ التي قدر لها أن تشمل شرق الأرض وغربها، كما بشر بذلك رسول الله ﷺ عندما كان يحفر مع المسلمين في الخندق وضرب على صخرتين فأضاءت له (٢) ولهم، وأكدها القرآن [وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً] (الفتح: ٢٠) [وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ] (الصف: ١٣)، فكيف لا تتناوشه المطامع وتتجاذبه الأهواء.

### أما ضلُّ صاحبكم وما غوى:

أفمثل رسول الله ﷺ يجهل هذه الأمور الواضحة، وهو المتصل بسبب إلى الله تبارك وتعالى، [وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ] (النجم، ٣-٤)،

(١) نهج البلاغة، خطبة ٤ ص ٣٩.

(٢) سيرة الأئمة الاثني عشر لهاشم معروف الحسيني ج ١ ص ٢٩٠.

وهو القائل: (من مات ولم يوص مات ميتة جاهلية)<sup>(١)</sup> فهل يكون هو ﷺ أول من يخرج عن ربقة الإسلام ويموت على الجاهلية [كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ] (الكهف: ٥)، أم يقال أن هذا الحديث وارد في الوصية بالمال ونحوه للورثة وغيرهم؟ فهل هذه الأمور أهم من الوصية بالأمة وحفظ كيانه من الضياع؟!.

أم يقال أنه ﷺ فوجئ بأجله قبل أن يفكر بمستقبل الأمة وقبل أن يستعد للتخطيط للبديل مهما كان شكله وصيغته، وهو الذي نعى نفسه مراراً وصرح بقرب وفاته في حجة الوداع، وحينما قال: (إن جبرائيل كان يعارضني بالقرآن في السنة مرة، وعارضني في هذه السنة مرتين، وما ذلك إلا لدنو أجلي)<sup>(٢)</sup>.

أم يقال أنه ﷺ لم يكن حريصاً على الأمة ولا مهتماً بأمرها، فلتواجه قدرها بنفسها ولو آل أمرها إلى الفناء، ولتذهب أتعابه سدى [كَأَلَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا] (النحل: ٩٢)، وهذا لا يصدر من أبسط الناس؛ فالراعي لا يترك غنمه إذا خرج لحاجة أو سفر حتى يعين لها راعياً، ولم يفعلها الخلفاء من بعده، فالأول نص على الثاني، وهو يقول: إني أخشى أن ألقى الله وقد تركت أمة محمد ﷺ دون أن أولي عليها أحداً<sup>(٣)</sup>، وجعل الثاني الأمر شورى بين ستة من أصحاب رسول الله ﷺ<sup>(٤)</sup>، وقد أرسلت إليه أم المؤمنين عائشة بعدما طعن: أن

(١) مناقب آل أبي طالب بن شهر آشوب ج ١ ص ٢١٧.

(٢) صحيح البخاري باب عرض جبرائيل القرآن على النبي.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ص ١٦٤ - ١٦٥ في شرحه للخطبة الشقشقية.

(٤) راجع معالم المدرستين ج ١ ص ٥٤٤.

أوص من يخلفك، ولا تترك أمة محمد بعدك هملاً وبدون راعٍ.

### خطر الاعتراض من الداخل الإسلامي:

فكيف برسول الله ﷺ أكمل العقلاء وسيد الحكماء، وهو يرى بعينه الأخطار المحدقة بالأمة من الداخل والخارج، ففي الداخل كان المنافقون والمرجفون في المدينة - على تعبير القرآن - والقائلون: [لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ] (المنافقون: ٨) وقد ازدادت شوكتهم بعد الفتح حيث استسلم الكثير ممن يترصد بالإسلام وبنبيه السوء رضوخاً للأمر الواقع، ولم يسلموا ولم يقتنعوا بالإسلام [قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْأَيْمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ] (الحجرات: ١٤).

وكانوا يعارضون تصرفات رسول الله ﷺ علناً وينتقدونه ويشككون في صحة أفعاله، والشواهد على ذلك كثيرة كما في صلح الحديبية<sup>(١)</sup> حينما منعوا رسول الله ﷺ من التوقيع على وثيقة الصلح، وعندما عارضوا الإحلال من الإحرام في متعة الحج<sup>(٢)</sup>، وحينما منعه من كتابة كتاب لا يضلون بعده أبداً في

(١) راجع نظريات الخلفيتين: ج ١.

(٢) عن معالم المدرستين ج ٢: في رواية الصحابي البراء بن عازب بسنن بن ماجه ومسنند أحمد ومجمع الزوائد قال: خرج رسول الله ﷺ وأصحابه فأحرمنا بالحج فلما قدمنا مكة، قال: (اجعلوا حجكم عمرة) فقال الناس: يا رسول الله قد أحرمنا بالحج فكيف نجعلها عمرة؟ قال: (انظروا ما أمركم به فافعلوه) فردوا عليه القول، فغضب فانطلق ثم دخل على عائشة غضبان فرأت الغضب في وجهه، فقالت: من أغضبك أغضبه الله، قال: (ما لي لا أغضب وأنا أمر أمراً فلا أتبع).

رزية يوم الخميس<sup>(١)</sup>، وحينما كانوا يصلون نوافل رمضان جماعة في المسجد وقد نهاهم ﷺ عن ذلك مراراً<sup>(٢)</sup>، وحينما تخلفوا عن جيش أسامة رغم لعنه ﷺ للمتخلفين عنه<sup>(٣)</sup>.

مضافاً إلى أن الانتشار السريع للإسلام وقصر فترته بالنسبة لعظمة الوظيفة التي جاء من أجلها، وهي نقل أمة كاملة من حضيض الجاهلية وظلماتها إلى نور الإسلام وسعادته أدى إلى وجود قاعدة عريضة في المجتمع لم تصل إلى درجة كافية من فهم الرسالة واستيعابها والتفاعل مع تفاصيلها، وهم معرضون للانهايار والهزيمة مع أول امتحان يواجههم في حالة غيابه ﷺ، وقد أخبره بذلك القرآن الكريم: [وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ

(١) رزية يوم الخميس: ما أخرجه البخاري بسنده عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن ابن عباس، قال: لما حضر رسول الله ﷺ وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب قال النبي ﷺ هلم اكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده، فقال عمر: إن النبي قد غلب عليه الوجع، وعندكم القرآن حسينا كتاب الله، فاختلف أهل البيت فاختصموا، فمنهم من يقول: قربوا يكتب لكم النبي كتاباً لا تضلوا بعده ومنهم من يقول ما قال عمر، فلما أكثروا اللغو والاختلاف عند النبي قال لهم رسول الله ﷺ تحوموا عني، فكان بن عباس يقول: إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله ﷺ وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولغظهم. (وقد تم التصرف في الحديث إذ نقلوا المعنى فقط لان اللفظ الثابت هو أن النبي يهجر ولكنهم حرفوه تهذيباً للعبارة ودفاعاً عن عمر. (المراجعات : المراجعة ٨٦).

(٢) الوسائل : كتاب الصلاة باب عدم جواز الجماعة في صلاة النوافل في شهر رمضان، الحديث الأول.

(٣) راجع في استقصاء هذه الموارد كتاب (النص والاجتهاد) للسيد شرف الدين.

عَلَى أَعْقَابِكُمْ] (آل عمران: ١٤٤) وهو ما وقع فعلاً حين ارتدت الجزيرة ولم يبق على الإسلام إلا تلك الثلثة القليلة في المدينة المنورة التي عرقتها التجارب وصلّبت عودها الامتحانات المتتالية مع رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup>.

### نموذج من الانحراف الإسلامي:

وقد أشارت أم المؤمنين عائشة إلى هذا الانحراف الذي حصل في مسيرة المسلمين عندما كانت تحرّض على الثورة ضد الخليفة الثالث عثمان، يروي الطبري<sup>(٢)</sup>: كانت السيدة عائشة من أشد الناس على عثمان، حتى أنها أخرجت ثوباً من ثياب رسول الله ﷺ فنصبت في منزلها، وكانت تقول للداخلين إليها: هذا ثوب رسول الله لم يبلّ وقد أبلى عثمان سنته، وقالوا إنها كانت أول من سمى عثمان نعثلاً (اسم أحد اليهود بالمدينة) وكانت تقول: (اقتلوا نعثلاً! قتل الله نعثلاً) هذا ولم يمرّ على وفاة رسول الله ﷺ أكثر من عقدين من الزمان.

### حملات اليهود بعد وفاة النبي ﷺ:

وكان في الداخل اليهود الذين لا ينسون لرسول الله ﷺ وللإسلام القضاء عليهم وتهجيرهم من ديارهم وقتل رجالهم وسبي نساءهم وزوال دولتهم

(١) وقد أشار الله تبارك وتعالى إلى ذلك في سورة المائدة آية ٥٤: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ].

(٢) تاريخ الطبري ٤٧٧/٣ وقد نقلناه عن كتاب (بنور فاطمة اهتديت) /١٩٠.

ونفوذهم في المدينة، لذلك كانت هجمة التشكيكات التي بثوها في الأمة بعد وفاته ﷺ، وأسئلتهم المتنوعة الكثيرة التي كانت تعجز خليفة المسلمين وأصحاب رسول الله ﷺ، فأصيب المسلمون بالإحباط والضعف والهزيمة أمامهم، وكانت حملة منظمة وليست اعتباطية ظهرت فجأة بعد غياب رسول الله ﷺ وإقصاء الخليفة الحق الذي كان لهم بالمرصاد رغم إبعاده عن القيادة الدنيوية، لكنه كان يرى مصلحة الدين وإعلاء كلمة التوحيد فوق كل شيء، حتى اشتهرت كلمة الخليفة الثاني: (لا أبقاني الله لمعضلة ليس لها أبو الحسن)<sup>(١)</sup> وما علمنا أنه احتاج إلى أحد سواه<sup>(٢)</sup>.

### العدو الخارجي والكيد بالإسلام:

ومن الخارج كان هناك المتربصون بالإسلام شراً الذين أعيتهم الحيل في القضاء عليه، حيث بدأوا بتعذيب أصحابه ﷺ وقتلهم، ثم حاصروه ومن معه في شعب أبي طالب اقتصادياً واجتماعياً، ثم تآمروا على قتله فهاجر إلى المدينة<sup>(٣)</sup> وبات علي في فراشه<sup>(٤)</sup> ثم جهزوا الجيوش لقتاله واستئصال أمره فلم يفلحوا في

(١) أخرجه سبط بن الجوزي، أسد الغابة ٢٢/٤، الإصابة القسم ٢٧٠/١، تهذيب التهذيب ٣٢٧/٧، عن نظريات الخليفين لنجاح الطائي.

(٢) جعل الخليل بن أحمد الفراهيدي ذلك دليلاً على إمامته حينما سئل ما الدليل على إمامة أمير المؤمنين وخلافته لرسول الله ﷺ قال: احتياج الكل إليه وعدم احتياجه للكل.

(٣) حياة محمد ﷺ نهاية الفصل السادس والفصل السابع لمحمد حسين هيكل.

(٤) حياة محمد ﷺ الفصل العاشر لمحمد حسين هيكل.

القضاء عليه ﷺ<sup>(١)</sup>، ولم يبق أمامهم إلا نهاية حياته لتموت دعوته بموته ﷺ، بل حاول بعضهم فعلاً اغتياله أكثر من مرة كمحاولة رؤساء بني عامر، والمحاولة التي جرت أثناء مسيره إلى تبوك حيث حاول بعض المتآمرين تنفير ناقته ﷺ ليلقوه من السفح وتتقطع أوصاله، وقد أعلم ﷺ الصحابي حذيفة بن اليمان بأسمائهم حتى سمي صاحب سر رسول الله ﷺ، وكان الخليفة الثاني لا يصلي على أحد حتى يصلي حذيفة ليعلم أنه ليس من المنافقين<sup>(٢)</sup>.

وفي الخارج كانت أيضاً الدولتان الرومية والفارسية اللتان بدأتا تفكران جدياً في أمره ﷺ بعد أن غطى نوره الجزيرة كلها من اليمن جنوباً إلى تخوم الشام والعراق شمالاً، بل إنه ﷺ بدأ التحرش بالدولة الرومية في معركة مؤتة<sup>(٣)</sup> وغزوة تبوك، وأرسل الرسائل إليهم يدعوهم إلى الإسلام بلهجة الواثق بالنصر والمستعلي عليهم (أسلم تسلم).

### التحديات الجسيمة أمام النبي ﷺ :

كل هذه المصاعب والتحديات التي تواجه الأمة بعد وفاته ﷺ كانت نصب عينه ﷺ وهو صاحب القلب الرحيم الذي نذر حياته لله تبارك وتعالى ولإصلاح الإنسانية وإنقاذها من الظلمات إلى النور، وقد وصفه القرآن الكريم:

(١) حياة محمد ﷺ الفصل الثالث عشر لمحمد حسين هيكل.

(٢) راجع (المحلى) لابن حزم الأندلسي، (شرح نهج البلاغة) لابن أبي الحديد عن (نظريات الخليفين: محاولة اغتيال النبي).

(٣) معركة مؤتة: كانت في سنة ثمان من الهجرة.

[لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ] (التوبة: ١٢٨)، فكيف يترك أمر الأمة سدى؟! [فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ] (يونس: ٣٥) و[فَأَنِّي تُؤفِكُونَ] (فاطر: ٣) فهذا الاحتمال - أي ترك الأمة سدى من دون إرشادها إلى من يتولى أمرها - مرفوض قطعاً.

بقي احتمالان آخران تبنت كل واحدٍ منهما طائفة من المسلمين.

### عقيدة العامة في الإمامة:

الأول: - وهو الذي التزم به العامة - إيكال الأمر إلى الأمة نفسها فهي تختار من تشاء، وهو مرفوض أيضاً لعدة وجوه:

١- قصور الأمة عن تحمل مثل هذه المسؤولية، وقد عجزت عن أقل من هذا الأمر عندما واجهت التحديات بعد وفاة رسول الله ﷺ، حتى بعد أن نالت تربية إضافية خلال عقود من السنين.

ففي خلافة أمير المؤمنين عليه السلام عندما بدأ أصحاب رسول الله ﷺ يتقاتلون بينهم لم يعرفوا حكم هذه الحالة، وقد نسب إلى أبي حنيفة قوله: (أنه لولا قتال علي للبيعة من المسلمين لما عرفنا حكم قتالهم إلى يوم القيامة).

وبعد ذلك بعقود مرّت الدولة الإسلامية بأزمة مع الدولة الرومية، عندما أرادت أن تسكّ عملة فيها شتم نبي الإسلام وتتداول في بلاد المسلمين، فأنقذ

الموقف الإمام الباقر عليه السلام<sup>(١)</sup>، وهكذا ظلّت الأمة عاجزة عن حل مشكلاتها لولا وجود الأئمة عليهم السلام<sup>(٢)</sup>، حتى اكتملت التربية بعد (٢٦٠) عاماً بوفاة الإمام الحسن العسكري عليه السلام، فدخلت الأمة مرحلة (وسطية) بين الوجود الفعلي للإمام والغيبة التامة، فكانت الغيبة الصغرى التي استمرت (٧٠) عاماً لتبدأ الغيبة الكبرى بعد أن رسم الأئمة عليهم السلام كل المعالم الرئيسية والخطوط العامة لمسيرة الأمة، وقبل هذه المراحل المتتابعة من التربية كانت الأمة عاجزة.

وكان هذا العجز واضحاً في الصدر الأول للإسلام لقرب عهدهم بالجاهلية الهمجية وقلة فترة الرسالة وانشغالهم عن استيعاب تفاصيلها، كما عبّر الخليفة الثاني حينما سئل عن قلة استفادته من رسول الله صلى الله عليه وآله قال: (ألهانا الصفق بالأسواق)<sup>(٣)</sup>، ويقول بعضهم: كنّا نغتنم فرصة مجيء الإعرابي يسأل من رسول الله صلى الله عليه وآله لتتعلم أحكام ديننا. فمع عجزهم عن هذه الأمور الجزئية، كيف يوكل إليهم أمر الإمامة التي بها قوام الأمة.

٢- لو كان لهذا الأمر وجود لبين رسول الله صلى الله عليه وآله تفاصيله إلى الأمة،

(١) رواه الدميري في حياة الحيوان عن المحاسن والمساوي للبيهقي ورواه بهذا المضمون عن شذرات العقود للمقريزي عن سيرة الأئمة الاثني عشر/القسم الثاني/الإمام الخامس محمد الباقر عليه السلام لهاشم معروف الحسني.

(٢) الغيبة الصغرى والكبرى للسيد الشهيد محمد صادق الصدر قدس سره.

(٣) صحيح مسلم ٢ ص ٢٣٤ في كتاب الآداب، صحيح البخاري ٣ ص ٨٣٧، مسند أحمد ٣ ص ١٩، سنن الدارمي ٢ ص ٢٧٤، سنن ابن داود ٢ ص ٣٢٠، مشكل الآثار ج ١ ص ٤٩٩. (عن كتاب الغدير ج ٦ ص ١٥٨).

فيوضح صيغة الاختيار، ومن الذين لهم هذا الحق، وما هي شروط المرشحين للإمامة وضوابط الاختيار، ومن هو الحاكم فيها عند الاختلاف، وهكذا. ونحن نعلم أن رسول الله ﷺ لم يغفل عن أبسط تفاصيل الشريعة، كآداب المائدة وأحكام التخلي، فكيف يغفل عن مسألة الإمامة وهي أصل الشريعة وأساسها؟! .

٣- عدم التزام نفس الخلفاء الذين أعقبوه بمبدأ الاختيار، فالأول نص على الثاني<sup>(١)</sup>، والثاني جعله بين ستة من المهاجرين، فهل تراهم أول مخالفين لسنة رسول الله ﷺ<sup>(٢)</sup>، بل إن الخليفة الثاني يقر ويعترف (أن بيعة أبي بكر فلتة (أو فتنة) وقى الله شرها، فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه كائناً من كان)<sup>(٣)</sup>.

٤- إن هذا المنصب العظيم له مؤهلاته الدقيقة التي لا يعلمها إلا المطلع على الأسرار ومن لا تخفى عليه خافية في السماوات ولا في الأرض، وأولها العصمة؛ لاشتمزاز الناس من الأخذ ممن يتورط في الذنوب، وكما يظهر من الآية الشريفة [وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ] (البقرة: ١٢٤)، إنها مرتبة فوق النبوة والرسالة ولا يبلغها الرسول إلا بعد اجتيازها لامتحانات عسيرة، وقد ورد في تفسيرها أن الله اتخذ إبراهيم عبداً خالص العبودية، أي

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد / ج ١ شرح الخطبة الشقشقية.

(٢) شرح النهج لابن أبي الحديد / ج ١ شرح الخطبة الشقشقية، سيرة الأئمة ج ١، وسيأتي في الهوامش القادمة مزيد من التفصيل.

(٣) شرح النهج ج ٢ ص ٢٣، المراجعات / المراجعة ٨٠، مسند أحمد ٥٥/١، البخاري ١١١/٤، تاريخ الطبري ٤٤٦/٢. (عن نظريات الخليفين).

معصوماً قبل أن يتخذه نبياً، واتخذه نبياً قبل أن يتخذه رسولاً، واتخذه رسولاً قبل أن يتخذه خليلاً، ثم ابتلاه ربه بكلمات فأتهمهن، ونجح في تلك الاختبارات فاستحق التكريم الإلهي [إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا] <sup>(١)</sup>. وأنت لو استقرأت الآيات الشريفة وجدتها تنسب الإمامة إلى الجعل الإلهي، كآية المتقدمة وقوله تعالى: [وَجَعَلْنَا هُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ] [الأنبياء: ٧٣]، وقوله تعالى: [وَتُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ] [القصص: ٥]، وقوله تعالى: [وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بَايَاتِنَا يُوقِنُونَ] [السجدة: ٢٤]، لذا قال تعالى: [وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ] [القصص: ٦٨] [وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ] [الأحزاب: ٣٦].

٥- إن كون الإمامة بالتعيين والنص الإلهي مرتكز في أذهان المسلمين عامة حتى عند من لم يعتقدوا به ظاهراً، لكن كلماتهم وأفعالهم تبرز ذلك، والشاهد على ذلك ما ورد في روايات عديدة أن الناس كانوا يرددون قوله تعالى: [اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ] [الأنعام: ١٢٤] عند ما يطلع أحدهم عن كتب على سيرة أهل البيت عليهم السلام ومواقفهم النبيلة السامية، فكأنه مرتكز في أذهانهم جميعاً أن حمل الرسالة أمر مجعول من قبل الله تبارك وتعالى، وليس لأحد أن يتدخل فيه.

(١) سورة البقرة: ١٢٤، راجع تفسير الميزان وأصول الكافي/كتاب الحجة.

٦- إن رسول الله ﷺ نفسه لم يعط لنفسه الحق في تنصيب من يلي الأمة، وإنما أوكل الأمر إلى الاختيار الإلهي، ففي سيرة ابن هشام<sup>(١)</sup> لما دعا الرسول بني عامر للإسلام، وقد جاءوا في موسم الحج إلى مكة قال رئيسهم: رأيت إن نحن بايعناك على أمرك ثم أظهرك الله على من خالفك، أيكون لنا الأمر من بعدك؟ قال النبي ﷺ: (الأمر لله يضعه حيث يشاء). إذا كان الأمر كذلك فكيف يُدعى إيكاله إلى الأمة.

### عقيدة مدرسة أهل البيت عليهم السلام في الإمامة:

الثاني: ولم يبق إلا الاحتمال الآخر، وقد تبنته مدرسة أهل البيت عليهم السلام، وأرسى قواعده رسول الله ﷺ واستوعبه الصفوة من أصحابه ودافعوا عنه وصرحوا به رغم الوعيد والتهديد ومضوا عليه شهوداً وشهداء.

وهذا موافق لسنة الله التي جرت في أنبيائه ورسله حيث كان لهم جميعاً أوصياء<sup>(٢)</sup>، فلماذا لا يكون لرسول الله ﷺ وصي [قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنْ الرُّسُلِ] (الأحقاف: ٩) [فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا] (فاطر: ٤٣)، وقد ألفت كتب عديدة في هذا المجال بعنوان (إثبات

(١) السيرة النبوية ٤٢٤/٢.

(٢) وقد سلسل المسعودي في كتاب (إثبات الوصية) اتصال الحجج وأوصياء الأنبياء من لدن آدم حتى خاتم النبيين - صلوات الله عليهم أجمعين - وأوصيائه. عن معالم المدرستين ج ١ ص ٢٨٣.

الوصية) وأشهرها للمسعودي<sup>(١)</sup>، وهذا المسلك يقتضي تهيئة الشخص البديل وإعداده ليكون مؤهلاً لمواصلة وظائف ومسؤوليات الإمام والخلافة والقيادة النائبة بشكل تام وكامل وفاعل.

وهذا الاحتمال يبدو منسجماً مع النتائج التي تمخضت عن التحليل السابق وفي ضوء القابليات والمؤهلات التي اجتمعت في أمير المؤمنين<sup>(٢)</sup> الذي قيل في كثرة فضائله: (لقد أخفى أولياؤه فضائله خوفاً، وأخفاها أعداؤه حسداً وحقداً، وظهر ما بين ذلك ما ملأ الخافقين)<sup>(٣)</sup>، وعن أحمد بن حنبل: (ما جاء لأحد من أصحاب رسول الله ﷺ من الفضائل ما جاء لعلي بن أبي طالب)<sup>(٤)</sup>.

وكان تميزه واضحاً عن بقية أصحاب رسول الله ﷺ بكل صفات الكمال، وكان التفاف الواعين المخلصين من أصحاب رسول الله ﷺ حوله

(١) المسعودي هو: أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي ينتهي نسبه إلى الصحابي عبد الله بن مسعود توفي سنة ٣٤٦هـ، وفي ترجمته بطبقات الشافعية ٣٠٧/٢ قيل كان معتزلي العقيدة، وأشار إلى هذا الكتاب الكتبي في فوات الوفيات ٤٥/٢، ويقوت الحموي في معجم الأدباء ٩٤/١٣ وقال: له كتاب البيان في أسماء الأئمة، وفي الميزان لابن حجر ٢٢٤/٤: له كتاب تعيين الخليفة، سماه في الذريعة وغيرها: إثبات الوصية. (معالم المدرستين ج ٢).

(٢) وأنا إلى هنا أتكلم بشكل موضوعي ووفق الظروف المنظورة بعيداً عن النصوص وأقيم سلوك رسول الله ﷺ كمؤسس أمة ومنشئ مجتمع مدني جديد وقائد ناجح حكيم.

(٣) سيرة الأئمة الاثني عشر ج ١ علي وبيت المال ص ٣١٩... القول للحسن البصري في جواب من سأله عما يحدث الناس عنه.

(٤) مستدرک الحاكم ١٠٧/٣ بحسب كتاب (بنور فاطمة اهتديت) ١٣٦.

معروفاً في حياة رسول الله ﷺ وبعد وفاته ﷺ، كسلمان<sup>(١)</sup>، وأبي ذر<sup>(٢)</sup>، والمقداد<sup>(٣)</sup>، وعمار<sup>(٤)</sup>، وعزز ذلك الرعاية الخاصة والإعداد المركز الذي كان يحيطه به ﷺ منذ نعومة أظفاره والتي وصفها أمير المؤمنين نفسه بقوله: (وَقَدْ عَلِمْتُمْ مَوْضِعِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - بِالْقَرَابَةِ الْقَرِيبَةِ، وَالْمَنْزَلَةِ الْخَصِيصَةِ: وَضَعَنِي فِي حِجْرِهِ وَأَنَا وَلَدٌ يُضْمَنِي إِلَى صَدْرِهِ، وَيَكْنُفُنِي فِي فِرَاشِهِ، وَيَمْسُسُنِي جَسَدَهُ، وَيُسَمِّي عَرَفَهُ. وَكَانَ يَمْضَغُ الشَّيْءَ ثُمَّ يُلْقِمُنِيهِ، وَمَا وَجَدَ لِي كَذِبَةً فِي

(١) سلمان الفارسي أو المحمدي: كان أكثر أصحاب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام علماً وحكمة، وكان والياً على المدائن في زمن الخليفة عمر بن الخطاب، توفي في المدائن التي كان والياً عليها في آخر خلافة عثمان سنة خمس وثلاثين وقيل أول سنة ست وثلاثين وغسله ودفنه أمير المؤمنين عليه السلام.

(٢) أبو ذر: جندب بن جنادة: تقدم إسلامه وتأخرت هجرته، فشهد ما بعد بدر من غزوات رسول الله ﷺ، توفي منفياً بالريذة سنة اثنتين وثلاثين من الهجرة.

(٣) المقداد بن الأسود الكندي: قال الرسول ﷺ: (إن الله عز وجل أمرني بحب أربعة من أصحابي واخبرني أنه يحبهم، فقليل: من هم؟ فقال: علي والمقداد وسلمان وأبو ذر) .. توفي سنة ٣٣ هجرية. (الاستيعاب بهامش الإصابة ٤٥١/٣، والإصابة ٤٣٣/٣ - ٤٣٤ عن معالم المدرستين ج ١).

(٤) أبو اليقظان عمار بن ياسر: أسلم هو وأبوه وأمه وأسلم قديماً بعد بضعة وثلاثين رجلاً، وكان المشركون يخرجون عماراً وأباه وأمه إلى الأبطح إذا حميت الرمضاء يعذبونهم فمر بهم النبي ﷺ فقال (صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة)، فمات ياسر في العذاب وطعنت أمه بحربة أبي جهل، شهد عمار المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ وقتل بصفين مع علي عليه السلام وقد جاوز التسعين من عمره.

قَوْلٍ، وَلَا خَطْلَةَ فِي فِعْلٍ. وَلَقَدْ قَرَنَ اللَّهُ بِهِ - ﷺ - مِنْ لَدُنْ أَنْ كَانَ فَطِيمًا أَعْظَمَ  
 مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَتِهِ يَسْلُكُ بِهِ طَرِيقَ الْمَكَارِمِ، وَمَحَاسِنَ أَخْلَاقِ الْعَالَمِ، لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ،  
 وَلَقَدْ كُنْتُ أَتَّبِعُهُ أَتْبَاعَ الْفَصِيلِ أَثَرُ أُمِّهِ، يَرْفَعُ لِي فِي كُلِّ يَوْمٍ عِلْمًا مِنْ أَخْلَاقِهِ،  
 وَيَأْمُرُنِي بِالْإِقْتِدَاءِ بِهِ. وَلَقَدْ كَانَ يُجَاوِرُ فِي كُلِّ سَنَةٍ بَحْرَاءَ فَأَرَاهُ، وَلَا يَرَاهُ غَيْرِي،  
 وَلَمْ يَجْمَعْ بَيْتٌ وَاحِدٌ يَوْمَئِذٍ فِي الْإِسْلَامِ غَيْرَ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - وَخَدِيجَةَ وَأَنَا  
 ثَالِثُهُمَا، أَرَى نُورَ الْوَحْيِ وَالرَّسَالَةِ، وَأَشْمُ رِيحَ النُّبُوَّةِ. وَلَقَدْ سَمِعْتُ رِثَةَ الشَّيْطَانِ  
 حِينَ نَزَلَ الْوَحْيُ عَلَيْهِ - ﷺ - فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا هَذِهِ الرَّثَةُ؟ فَقَالَ: (هَذَا  
 الشَّيْطَانُ قَدْ آيَسَ مِنْ عِبَادَتِهِ، إِنَّكَ تَسْمَعُ مَا أَسْمَعُ، وَتَرَى مَا أَرَى، إِلَّا أَنْتَ كَسْتِ  
 بَنِيَّ، وَلَكِنَّكَ وَزِيرٌ، وَإِنَّكَ لَعَلَى خَيْرٍ) <sup>(١)</sup>.

وهكذا هو منه ﷺ حتى فارقت روحه الدنيا، يقول أمير المؤمنين عليه السلام:  
 (وَلَقَدْ عَلِمَ الْمُسْتَحْفَظُونَ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ - ﷺ - أَنِّي لَمْ أُرِدَّ عَلَى اللَّهِ وَلَا  
 عَلَى رَسُولِهِ سَاعَةً قَطُّ. وَلَقَدْ وَاسَيْتُهُ بِنَفْسِي فِي الْمَوَاطِنِ الَّتِي تَنْكُصُ فِيهَا الْأَبْطَالُ  
 وَتَتَأَخَّرُ الْأَقْدَامُ، نَجْدَةً أَكْرَمَنِي اللَّهُ بِهَا. وَلَقَدْ قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - وَإِنَّ رَأْسَهُ  
 لَعَلَى صَدْرِي. وَلَقَدْ سَأَلْتُ نَفْسَهُ فِي كَفِّي، فَأَمَرَتْهَا عَلَيَّ وَجْهِي. وَلَقَدْ وُلِّيتُ غُسْلَهُ  
 - ﷺ - وَالْمَلَائِكَةُ أَعْوَانِي، فَضَجَّتِ الدَّارُ وَالْأَفْنِيَّةُ: مَلَأَ يُهْبِطُ، وَمَلَأَ يَعْرُجُ، وَمَا  
 فَارَقْتُ سَمْعِي هَيْئَةً <sup>(٢)</sup> مِنْهُمْ، يُصَلُّونَ عَلَيْهِ حَتَّى وَارَيْنَاهُ فِي ضَرْيَجِهِ. فَمَنْ ذَا أَحَقُّ

(١) نهج البلاغة بشرح الشيخ محمد عبده، ج ٢ ص ١٥٧.

(٢) الهيمنة: الصوت الخفي.

بِهِ مِنِّي حَيًّا وَمَيِّتًا؟<sup>(١)</sup>.

### الدور العلوي في الحفاظ على الدين:

ولقد أدى عليه السلام دوره بنجاح بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله، وحفظ الإسلام من الضياع، وكان وجوده والأئمة من بنيه بحق أماناً للأمة من الانحراف، بحيث يستغيث الخليفة الثاني ويتعوذ بالله من معضلة ليس لها أبو الحسن<sup>(٢)</sup>، فكانت خلافة أمير المؤمنين لمقام رسول الله صلى الله عليه وآله وإمامة الخلق من بعده نتيجة طبيعية ومنطقية لتسلسل التفكير أعلاه لا يسع أي منصف أن يحيد عنها، ولم يكن النص الذي سنشير إليه - وهو حديث الغدير - هو الذي جعل من علي عليه السلام إماماً وخليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله حتى يناقشوا في دلالاته والمراد منه، لا لشيء إلا لتصحيح الواقع الذي حصل بأي ثمن كان وبأية طريقة، ولو بإنكار وجود الشمس في رابعة النهار. فعلي عليه السلام هو الإمام بما حمله من صفات الكمال قبل النص وإنما جاء النص للإشارة إليه ولتعريفه ولقطع العذر وإتمام الحجة على المخالفين ولحسم الموقف ووضع النقاط على الحروف - كما يقولون -.

### التخطيط للخلافة:

ولعظمة هذه المسألة وأهميتها فقد كان التخطيط والتمهيد لها يؤرق عين رسول الله صلى الله عليه وآله ويقض مضجعه، فإنه يخشى ردود الفعل من هذه الأمة وهو

(١) نهج البلاغة بشرح الشيخ محمد عبده، ج ٢ ص ١٧١-١٧٢.

(٢) أشار إلى كلمته المشهورة (لا أبقاني الله لمعضلة ليس لها أبو الحسن).

خوف محمود كخوف موسى عليه السلام الذي ذكره القرآن وأشرنا إليه، ليس شخصياً وإنما على مستقبل الأمة التي هي جديدة عهد بالإسلام وما زالت رواسب الجاهلية لم تنمح من ذاكرتها، وما زال التعصب يتحكم فيها<sup>(١)</sup>، فكيف يستطيع أن يضمن ولاءها لهذا القرار الهام الذي يصعب على النفوس الحاملة بالخلافة والقلوب المملوءة حسداً وحقداً على علي عليه السلام أن تنصاع إليه، كذاك الفهري الذي ما إن سمع بحديث الغدير وتنصيب علي عليه السلام خليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ومبايعة المسلمين له حتى جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال له: هذا الأمر منك أم من الله؟ فقال صلى الله عليه وآله: إنه من الله. فقال: إن كان هذا من الله فأمطر علينا حجارة من السماء أو أتتنا بعذاب أليم. فما خرج منه صلى الله عليه وآله حتى نزلت عليه صاعقة من السماء. وقد ورد أنه سبب نزول قوله تعالى: [سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ واقِعٍ، لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ] (المعارج: ١-٢)<sup>(٢)</sup>.

(١) لاحظ كشاهد على ذلك كيف أن بشير بن سعد وأسيد بن خضير بادرا إلى بيعة أبي بكر خشية أن يفوز بها سعد بن عبادة.

عن كتاب النص والاجتهاد المورد الأول يوم السقيفة ص ٨٠.. واجتماع أكثر الأنصار في السقيفة يرشحون سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج، لكن ابن عمه بشير بن سعد بن ثعلبه الخزرجي وأسيد بن خضير سيد الأوس كانا ينافسانه في السيادة، فحسداه على هذا الترشيح وخافا أن يتم له الأمر فأضمرأ له الحبكة مجمعين على صرف الأمر عنه بكل ما لديهما من وسيلة وصافقهما على ذلك وعويم بن ساعدة الأوسي، ومعن بن عدي حليف الأنصار.. وكان مع ذلك ذوي بغض وشحناء لسعد بن أبي عبادة...

(٢) روى الثعلبي الذي هو من قدوة مفسري المخالفين في شأن نزولها -انظر هامش ج ٨ تفسير الرازي لأبي مسعود ص ٢٩٢ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٠٢ ونور الأبصار ص ٦٩- أنه لما كان النبي

## الإعلان العظيم تكلل في يوم الغدير:

وبالمقابل كان ﷺ لا يستطيع السكوت عن إنفاذ هذا الأمر وهو يرى نهايته تقترب، والأعداء يتربصون بدينه الدوائر، فكيف يهدأ له بال ويقرّ له قرار قبل أن تنعقد البيعة لعلي عليه السلام.

حتى أذن الله تبارك وتعالى له بالتبليغ، بل أمره به وطمأنه من مخاوفه هذه بأنه سيعصمه من الناس، وبين أهمية هذا الأمر بأنه وحده في كفة وباقي الرسالة كلها في كفة، فقال عز من قال: [يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ] (المائدة: ٦٧).

فليس غريباً أن تدرج هذه الآية المباركة وآية الولاية التي سبقتها [إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ] (المائدة: ٥٥) في سورة المائدة التي يستشف المتأمل فيها أن غرضها

ﷺ بغدير خم نادى الناس فاجتمعوا فأخذ بيد علي عليه السلام فقال من كنت مولاه فعلي مولاه فشاع ذلك وطار في البلاد فبلغ الحارث بن النعمان الفهري فأتى ... النبي ﷺ وهو في ملاء من أصحابه، فقال: يا محمد أمرتنا من الله أن نشهد أن لا اله إلا الله وانك رسول الله ففعلناه وأمرتنا أن نصلي خمساً فقبلنا وأمرتنا أن نصوم شهر رمضان فقبلناه وأمرتنا أن نحج البيت فقبلناه ثم لم ترض بهذا حتى رفعت بضبعي ابن عمك وفضلته علينا وقلت من كنت مولاه فعلي مولاه وهذا شيء منك أم من الله، فقال النبي ﷺ: والذي لا اله إلا هو من الله، فولى الحارث بن النعمان يريد راحلته وهو يقول: اللهم إن كان ما يقول محمد حقاً فأمطر علينا حجارة من السماء واتنا بعداب اليم، فما وصل إليها حتى رماه الله بحجر فسقط على هامته وخرج من دبره فقتله وانزل الله تعالى [سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ، لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ، مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ] (حق اليقين في معرفة أصول الدين ج ١ / الآية الثالثة الدالة على أن الإمام بعد رسول الله ﷺ هو علي عليه السلام).

تأسيس المجتمع المسلم، وبيان مميزاته الرئيسية ومقوماته وأسس كيانه، وعرض نقاط الفرق بين المجتمع الذي يقوم على أساس الإسلام والمجتمع الذي ليس كذلك كائناً ما كان وإن سمي نفسه مسلماً، فإنه في مفهوم القرآن (مجتمع جاهلي)، فالبينونة بين المجتمعين كاملة في الأحكام (كآيات أوفوا بالعقود وحرمة الكلب والخنزير وغيرها) وفي من له حق الولاية (فقد تكررت كثيراً آيات ولاية المؤمنين والبراءة من الكافرين)، وفي الشريعة التي تنظم الحياة [أَفْحَكُمُ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ، وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ، هُمْ الظَّالِمُونَ، هُمْ الْفَاسِقُونَ] (المائدة، ٤٤، ٤٥، ٤٧، ٥٠) وتمامها وعقد نظامها آية التبليغ وآية الولاية.

### أعظم الأعياد في الإسلام:

ثم جعل يوم الحسم هذا أعظم عيد في الإسلام، ففيه كمل الدين وتمت النعمة بعقد البيعة والولاية لأمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ، وامتنَّ الله تبارك وتعالى على عباده بذلك فقال عز من قائل: [الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا] (المائدة: ٣).

وجلس رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتقبل التهاني بهذا الإنجاز العظيم ويقول لأصحابه: هنتوني هنتوني بابن عمي أمير المؤمنين. وأفرد له خباءً ليسلموا عليه ويباعوا عليه خليفة من بعده وأميراً للمؤمنين، واستأذنه شاعره حسان بن ثابت أن يقول شعراً في المناسبة، فأذن له فأنشأ:

يناديهم يوم الغدير نبهم      بغمٍّ فأسمع بالرسول مناديا

وفيها يقول:

فقال له: قم يا عليُّ فإنني رضيتك من بعدي إماماً وهادياً  
وأول من سلم عليه الشيخان وهما يقولان له: بخ بخ لك يا بن أبي طالب،  
أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة<sup>(١)</sup>.

وقد نظم هذه الحقيقة التاريخية الدامغة أجيال من الشعراء جيلاً بعد  
جيل<sup>(٢)</sup>، ومنهم عمرو بن العاص الخضم الألد لعلي بن أبي طالب في قصيدته  
الجلجلية التي بعثها إلى معاوية يذكره ببعض الحقائق التي تناساها، ومما جاء  
فيها<sup>(٣)</sup>:

وكم قد سمعنا من المصطفى وصايا مخصصةً في علي  
فأنحلّه إمرة المؤمنين من الله مستخلف المنحل  
وقال: فمن كنت مولياً له فهذا له اليوم نعم الولي

(١) أخرج الإمام الواحدي في تفسير (يا أيها الرسول بلغ ... ) من طريقين معتبرين عن عطية عن  
أبي سعيد الخدري قال: نزلت هذه الآية يوم غدیر خم بعلي بن أبي طالب، فلما بلغ الرسالة بنصه  
ﷺ على علي عليه السلام بالإمام وعهد إليه بالخلافة أنزل الله عز وجل [اليوم أكملت لكم ...] وأول  
من هنا علي عليه السلام في يوم الغدير هما: أبو بكر وعمر بقولهما: أمسيت يا بن أبي طالب مولى كل  
مؤمن ومؤمنة. (أخرجه الدار قطني - الفصل الخامس من الباب الأول من صواعق بن حجر  
ص ٢٦ وأحمد نحو هذا القول عن عمر من حديث البراء بن عازب ص ٢٨١ ج ٤ من مسنده).  
(المراجعات ٥٤ وما بعدها).

(٢) راجع الموسوعة الفريدة (الغدیر) للشيخ الأميني قدس سره.

(٣) راجع كتاب الغدير في ترجمة عمرو بن العاص.

فبخبخَ شيخُك لما رأى      عُرى عقد حيدر لم تُحلل  
فقال: وليكم فاحفظوه      فمدخله فيكم مدخلي

وقد جاء هذا البيان - خطبة الغدير - منه ﷺ متوجاً لبيانات سابقة لا تقل عنه وضوحاً: (إن علياً مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي)<sup>(١)</sup>، وإن: (علي مع الحق والحق مع علي)<sup>(٢)</sup> وإنه ﷺ وأهل بيته كمثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك<sup>(٣)</sup>، وأنهم والقرآن صنوان لا يفترقان، وثقلان ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا من بعدي أبداً<sup>(٤)</sup>.. وغيرها كثير.

### لماذا كان يوم الغدير أعظم عيد في الإسلام؟

إن عظمة هذا اليوم لها مناشئ عديدة فهو:

١- يوم الطمأنينة على بقاء الرسالة واستمراريتها بعد أن انتقل ارتباطها من شخص رسول الله ﷺ، فيمكن أن تموت بموته، إلى نوع رسول الله ﷺ، أي إلى كل من تتجمع فيه صفات وشروط الإمامة فلم يعد وجودها منوطاً

(١) حديث المنزلة: عن الإمام أحمد في الجزء الأول من مسنده في آخر صفحة ٣٣٠ والإمام النسائي في خصائصه العلوية ص ٦ والحاكم في ج ٣ من صحيحه المستدرک ص ١٢٣ والذهبي في تلخيصه معترفاً بصحته عن عمرو بن ميمون (المراجعات: ٢٦).

(٢) البحار ج ١٠ باب ٢٦ ص ٤٣٢.

(٣) الوسائل: كتاب القضاء، صفات القاضي، باب ٥، حديث ١٠.

(٤) الإمام أحمد والترمذي بعدة طرق تجدها في المراجعات: المراجعة ٨٠.

بشخصه ﷺ.

٢- وهو يوم الانتصار النهائي على مكائد الأعداء الذين لم يبق في جعبتهم من سلاح إلا موت رسول الله ﷺ لتنتهي دعوته ففقدوا هذا الأمل الشيطاني بتنصيب أمير المؤمنين عليّ عليه السلام خليفة.

٣- وهو يوم حماية الأمة من التشتت ومن الضياع بتعيين الحبل الذي إن اعتصموا به بقي ريحهم وكيانهم وانتشر أمرهم وعلت كلمتهم.

٤- وهو يوم صيانتها من الانحراف بعد أن نصب لهم العلم والمحور الذي يلتفون حوله.

٥- وهو يوم أمان الأرض ومن عليها من الفناء، لما ورد في الحديث: (إن الأرض لا تخلو من حجة ظاهر أو مستور، ولولاها لساخت الأرض بأهلها)<sup>(١)</sup>.

٦- وهو يوم الهداية إلى الدين ووضوح الحق بمعرفة الحجة كما في الدعاء: (اللهم عرفني نفسك، فإنك إن لم تعرفني نفسك لم أعرف رسولك، اللهم عرفني نبيك، فإنك إن لم تعرفني نبيك لم أعرف حجتك، اللهم عرفني حجتك، فإنك إن لم تعرفني حجتك ضللت عن ديني)<sup>(٢)</sup>.

٧- وهو يوم الإمامة التي هي أس الإسلام وسمامه، فهو لا يقل أهمية عن يوم البعثة النبوية الذي انبثق فيه نور الإسلام.

(١) البحار ج ٣٦، باب ٤١، ص ٣١٥.

(٢) مفاتيح الجنان: الفصل السادس، دعاء زمن الغيبة.

## التشيع يزداد وضوحاً بيوم الغدير:

لأجل هذا كله كان يوم الغدير أعظم عيد في الإسلام كما نطقت به الروايات الشريفة، وفي ذلك اليوم تبلورت فكرة (التشيع) ونضجت ثمارها وأينعت بعد أن كان قد زرع بذورها رسول الله ﷺ في مناسبات عديدة، ابتداءً من يوم الدار وإنذار عشيرته الأقربين في أوائل البعثة الشريفة<sup>(١)</sup>.

ولهج رسول الله ﷺ بهذا الاسم المحبب له ولأهل بيته (صلوات الله عليهم أجمعين) في مناسبات عديدة، أنقل بعضها من كتب العامة ليكون الخطاب أبلغ في الحجة:

١- في الدر المنثور للسيوطي ج ٨/ص ٥٨٩: روى بسنده عن جابر بن عبد الله الأنصاري، قال: كنّا عند النبي ﷺ فأقبل عليّ ﷺ، فقال النبي ﷺ: (والذي نفسي بيده إن هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة)، فنزل قوله تعالى:

(١) حياة محمد: الفصل الخامس، ص ١٤٢، لمحمد حسين هيكل، المراجعات: مراجعة ٢٠ قال فيها حين أنزل الله تعالى على الرسول الأكرم ﷺ [وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ] فدعاهم إلى دار عمه أبي طالب وهم يومئذ أربعون رجلاً يزيد رجلاً أو ينقصونه، وفيهم أعمامه أبو طالب وحمزة والعباس وأبو لهب، والحديث في ذلك من صحاح السنة المأثورة، وفي آخره قال رسول الله ﷺ: يا بني عبد المطلب إني والله ما أعلم شاباً في العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم به، جئتكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني الله أن أدعوكم إليه، فأيكم يؤازرنى على أمرى هذا على أن يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم؟ فأحجم القوم عنها غير علي - وكان أصغرهم - إذ قام فقال: أنا يا نبي الله أكون وزيرك عليه، فأخذ رسول الله ﷺ برقبته وقال: إن هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم، فاسمعوا له وأطيعوا، فقام القوم يضحكون، ويقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع.

[إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ] (البينة: ٧).

٢- ابن حجر في الصواعق المحرقة الباب (١١) الفصل الأول: الآية

الحادية عشرة:

عن ابن عباس قال: لما أنزل الله تعالى: [إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ]، قال رسول الله ﷺ لعلي عليه السلام: (هم أنت وشيعتك تأتون يوم القيامة راضين مرضيين ويأتي عدوك غضاباً مقمحين).

٣- القندوزي الحنفي في ينابيع المودة ج ٢ ص ٦١.

عن أم سلمة (رضي الله عنها) قالت: قال رسول الله ﷺ: (علي وشيعته هم

الفائزون يوم القيامة)، ومن المصادر التي ذكرت هذه الرواية في تفسير الآية الشريفة: تفسير الطبري وروح المعاني وكفاية الكنجي الشافعي وغيرها<sup>(١)</sup>.

## كيف خطط رسول الله ﷺ للخلافة من بعده:

### أشكال التخطيط النبوي لتعيين الخليفة:

لقد كان تخطيط رسول الله ﷺ لهذا الأمر أي تعيين الخليفة والامتداد له

على ثلاثة أشكال:

الأول: النص المباشر والواضح عليه، وعدم ترك الأمر مجملاً تتقاذفه

التأويلات والتفسيرات، وقد تقدم فيما مضى فكرة عنه، وأنصح بقراءة كتاب

(١) نقلاً عن كتاب (بنور فاطمة اهتديت) للكاتب والمحامي السوداني عبد المنعم حسن /ص ٤٩.

(المراجعات) للسيد شرف الدين<sup>(١)</sup> للاطلاع على المزيد من الأدلة والنصوص بيان قوي وحنة دامغة، مما لو دخلت فيه سأخرج عن الاتجاه العام الذي رسمته لهذا البحث.

الثاني: الإشادة بالأشخاص المخلصين الواعين الذين يعلم ﷺ منهم أنهم ثابتون على الخط وواعون للهدف وراسخون في المبدأ، ولا تأخذهم في الله لومة لائم، ويقولون كلمة الحق مهما كان الثمن، كسلمان والمقداد وأبي ذر وعمار وذي الشهادتين وبلال الحبشي وأم ايمن وأم سلمة، فكان ﷺ يردد: (سلمان منّا أهل البيت)<sup>(٢)</sup> (إن الجنة لتشتاق إلى أربعة: سلمان والمقداد وأبي ذر وعمار)<sup>(٣)</sup> (ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء ذا لهجة أصدق من أبي ذر)<sup>(٤)</sup> (ملى عمار إيماناً من قرنه إلى أخص قدميه)<sup>(٥)</sup> (أم أيمن امرأة

(١) السيد عبد الحسين بن السيد يوسف بن السيد جواد بن السيد إسماعيل بن محمد جد الأسرتين آل الصدر وآل شرف الدين بن السيد إبراهيم (الملقب بشرف الدين) ولد في الكاظمة سنة ١٢٩٠ هجرية، كتابه المراجعات: هو مجموعة مراجعات جرت بينه وبين المرحوم علامة مصر الشيخ سليم البشري شيخ الأزهر، توفي السيد في ٨ جماد الثانية ١٣٧٧ هجرية.

(٢) البحار ج ١، باب ٨، ص ١٢٣.

(٣) وسائل الشيعة: ج ٢٢ خاتمة الكتاب، باب ١٠، ص ٣٢٤.

(٤) الوسائل ج ١٠، باب ٢، ص ٢٣، سنن ابن ماجه المقدمة باب ١١، وسنن الترمذي كتاب المناقب، مناقب أبي ذر، ومسند أحمد، وطبقات ابن سعد. (عن معالم المدرستين).

(٥) الوسائل: ج ١٩، باب ٦، ص ٣٥.

من أهل الجنة<sup>(١)</sup> و(بلال من أهل الجنة)<sup>(٢)</sup> وقال لأم سلمة: (لست من أهل البيت، لكنك على خير)<sup>(٣)</sup>.

فكانت هذه الأوسمة تخطيطاً منه ﷺ للمستقبل إذا انقلبت الأمة على الأعقاب وتاهت بها السبل في بحر الظلمات، فسيكون هؤلاء أعمدة نور تضيء لطلاب الحقيقة الدرب، وتدلّهم على شاطئ الإيمان وقد أدّوا دورهم وقالوا كلمة الحق فثبتوها في لوح التاريخ<sup>(٤)</sup> لو كان هناك من يسمع، بينما لم نسمع منه ﷺ كلمة واحدة في أولئك الذين انحرفوا عن علي عليه السلام وخذلوه، رغم أن منهم من كان له مواقف مشهورة كالزبير بن العوام.

الثالث: وضع ضوابط يُعرف بها المستحقون لهذا الأمر وتمييزهم عمّن هم ليسوا أهلاً له، والذين يستخدمون أساليب لم يقم عليها دليل شرعي من أجل تثبيت استحقاقهم، أو تشويه صورة أهل الحق وإزالتهم عن موقعهم، كما كانوا يقولون: (إن قريش نظرت فاخترت، وإنها أبت أن تجتمع النبوة والخلافة في بني هاشم)<sup>(٥)</sup> و(إن فلان - وهو الأول - أسنّ من علي)<sup>(٦)</sup> و(إن علياً فيه

(١) البحار: ج ١٧، باب ٤، ص ٣٧٨.

(٢) البحار: ج ٢٢، باب ٣٧، ص ١٤٢.

(٣) أخرجه الطبراني في الدر المنثور، وروي عن طريق الخاصة.

(٤) راجع كتاب الاحتجاج للطبرسي.

(٥) ابن أبي الحديد: ص ١٠٧ من المجلد الثالث في شرح النهج، ابن الأثير: ص ٢٤ ج ٣ من

كامله. (عن المراجعات: مراجعة ٨٤). سيرة الأئمة: ج ١ ص ٣٣٢ هاشم معروف الحسيني.

(٦) الغدير: ج ٢ ص ١٢٨.

دعابة<sup>(١)</sup>، والله تبارك وتعالى يخاطبهم [فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا] (النساء: ٦٥)، ويقول تعالى [وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا] (الحشر: ٧)، وقال تعالى [وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ] (القصص: ٦٨) [وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ] (الأحزاب: ٣٦) فما قيمة رأي أحد واختياره كائناً من كان بعد قضاء الله تبارك وتعالى واختياره [بِسْمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يَنْزِلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ] (البقرة: ٩٠).

### الضوابط والمعايير لتولي الخلافة:

فبهذه المعايير والضوابط التي سنذكرها إن شاء الله تعالى تستطيع الأمة أن تفرز هؤلاء المتطفلين مهما مارسوا من أساليب الخداع والتضليل، المتقمصين لأمرها بغير حق:

(فمنها) قوله تعالى: [لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ] (البقرة: ١٢٤)، والعهد هو الإمامة؛ لأنها جاءت جواباً على سؤال إبراهيم عليه السلام بعد جعله إماماً، قال: [وَمِنْ

(١) شرح النهج: ج ١ لابن أبي الحديد عن شيخه أبو عثمان في كتابه السفينانية، سيرة الأئمة: ج ١

ذُرِّيَّتِي]، وقد فَسَّرَتْ في الروايات الشريفة بمن سجد لصنم يوماً ما<sup>(١)</sup>، فإن من فعل ذلك سفيه، ولا يكون السفيه إمام التقي كما في الحديث<sup>(٢)</sup>، ويشهد له قوله تعالى: [إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ] (لقمان: ١٣).

(ومنها) قوله تعالى: [لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا] (الحديد: ١٠).

(ومنها) قوله ﷺ: (لا يلي أمر هذه الأمة طليق).

(ومنها) قوله ﷺ: (فاطمة بضعة مني، يرضى الله لرضاها، ويغضب لغضبها)<sup>(٣)</sup>.

وقال ﷺ: (يا عمار تقتلك الفئة الباغية)<sup>(٤)</sup>.

(ومنها) حشده ﷺ المعادين لخط الإمامة، وفيهم شيوخ قريش في جيش أسامة ذي السبعة عشر ربيعاً، ولعنه من تخلف عن جيش أسامة، وأمر بإنفاذه فوراً<sup>(٥)</sup>، وكان ذلك منه ﷺ لإخلاء الساحة من الذين لا ينصاعون لإمامة أمير

(١) روى الفقيه ابن المغازي الشافعي مسنداً عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: انتهت الدعوة إلي وإلى علي عليه السلام ولم يسجد أحدنا لصنم فاتخذني نبياً واتخذ علي وصياً. (حق اليقين في معرفة أصول الدين - الحادي عشر من الآيات الدالة على إمامة علي عليه السلام).

(٢) الكافي: كتاب الحجّة، حديث ٤٣٨، المجلد الثاني.

(٣) الإمامة والسياسة لابن قتيبة: ١٤/١، أعلام النساء: ٣١٤/٣. (عن نظريات الخليفين ج ١).

(٤) الكافي: ١١/٥.

(٥) الشهرستاني في المقدمة الرابعة من كتاب الملل والنحل. (المراجعات: مراجعة ٩٠، النص والاجتهاد - سرية جيش أسامة).

المؤمنين عليه السلام.

### تطبيق الضوابط على المتصدين للخلافة بغير حق:

وبملاحظة هذه المعايير والضوابط تكتشف كيف خطط رسول الله صلى الله عليه وآله لحصر الأمر بعلي عليه السلام، فبعض المتصدين ممن أغضب فاطمة عليها السلام وماتت وهي واجدة عليهم، كما أشهدتهم (صلوات الله عليها) على ذلك، فنالوا بذلك غضب الله تبارك وتعالى، وهل يلي أمر الأمة أحد من المغضوب عليهم، ثم هم من الظالمين الذين سجدوا للأصنام ردحاً طويلاً من الزمن، فلا ينالهم عهد الله تعالى، فكيف يكون أحدهم إماماً لمن كرم الله وجهه عن ذلك - كما يعترفون - وهم أيضاً ممن تخلفوا عن جيش أسامة فينالهم حكمه.

وبعضهم لم يقاتلوا لا قبل الفتح ولا بعده، وهزائمهم في الحروب معروفة، ومنهم من ولى منهنماً في معركة أحد لا يلوي على شيء ثلاثة أيام، حتى بلغ تخوم الشام، فقيل له: إن الأمر لا يستحق ذلك وقد عاد رسول الله صلى الله عليه وآله سالماً إلى المدينة.

ومعاوية ومروان ممن أسلموا بل استسلموا بعد الفتح، فلا يستوون مع من آمن وأنفق من قبل الفتح وقاتل، وهم من الطلقاء<sup>(١)</sup> فلا يحق لهم ولاية أمر الأمة. وهم من البغاة، لأنهم قتلوا عماراً في صفين، فكيف يلي أمر الأمة باغ أثيم<sup>(٢)</sup>.

(١) مستدرک نهج البلاغة: الباب الثاني، كتاب أمير المؤمنين عليه السلام إلى معاوية وقوله: (...واعلم يا معاوية أنك من الطلقاء الذين لا تحل لهم الخلافة ولا تعقد معهم الإمامة...).

(٢) البحار: ج ٣٦، باب ٤١، ص ٣٢٧، النص والاجتهاد: المورد ٩٥ حرب معاوية لعلي عليه السلام.

فلو كانت الأمة واعية لتلمست طريقها بوضوح، حيث لم يترك لها رسول الله ﷺ عذراً، فهل كان رسول الله ﷺ عاطفياً وبدافع الحب لابنته حين قال هذا الكلام، وهل سمعت بأحد غيور يرتقي المنبر ويشني على مزايا ابنته؟! لا طبعاً خصوصاً في مثل رسول الله ﷺ الذي يصفه القرآن [وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ] (النجم: ٣-٤). وإنما المسألة أبعد من ذلك، إنه يريد أن ينصب لهم ميزاناً يعرفون به الحق والباطل لو اختلطا عليهم، وإن كان الأمر واضحاً لكن قلبه الكبير ورحمته ورأفته بالأمة أبت إلا أن يوالي الحجج على هذه الأمة وينصب لها العلامات تلو العلامات حتى وهو على فراش المرض في رزية الخميس كما يسميها ابن عباس<sup>(١)</sup>. ولأنه ﷺ كان يعلم أن أساليب التضليل كثيرة ووسائل الضغط قوية وشرسة، فالنص - وهو الشكل الأول من التخطيط - يُؤوّل ويُحرّف، وهذه الثلاثة المخلصة - وهو الشكل الثاني - يُضيقّ عليها وتحبس أنفاسها، فأبو ذر ينفي إلى الربذة حتى يموت غريباً<sup>(٢)</sup>، وعمار وعبد الله بن مسعود<sup>(٣)</sup> يداس بطنه وتوجأ عنقه، وأم أيمن امرأة أعجمية لا تقبل لها شهادة<sup>(٤)</sup>،

(١) المراجعات: المراجعة ٨٦

(٢) الوسائل: ج ٢٢ باب ١٢ ص ٣٩٥، معالم المدرستين ج ١ ص ٤٥٩.

(٣) ابن مسعود: أسلم قديماً وأجهر قديماً في مكة فضربوه حتى أدموه وهاجر إلى الحبشة والمدينة، شهد بديراً وما بعدها، وقطع عثمان عطاءه سنتين لأنكاره على الوليد ما ارتكبه زمان ولايته على الكوفة ومات سنة اثنتين وثلاثين. (أسد الغابة: ٢٥٦/٣-٢٦٠، مستدرک الحاكم: ٣/٣٢٠، ٣١٥ وراجع أحاديث عائشة ٦٢-٦٥) (عن معالم المدرستين ج ٢)، وحول مقتله راجع للتفصيل سيرة الأئمة ج ١ ص ٣٧٠ وكذلك ضرب عمار بن ياسر.

والحسن والحسين طفلان صغيران<sup>(٢)</sup>، وعليّ يجر النار إلى قرصه فلا تقبل له ولا لولديه شهادة<sup>(٣)</sup>، والزهراء عليها السلام تتجرع الآلام غصة بعد غصة حتى لحقت بأبيها بعد أيام وهكذا...، لذا كان الشكل الثالث من التخطيط ضرورياً ليكون شاهد عدل مدى الأجيال، تملأ أفواه مزوري الحقائق بالتراب.

ولعلك تعجب مع وضوح هذا التخطيط وقوة الحجج المتوالية التي لم تنقطع حتى وفاته صلى الله عليه وإذا بالأمر يزول عن مستقره ويتمص الخلافة غير علي عليه السلام، وهو يعلم أن محل ابن أبي طالب منها محل القطب من الرحي، ينحدر عنه السيل، ولا يرقى إليه الطير<sup>(٤)</sup>.

وانه لعجيب فعلاً، ولو لم يكن حقيقة ثابتة أجمع عليها المؤرخون لما صدقنا به، وقد أوجدت في عين أمير المؤمنين قذى، وفي الحلق شجى، وفي القلوب جمرة لا تطفأ إلى يوم القيامة حتى ينتصف المظلوم من الظالم، ونعم الحكم الله والخصم محمد صلى الله عليه<sup>(٥)</sup>، يقول الإمام الصادق عليه السلام بهذا الصدّد: (إن حقوق الناس تثبت بشهادة شخصين، وقد أنكر حق جدي أمير المؤمنين وعليه

(١) بحار الأنوار: ج ٢٨، باب ٤، ص ٣٠٢، سيرة الأئمة: القسم الأول ص ١١٨ لهاشم معروف الحسيني.

(٢) سيرة الأئمة: القسم الأول ص ١١٩.

(٣) سيرة الأئمة: القسم الأول، ص ١١٨.

(٤) من كلمات لأمر المؤمنين عليه السلام في الخطبة الشقشقية في نهج البلاغة.

(٥) من خطبة الزهراء التي احتجت بها على الصحابة في مسجد رسول الله صلى الله عليه. (المصنف).

راجع شرح النهج لابن أبي الحديد: ج ١٦ ص ٢١٠.

سبعون ألف شاهد كانوا مع رسول الله ﷺ في غدیر خم<sup>(١)</sup>.

### المرجعية الدينية ومسؤوليات التخطيط لإعداد البديل:

وعلى أية حال، فليست هذه الحالة فريدة في التاريخ، بل هي تتكرر كلما تكررت ظروفها الموضوعية، وما دامت النفس الأمارة بالسوء الميالة لاتباع الهوى وإشباع الشهوات والنزوع إلى التسلط وحب الجاه، وقد عشنا مثلها فإلى الله المشتكى<sup>(٢)</sup>.

والذي أريده من هذا البيان ليس فقط ترسيخ هذه العقيدة والدفاع عنها وإن كان هذا مطلباً مهماً، لكنني بالإضافة إليه أقول: إن العلماء وعلى رأسهم المرجعية الشريفة هم ورثة الأنبياء<sup>(٣)</sup>، ليس فقط في الحقوق والامتيازات، وإنما في الوظائف والمسؤوليات والواجبات، خصوصاً وقد أمرنا بالتأسي برسول الله ﷺ بقوله تعالى: [لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا] (الأحزاب: ٢١).

ومن تمام التأسي والوراثة إعداد البديل بغض النظر عن كونه واحداً أو أكثر، وتربيته وتأهيله لهذا المنصب الإلهي الشريف، وأي تقصير فيه غير مغتفر لا عند الله سبحانه ولا عند رسوله ﷺ ولا أوليائه العظام ولا عند المجتمع، وبعد أن

(١) بحار الأنوار: ج ٣٧ باب ٥٢ ص ١٥٨.

(٢) يشير (دام ظله) بذلك إلى ما حصل من حركات (انقلابية) على وصية السيد الشهيد الصدر الثاني عليه السلام رغم النصوص والإشارات المتكررة.

(٣) الكافي: ٣٢/١.

يطمئن إلى إكمال إعداد البديل علمياً وفكرياً وأخلاقياً وعقائدياً - وهي المقومات الأربعة لشخصية العالم الديني، بل كل مسلم واع مخلص - يجب أن يشير إليه صريحاً، وهذا هو الشكل الأول من التخطيط.

وأما الشكل الثاني فيؤدى بالإشادة بمجموعة من الفضلاء الورعين المخلصين من أهل الخبرة الذين يطمئن إلى استقامتهم على الطريقة وإنصافهم الحق ونزاهتهم في بيانه وبصيرتهم في الأمور، حتى يرشدوا المجتمع بإخلاص وبلا لبس وإجمال وغموض إلى المرجع البديل.

وأما الشكل الثالث ففيه صنفان من الضوابط والمعايير والشروط، فمنها شروط ثابتة، وهي الاجتهاد والعدالة وغيرها من المذكورات في الرسائل العملية، ومنها شروط متحركة بحسب الزمان والمكان والظروف الموضوعية التي تعيشها المرجعية الشريفة، وهذه يجب طرحها بحسب الحاجة وفي وقتها المناسب. وهذا الكلام كله على نحو الإشارة والإجمال، وللتفصيل محله المناسب.

### مسؤولية الأمة في البحث عن المرجع البديل:

هذا بالنسبة لتكليف المرجعية، وفي مقابله توجد مسؤولية على الأمة يجب أن تعيها وتؤديها، وهي سؤال المرجع عن البديل، فإذا عينه كان من واجبهم الالتفاف حوله والإشادة به ودلالة المجتمع عليه، وقد تكاملت هذه الترية عند

أصحاب الأئمة عليهم السلام، فكانوا يسألونهم: (مَنْ الحجة بعدك) <sup>(١)</sup> وإلى من المفزع إذا حدث حادث) <sup>(٢)</sup> وهكذا، وإذا ذهب إمام فلم يكونوا يصدّقون كل من يدعي الإمامة، بل يجرون له الامتحانات التي لا ينجح فيها أي إمام <sup>(٣)</sup>، كامتحانهم لجعفر أخي الإمام العسكري عليه السلام الذي ادعى الإمامة بعد أخيه عليه السلام.

(١) أصول الكافي : كتاب الحجة باب الإشارة والنص على الأئمة.

(٢) نفس المصدر.

(٣) راجع كتاب أصول الكافي / كتاب الحجة.

## القبس القرآني

٨٨

﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل

انقلبتم على أعقابكم﴾ (١) [آل عمران : ١٤٤]

ماذا خسرت الأمة حينما ولت أمرها من لا يستحق

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على محمد وآله الطاهرين الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، لقد جاءت رسل ربنا بالحق، والحمد لله الذي جعلنا من الموفين بعهده وميثاقه الذي واثقنا به من ولاية ولادة أمره والقوامة بقسطه، ولم يجعلنا من الجاحدين المكذابين بيوم الدين، وصلّى الله على رسوله والأئمة الميامين من آله وسلم تسليماً كثيراً.

## رزية الخميس:

كانت وفاة النبي ﷺ يوم الاثنين الثامن والعشرين من صفر على ما هو المشهور<sup>(٢)</sup>، فتكون رزية يوم الخميس كما سماه عبد الله بن عباس<sup>(٣)</sup> يوم الرابع والعشرين من صفر أي في مثل يوم أمس، وكانت رزية حقاً، إذ انقطع في ذلك

(١) محاضرة ألقاها سماحة آية الله الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) على حشد من فضلاء وطلبة الحوزة العلمية يوم ٢٥ صفر ١٤٢٣ هـ المصادف ٨ آيار ٢٠٠٢م في مسجد الرأس الشريف مجاور الصحن الحيدري المطهر بمناسبة ذكرى وفاة رسول الله ﷺ.

(٢) منتهى الآمال في تواريخ النبي والآل للشيخ عباس القمي ج ١ الفصل السابع، تأريخ الطبري المجلد الثاني ص ١٩٧، سيرة بن هشام ج ٤/ اليوم الذي قبض الله تعالى فيه نبيه الأكرم ﷺ.

(٣) تأريخ الطبري المجلد الثاني السنة الحادية عشر.

اليوم آخر أمل لتمسك الأمة بوصية رسول الله ﷺ في الإمام والخليفة من بعده، وأعلنوا معارضتهم الصريحة والواضحة لهذا التعيين، لذلك قال ﷺ لأهل بيته: (أنتم المستضعفون بعدي)<sup>(١)</sup>، وأوصى أمته بهم خيراً، ولو كان يعلم أن الأمر يؤول إليهم لما احتاج إلى الوصية بهم، وفي حديث للإمام الصادق عليه السلام يعبر فيه عن ألمه العميق من تضييع الأمة لبيعة يوم الغدير ولحق أمير المؤمنين فيقول: (إن حق الرجل يثبت بشاهدين، وقد أضيع حق جدي أمير المؤمنين وعليه سبعون ألف شاهد)<sup>(٢)</sup>.

### النزاع بين الخط الإلهي والخط البشري:

ولا أريد أن أناقش أسباب هذا التضييع وإهمال الأمة لهذا الحق الذي أخذه الله على كل المؤمنين، فلهذه المناقشة محل آخر، لكنني أعتقد أن أحد هذه الأسباب والذي لا زال في ذهن الناس مما يقلل من وعي خطورة هذا التضييع هو القصور في فهم النزاع، فقد فهموه على أنه نزاع بين شخصين، هما علي بن أبي طالب عليه السلام ومن نازعه الأمر، فهم لا ينكرون فضل علي عليه السلام وسابقته وجهاده وعلمه وقربه من رسول الله ﷺ وشجاعته وفناءه في الله، لكنهم يرون أن المقابل أيضاً من السابقين إلى الإسلام وثاني اثنين إذ هما في الغار وصهر رسول الله ﷺ وبدري وأحدي، بل حاولوا تلفيق بعض المناقب لساووه بأمر المؤمنين أو يقتربوا منه عليه السلام، وإزاء هذه المقارنة لم يجدوا المسألة مهمة بهذه الدرجة ولا تستحق أن

(١) منتهى الآمال ج ١ ص ٢٠٥.

(٢) البحار ج ٣٧ باب ٥٢ ص ١٥٨.

ينشق المسلمون إلى طائفتين عظيمتين، ولا جدوى في البحث فيها فقد أكل عليها الدهر وشرب.

ولو فهموها بصورتها الصحيحة لغيروا عقيدتهم، ولما وجدوا أي تردد في قبول المذهب الحق، لأن الخلاف ليس بين شخصين – وإن كان بحد ذاته دليلاً كافياً لسمو علي عليه السلام غيره كسمو الثريا على الثرى – وإنما بين مبدأين وخطين كان علي عليه السلام رمز الأول ومنافسه رمز الثاني:

**الأول:** مبدأ وخط رسمه الله تبارك وتعالى خالق السموات والأرض العالم بخفيات الأمور وبواطن النفوس وبما كان وسيكون، واختاره للأمة لتصل إلى كمالها المنشود، وبلغه رسوله الكريم ﷺ في يوم الغدير.

يقف في أول الخط علي بن أبي طالب عليه السلام، ومن بعده الحسنان سبطا رسول الله ﷺ، ومن بعدهما الأئمة الطاهرون الذين أطبقت الأمة على نزاهتهم وعلمهم وتمثيلهم الكامل للشريعة الإلهية، ومن بعدهم العلماء العارفون الأتقياء الصالحون حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

**الثاني:** خطٌ يصنعه البشر بأهوائهم وأساليبهم الشيطانية من قهر وإذلال أو إغراء بالمال أو ظلم وتعسف أو تضليل وتمويه وادعاءات باطلة، وكان الآخر رأس هذا الخط، فقد اختارته قريش – كما يقول الخليفة الثاني – وليس الله الذي اختاره، ويتتابع على هذا الخط معاوية الذي يقول: والله ما قاتلتكم لتصلوا ولا لتصوموا ولا لتزكوا، وإنما لأتأمر عليكم<sup>(١)</sup>، ومن بعده يزيد شارب الخمر على

(١) منتهى الآمال: الفصل الثالث ص ٤٣٥ عن البحار ج ٤٤ ص ٤٩.

منابر المسلمين والذي أحرق الكعبة بالمنجنيق وقتل ريحانة رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup>، ومن بعده الآخرون الذين سفكوا الدماء وهتكوا الأعراس ونشروا الفساد وضلوا وأضلوا ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ (الأعراف: ٣٨).

### مع الوعي في الطرح:

عندما تعرض المقارنة بهذا الشكل، ولو استوعبها الصحابة والأجيال جميعاً بهذا الشكل لما ترددوا في الإيمان بصحة الخط الأول والتمسك به، على أنهم غير معذورين من أول الأمر، لأن القرآن صريح ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ (الأحزاب: ٣٦)، وقال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (القصص: ٦٨)، بل إن رسول الله ﷺ نفسه لم يكن له هذا الحق حينما عرض عليه بنو عامر أن يسلموا مقابل أن يجعل لهم الأمر من بعده، فقال ﷺ: «ليس الأمر لي، وإنما هو بيد الله يختار له من يشاء»<sup>(٢)</sup>.

(١) تأريخ الطبري المجلد الثالث، سيرة الأئمة لهاشم معروف الحسني ج ٢ منتهى الآمال ج ١ الباب الخامس، معالم المدرستين ج ٥/ يزيد في أفعاله وأقواله (روى صاحب الأغاني: أن يزيد بن معاوية أول من سن الملاهي في الإسلام من الخلفاء وآوى المغنين وأظهر الفتك وشرب الخمر وكان ينادم عليها سرجون النصراني مولاه...).

(٢) السيرة النبوية: ج ٢/ عرض الرسول نفسه على بني عامر.

## ماذا خسرت الأمة؟

ومحل الشاهد أنني اعتقد أن طرح الموضوع بهذا الشكل يكون أجدى وأوضح، ولكي نزيده وضوحاً نطرح سؤالاً، وهو: ماذا خسرت الأمة بتضييعها وصية رسول الله ﷺ في الخليفة من بعده؟ وماذا ترتب على هذا الإهمال من نتائج سلبية؟ وحينما أتناول هذا البحث فإني لا أريد فقط أن أناقشها كقضية تاريخية، وإن كانت من الأهمية بمكان؛ لابتناء أصل من أصول الدين وهو أصل الإمامة عليها.

ولكن الذي أريده هو الاستفادة من هذا الدرس واستخلاص العبرة، لأن الإمامة بالحمل الأولي وإن كانت مختصة بالأسماء المعينة إلا أنها بالحمل الشايع أعني النيابة العامة عن الإمام وولاية أمر المسلمين المتمثلة بالمرجعية الشريفة الجامعة لشروط القيادة مستمرة إلى أن يرث الأرض ومن عليها الإمام المنتظر عليه السلام، فإذا بقي باب هذه النتائج السلبية التي سنتعرض لها بإذن الله تعالى مفتوحاً لها كلها أو بعضها كلما ولت الأمة أمرها إلى من لا يستحق، فيكون من الضروري الالتفات إليها، فنعود إلى أصل السؤال، وهو: ماذا خسرت الأمة عندما ولّت أمرها غير صاحب الحق الشرعي؟ وماذا ترتب على ذلك من نتائج سلبية؟

## النتائج الوخيمة لتولي غير المؤهلين لإمامة الأمة:

### النتيجة الأولى: تصدي غير المؤهلين للإمامة:

فمن المعلوم أن أية رسالة وأية أيديولوجية - بتعبير اليوم - لا بد أن يكون حاملها مستوعباً لها بشكل كامل فهماً وتطبيقاً، بحيث تكون هذه العقيدة هي

الموجهة له في كل سلوكه وتصرفاته وأفكاره وعلاقاته، ولم يكن القوم كذلك، وإنما هم أناس عاديون كبقية أفراد المجتمع، ويوجد كثير غيرهم ممن استوعب الرسالة وجسدها في حياته خيراً منهم، وقد كانوا يعترضون على رسول الله ﷺ في حياته ويتمردون على أوامره<sup>(١)</sup> حتى آخر حياته؛ بتخلفهم عن جيش أسامة<sup>(٢)</sup>، وعدم تلبية أمره ﷺ حينما طلب قرطاساً في رزية يوم الخميس<sup>(٣)</sup>.

وكانت الجاهلية تعيش في نفوسهم، حيث قضوا أكثر أعمارهم فيها، وقد كشف عن عدم أهليتهم جهلهم وتخبّطهم في الأمور، ويصف أمير المؤمنين إمرتهم المنحرفة في الخطبة الشقشقية: «فَيَا عَجَبًا، بَيْنَا هُوَ يَسْتَقِيلُهَا فِي حَيَاتِهِ إِذْ عَقَدَهَا لِآخِرِ بَعْدِ وَفَاتِهِ - لَشَدَّ مَا تَشَطَّرَا ضَرْعِيهَا - فَصَيَّرَهَا فِي حَوْزَةٍ خَشْنَاءَ، يَغْلُظُ كَلْمَهَا - أَي تَجْرَحُ جِرْحًا عَظِيمًا وَيَخْشُنُ مَسُّهَا، وَيَكْثُرُ الْعِنَارُ فِيهَا وَالْإِعْتِدَارُ مِنْهَا، فَصَاحِبُهَا كِرَاكِبِ الصَّعْبَةِ، إِنَّ أَشَقَّ لَهَا حَرَمًا، وَإِنْ أَسْلَسَ لَهَا تَقَحَّمًا، فَمِنِّي النَّاسُ - لَعَمْرُ اللَّهِ - بِخَبْطٍ وَشِمَاسٍ - وَهُوَ إِبَاءُ الْفَرَسِ عَنْ رُكُوبِ ظَهْرِهِ - وَتَلَوْنٍ وَاعْتِرَاضٍ - أَي سِيرٍ غَيْرِ مُسْتَقِيمٍ -»<sup>(٤)</sup>. حتى قال الثاني: (كل الناس أفاقه من عمر حتى ربات الحجال)<sup>(٥)</sup> بعد أن نهى عن زيادة المهر عن حد معين، فأجابته امرأة: أما سمعت قوله تعالى: ﴿وَأَتَيْتُمُ إِخْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ

(١) راجع الهوامش السابقة.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام: ج ٤/ أمر الرسول بإيفاد بعث أسامة.

(٣) راجع الهوامش السابقة.

(٤) شرح النهج لابن أبي الحديد: ج ١ شرح الخطبة الشقشقية.

(٥) الغدير: المجلد الأول ص ١٨٢ والمجلد السادس ص ٩٨.

بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿النساء: ٢٠﴾.

وقد أشكلت عليهم الكثير من المسائل حتى الاعتيادية منها التي كانت تتكرر في حياة رسول الله ﷺ كالصلاة على الجنائز، ولما سئل الثاني عن سبب قلة استفادتهم من رسول الله ﷺ قال: ألهانا الصَّفْقُ بالأسواق<sup>(١)</sup>، وكانوا يشككون حتى بنبوة رسول الله ﷺ وعصمته، فيقول له أحدهم وجهاً لوجه: (أنت الذي تزعم أنك رسول الله)، أو يقولون عنه: (إن الرجل ليهجر)<sup>(٢)</sup>.

### الإعداد النبوي للخليفة الحق:

في مقابل ذلك كان هناك شخص يعدّه رسول الله ﷺ إعداداً خاصاً لكي يتسلم هذا الموقع، ذاك هو علي بن أبي طالب ؑ، فاستمع إليه يتحدث عن هذه التربية الخاصة: «وَقَدْ عَلِمْتُمْ مَوْضِعِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالْقَرَابَةِ الْقَرِيبَةِ، وَالْمَنْزَلَةِ الْخَصِيصَةِ، وَضَعَنِي فِي حَجْرِهِ وَأَنَا وَكَدٌّ، يَضْمُنِي إِلَى صَدْرِهِ، وَيَكْنُفُنِي فِي فِرَاشِهِ، وَيُمَسِّنِي جَسَدَهُ، وَيُسَمِّنِي عَرَفَهُ وَكَانَ يَمْضَغُ الشَّيْءَ ثُمَّ يَلْقِمُنِيهِ، وَمَا وَجَدَ لِي كَذِبَةً فِي قَوْلٍ، وَلَا خَطْلَةً فِي فِعْلٍ».. إلى أن قال ؑ: «وَلَقَدْ كُنْتُ أَتَّبِعُهُ اتِّبَاعَ الْفَصِيلِ أَثَرِ أُمِّهِ، يَرْفَعُ لِي فِي كُلِّ يَوْمٍ عِلْمًا مِنْ أَخْلَاقِهِ، وَيَأْمُرُنِي بِالْإِقْتِدَاءِ بِهِ، وَلَقَدْ كَانَ يُجَاوِرُ فِي كُلِّ سَنَةٍ بِحِجْرَاءَ، فَأَرَاهُ وَلَا يَرَاهُ غَيْرِي، وَلَمْ يَجْمَعْ بَيْتٌ وَاحِدٌ يَوْمَئِذٍ فِي الْإِسْلَامِ غَيْرَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَخَدِيجَةَ وَأَنَا ثَالِثُهُمَا، أَرَى نُورَ الْوَحْيِ وَالرِّسَالَةِ،

(١) صحيح مسلم بشرح النووي الجزء الرابع عشر، ص ١٣٤.

(٢) تاريخ الطبري: المجلد الثاني ج ٣ السنة الحادية عشر، سيرة الأئمة الاثني عشر: القسم الأول/

مع النبي في ساعة الوداع.

وَأَشْمُ رِيحَ التُّبُوَّةِ، وَلَقَدْ سَمِعْتُ رَنَّهُ الشَّيْطَانُ حِينَ نَزَلَ الْوَحْيُ عَلَيْهِ ﷺ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا هَذِهِ الرَّئَةُ؟ فَقَالَ: هَذَا الشَّيْطَانُ قَدْ أَيْسَ مِنْ عِبَادَتِهِ، إِنَّكَ تَسْمَعُ مَا أَسْمَعُ، وَتَرَى مَا أَرَى، إِلَّا أَنَّكَ لَسْتَ بِنَبِيِّ، وَلَكِنَّكَ وَزِيرٌ، وَإِنَّكَ لَعَلَى خَيْرٍ<sup>(١)</sup>، وفي نهاية خطبة مماثلة أخرى يسأل ﷺ مستنكراً: «فَمَنْ ذَا أَحَقُّ بِهِ مِنِّي حَيًّا وَمَيِّتًا؟»<sup>(٢)</sup>.

### آثار خطيرة:

هكذا كان يتم تهيئة الإمامة البديلة، أما هؤلاء فلم يتلقوا شيئاً من ذلك، لذا فقد أفرز تصدي هؤلاء غير المؤهلين عدة آثار خطيرة:

١- تشوّه صورة الإسلام نفسه، لأن كثيراً من الأمم والشعوب دخلت الإسلام بعد رسول الله ﷺ، فهي لم تأخذه من مصدره، وإنما نقل لها عبر كلام وسلوك أصحابه، ولما كان هؤلاء غير مؤهلين لتمثيل الإسلام بصورته النقية الكاملة ولم يعرف المسلمون الجدد غير هذه الصورة المعروضة أمامهم فتبنوها على أنها الإسلام الحقيقي، وتزايد هذا البعد عن الإسلام بمرور الزمن، حتى صرت ترى أقواماً لا تفقه من الإسلام شيئاً غير الاسم وبعض الشكليات.

٢- تجرّي أعداء الإسلام خصوصاً اليهود عليه، وما كانوا يستطيعون أن يظهروا شيئاً منه في عهد رسول الله ﷺ، لعدم وجود ثغرة يمكن أن يدخلوا منها، أما وقد تصدّى لهذا الموقع العظيم ناس غير مؤهلين لهذا الموقع، ويمكن التغلب عليهم وإحراجهم، فمن السهولة إذن هزّ ثقة المسلمين بدينهم بتكرار الفشل من

(١) نهج البلاغة: شرح الشيخ محمد عبده ج ٢ ص ١٥٧.

(٢) نهج البلاغة: شرح الشيخ محمد عبده ج ٢ ص ١٧١-١٧٢.

قادتهم، وبالنتيجة تخليهم عن هذا الدين، فلم يكن من الغريب حصول هذه الهجمة العنيفة من الامتحانات العسيرة والمتنوعة التي أخرج بها اليهود الخليفة الاول والثاني وترزعت ثقة المسلمين وشعروا بالإحباط، وكادوا يرتدون لولا وجود أمير المؤمنين عليه السلام بالمرصاد، الذي كان يجيبهم على كل أسئلتهم ويردّ كيدهم إلى نحورهم <sup>(١)</sup>.

٣- انفتاح باب الطمع بهذا المنصب الشريف لكلّ محبي الرئاسات والجاه واتباع الهوى، بعد أن أصبح نيله ليس بالاستحقاق وفق معايير الرسالة، وإنما هو لمن غلب وقهر ولو بالسيف، حتى أصبح مستساغاً أن يولي معاوية ابنه يزيد المعروف بالفسق والفجور على رقاب المسلمين.

### النتيجة الثانية: فتح باب الاجتهاد مقابل النص:

أي الحكم والتشريع بالآراء الشخصية خلافاً للنص الإلهي الحكيم، وهو يعني أن الإنسان ينصب نفسه مشرعاً وإلهاً يطاع في مقابل ألوهية الله تبارك وتعالى الذي هو وحده له حق التشريع والحاكمة، وهو ما رفضه الله تبارك وتعالى رفضاً قاطعاً، وجعل كل حكم وتشريع ليس مستنداً إلى الشريعة المقدسة جاهلية، فقال تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾، وفي آية أخرى ﴿الظَّالِمُونَ﴾، وفي الثالثة ﴿الْفَاسِقُونَ﴾ (المائدة: ٤٤، ٤٥، ٤٧)، وكان من شروط الإيمان الكامل: التسليم والإذعان لحكم الله تعالى ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا

(١) الغدير: المجلد السابع ص ١٧٧ - ١٧٩.

تَسْلِيمًا ﴿النساء: ٦٥﴾، لكن القوم فتحوا باب الاجتهاد واسعاً، ولم يكثرثوا كثيراً للنص الشرعي لعدة أسباب:

١- جهلهم وعدم اطلاعهم الكامل على أحكام الشريعة، فراحوا يستنبطون من أنفسهم ما يسدّ نقصهم.

٢- لأجل المحافظة على الأغراض والمصالح التي أرادوها فلا بد من تعطيل النصوص التي تتعارض مع المنهج الذي اختطوه، وتبرير الأفعال المخالفة بصراحة لحكم الله تبارك وتعالى.

٣- تغييب الممثل الحقيقي واللسان الناطق بالشريعة.

وقد عطل هذا الاجتهاد الكثير من التشريعات التي كانت مصدر خير للأمة، ومنها الزواج المؤقت الذي قال عنه أمير المؤمنين عليه السلام: «لولا نهى فلان عن المتعة ما زنى إلا شقي»<sup>(١)</sup>، وبالمقابل برّر هذا الاجتهاد أشنع المنكرات، فمثل مالك بن نويرة<sup>(٢)</sup> الذي شهد له رسول الله صلى الله عليه وآله بالجنة يُقتل، ويدخل خالد بزوجه في نفس الليلة، ويأتي جواب الخلافة ببرود: تأوّل خالد فأخطأ<sup>(٣)</sup>. ويخرجون لقتال إمام

(١) الكافي: ٤٤٨/٥.

(٢) مالك بن نويرة الحنفي اليربوعي من أراذف الملوك ومن شجعان عصره وفصحائهم وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ومن خلّص أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، انتظر بقومه بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله إلى أن يتبين موقف أمير المؤمنين عليه السلام فأرسل أبو بكر إليهم خالد بن الوليد فغدر بهم وقت الصلاة وأمر بقتل مالك حين رأى جمال امرأته.

(٣) راجع كتاب السقيفة للشيخ المظفر: ٢٦.

زمانهم بكل المقاييس التي عندهم في معارك طاحنة في الجمل<sup>(١)</sup> وصفين<sup>(٢)</sup>،  
 وكله اجتهاد يؤجرون عليه وإن أخطأوا فلهم أجر واحد.  
 وقد تأصل هذا الاجتهاد فيما بعد وتعمق، ووضعوا له أصولاً وقوانين،  
 وأصبحت مذاهب في مقابل مذهب الحق.

### النتيجة الثالثة: عرقلت تربية الأمة وتكاملها:

فقد شاءت الإرادة الإلهية أن تنقذ البشرية بهذه الرسالة المباركة من  
 حضيض الجاهلية النكدة إلى سمو التوحيد وطهارة الإيمان وسعادة الدارين، وقد  
 قدر لهذه المسيرة أن تتكامل لتنشأ أمة متكاملة على يد رسول الله ﷺ والأئمة  
 المعصومين من آله، لكن إبعاد الأئمة عليهم السلام عن موقع قيادة المجتمع أدى إلى  
 عرقلة هذه المسيرة وبطئها من عدة جهات:

١- إن من العناصر المهمة في التربية هو القدوة والأسوة الحسنة على  
 تعبير القرآن، لأنه يمثل التطبيق للأفكار التربوية، فإذا غاب القدوة أو كان القدوة  
 منحرفاً فلا ينفع الكلام مهما كثر، ويبقى مجرد حبر على ورق، والقوم لم يكونوا  
 يمثلون قدوة حسنة، ولم يستطيعوا عكس صورة نقية للسلوك الإسلامي، بل إنه  
 على مرور الأيام كان النموذج المعروض مناقضاً تماماً لتعاليم الإسلام، فكيف  
 نتوقع منه أن يربي الأمة ويقودها نحو التكامل؟ ففي حين يقرأ المسلم في أخلاق  
 الإسلام (لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى) يجد في التعامل تفضيل العرب

(١) تاريخ الطبري المجلد الثالث الجزء الخامس.

(٢) نفس المصدر.

على غيرهم الذين يسمونهم الموالي، ويعتبرونهم مواطنين من الدرجة الثانية، وبينما يقرأ في القرآن ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ (الشورى: ٢٣) يجد الخلافة تتبع أهل بيت النبي ﷺ تحت كل حجر ومدركتلاً وتشريداً وسجناً، وبينما يقرأ حرمة شرب الخمر في القرآن يجد حاكم المسلمين يشربه على منابر المسلمين ويتقيأه في محرابهم.

٢- فرص الانحراف الكثيرة التي توفرت للناس في ظل الخلافة المنحرفة، والنفس بطبيعتها ميالة للشهوات مع غياب الرادع الذي يحصن الأمة من الانحراف وهم الذين عناهم الله تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ (آل عمران: ١٠٤) وقد بدأت هذه النفوس الأمارة بالسوء تظهر في أيام الخلافة الأولى في وقت مبكر، وبدأت الدنيا تنمو في قلوبهم، وأصبحت هذه الامتيازات والمصالح واقعاً ثابتاً لا يرضون بتغييره، بحيث أن عبد الرحمن بن عوف الذي جعل حكماً في أمر تعيين الخليفة من بين الستة أهل الشورى يشترط على علي عليه السلام أن يبايعه بشرط أن يعمل بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ وسيرة الشيخين <sup>(١)</sup>، فما هي سيرة الشيخين التي يضمها عبد الرحمن إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ؟ إنها هذه الامتيازات الطبقية وهذه الدنيا المحضة التي وفرتها لهم الخلافة الأولى، بحيث أن عبد الرحمن <sup>(٢)</sup> هذا وأمثاله

(١) بحار الأنوار: ٣٩٩/٣١.

(٢) في الطبقات الكبرى: (إنّ عبد الرحمن بن عوف توفّي، وكان فيما ترك ذهب؛ فُطِعَ بالفؤوس حتى مَجَلَّتْ - أي ثخُنَ جلدُها وظهر فيها ما يشبه البَثْرَ من العمل بالأشياء الصلبة الخشنة - أيدي

وزيد بن ثابت<sup>(١)</sup> وغيره تركوا من الذهب ما يُكسّر بالفؤوس — حسب ما ينقل التاريخ — ولم يكن أمير المؤمنين عليه السلام ليوافق على هذا الشرط فيكون منه إمضاءً واعترافاً بهذه السيرة، لأن هذه السيرة إن كانت موافقة للكتاب والسنة فلا داعي لذكرها، وإن كانت مخالفة فارم بها عرض الجدار، فما الوجه لضمها إلى أصلي التشريع.

٣- الصورة المشوهة للشريعة التي كانت معروضة للأمة من خلال العلماء والرواة المتزلفين للخلفاء والطامعين بما في أيديهم، فكيف نتوقع من شخص لم يشاهد رسول الله صلى الله عليه وآله ولم يطلع على مواقف علي عليه السلام مباشرة أن يوالي علياً ويتبعه، وهو يسمع صحابياً يروي أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إن الآية الشريفة: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ، وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ﴾ (البقرة: ٢٠٤-٢٠٥) نزلت في علي بن أبي طالب<sup>(٢)</sup>.

الرجال منه. وترك أربع نسوة، فأخرجت امرأة من ثمنها بثمانين ألفاً). الطبقات الكبرى: ٣ / ١٣٦، ونحوه أسد الغابة: ٣ / ٤٨٠ / ٣٣٧٠، ونحوه كذلك البداية والنهاية: ٧ / ١٦٤.

(١) قال المسعودي: (خلف من الذهب والفضة ما كان يكسر بالفؤوس غير ما خلف من الأموال والضياع بقيمة مائة ألف دينار). مروج الذهب: ١ / ٤٣٤، الغدير: ٨ / ٢٨٤.

(٢) (أعطى معاوية سمرة بن جندب من بيت المال أربعمائة ألف درهم على أن يخطب في أهل الشام بأن قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ. وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ

فلا نتوقع من أغلب المسلمين في الأرض إلا أن يحملوا هذه الصورة المشوهة للإسلام، لأنهم لم يسمعوا غيرها، ولم يشاهدوا غيرها، فكان طبيعياً أن يعتقدوا جازمين أن هذا هو الإسلام.

ومن هنا اقتضت الحكمة الإلهية أن تغيب الإمام الثاني عشر عليه السلام هذه المدة الطويلة إلى أن يأذن الله تعالى له بالظهور، كل ذلك لتستمر تربية الأمة مدة أطول، ولتتمر بتجارب وابتلاءات وتمحيصات أكثر، حتى تصل إلى مستوى النضج والكمال المطلوب الذي يؤهلها لمواصلة مسيرة الكمال مع الإمام المهدي عليه السلام، بينما لو قدر لهذه الأمة أن تتربى في أحضان الأئمة المعصومين عليهم السلام لوصلت إلى درجة الكمال قبل هذا التاريخ بكثير.

### النتيجة الرابعة: تمزق الأمة وتشتتها:

وتفرقتها شيعاً وأحزاباً ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ (الروم: ٢٣)، وهذه نتيجة طبيعية للابتعاد عن الإمامة الحقيقية، لأن سر تشريع الإمامة هو تحصين الأمة من التمزق والانحراف، كما قالت الزهراء عليها السلام في خطبتها الشهيرة بعد وفاة أبيها صلى الله عليه وآله: «وَجَعَلَ إِمَامَتَنَا نِظَاماً لِلْمِلَّةِ»<sup>(١)</sup> أي تنتظم بها أمورهم وتستقر، وقال تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ (آل عمران: ١٠٣) ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ (الأنفال: ٤٦)، وحبل الله الممدود من السماء إلى

الْفَسَادَ [البقرة: ٢٠٤-٢٠٥] إنها نزلت في علي بن أبي طالب عليه السلام. ابن أبي الحديد في شرح

نهج البلاغة: ٤ / ٧٣.

(١) البحار: ج ٦ باب ٢٣ ص ٣١٥.

الأرض هما الثقلان كتاب الله وعتره رسوله ﷺ - كما بينتُ في شكوى القرآن<sup>(١)</sup> - مضافاً إلى أن هذا الموقع بعد أن خرج عن مستقره وأبعد عنه أهله أصبح مطمعاً لكل حالم به، وشهوة التسلط أقوى الشهوات، وفيها استجابة للأناية واستكبار النفس، فمن الطبيعي أيضاً أن تكثر الصراعات حول هذا المنصب، وتداس في خضم هذا الصراع كل القيم والأخلاق.

وتكفي وقفة تأمل واستطلاع بسيط للتاريخ لنقرأ بكل أسف وألم يفتت القلوب المآسي التي جرَّها التنازع على السلطان، والخسائر الفادحة في الأنفس والأعراض والأموال التي هدرت في هذا الصراع، فمن الذي يتحمل هذه المسؤولية؟ ومن الذي فتح هذا الباب على المسلمين؟ وماذا يجني من يحدث هذا الفتق في أمة الإسلام؟

وخير معبر عن هذه الآلام وهذه الخسائر أحد الأدعية الواردة في لعن أعداء آل محمد ﷺ والبراءة منهم إلى أن يقول: «اللهم عنهم بعدد كل منكر آتوه، وحق أخفوه، ومنبر علوه، ومؤمن أرجوه، ومنافق ولّوه، وولي آذوه، وطريد آووه، وصادق طردوه، وكافر نصره، وإمام قهره، وفرض غيره، وأثر أنكره، وشر آثروه، ودم أراقوه، وخير بدلوه، وكفر نصبوه، وإرث غضبوه، وفيء اقتطعوه، وسحت أكلوه، وخمس استحلوه، وباطل أسسوه، وجور بسطوه، ونفاق أسروه، وغدر أضمره، وظلم نشره، ووعد أخلفوه، وأمان خانوه، وعهد نقضوه، وحلال

(١) أنظر القبس بعنوان: (وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا) في هذا

حرموه، وحرام أحلوه، وبطن فتقوه، وجنين أسقطوه، وضلع دقوه، وصك مزقوه، وشمل بددوه، وعزيز أذلوه، وذليل أعزوه، وحق منعه، وكذب دلسوه، وحكم قلبوه، اللهم العنهم بكل آية حرفوها، وفريضة تركوها، وسنة غيروها، ورسوم منعوها، وأحكام عطلوها، وبيعة نكثوها، ودعوة أبطلوها، وبينة أنكروها، وحيلة أحدثوها، وخيانة أوردوها، وعقبة ارتقوها، وشهادات كتموها، ووصية صنعوها»<sup>(١)</sup>.

ولو شئنا لذكرنا أمثلة وشواهد على كل فقرة، لكنها مما لا تخفى على المطلع على التاريخ، فأى قلب لا يذوب أسىً على ما سببه ذلك التضييع للحق الصريح؟!.

### النتيجة الخامسة: عزل الدين عن إدارة الحياة بكل أبعادها وتفصيلها:

واقصره على الطقوس التعبدية والشؤون الفردية فقط، فإن القوم وإن استطاعوا بالترغيب والترهيب أن يسلبوا السلطة الدنيوية من الإمام عليه السلام، إلا إنهم لا يستطيعون بأي حال من الأحوال أن يسلبوا مكانته من القلوب وهيبته في النفوس، ورجوع الناس إليه في شؤونهم الدينية، هذا الانفصال الذي عبر عنه هارون الرشيد - كما يسمونه - لولده المأمون حينما استغرب من تكريمه للإمام الكاظم عليه السلام بما لا نظير له، فقال: (ويلك، هذا إمام القلوب وأنا إمام الأبدان)<sup>(٢)</sup>، والإمام وإن سكت

(١) البحار: ٢٦١/٨٢.

(٢) سيرة الأئمة الاثني عشر: القسم الثاني: ص ٣٩٠.

عن المطالبة بحقه في السلطة الدنيوية من أجل حفظ الإسلام وكيان المسلمين، إلا أنه لا يمكنه بأي حال من الأحوال التنازل لهم عن الإمامة الدينية أو الاعتراف بهم وإمضاؤهم كممثلين لهذه السلطة، فإن في ذلك خيانة لله ولرسوله وللإسلام، على أن هذا الحق لا يتصور التنازل عنه، فإنه ليس امتيازاً أو موقعاً حتى يتخلى عنه، بل هو علم لدني بالمعارف الإلهية وما يرتبط بصلاح العباد، وقدرة وقابلية على تلبية احتياجات الأمة، فكل من كان قادراً على ذلك ووجدت الأمة حاجتها وآمالها وطموحاتها عنده أصبح إماماً، وهكذا كان علي عليه السلام فما سمعنا أنه احتاج إلى أحد في شيء، بل على العكس كانوا يرجعون إليهم في مسائلهم ومشاكلهم وقراراتهم، حتى اشتهر قول الثاني: (لا أبقاني الله لمعضلة ليس لها أبو الحسن)<sup>(١)</sup>، ولذا استدل بعضهم على إمامة أمير المؤمنين عليه السلام باحتياج الناس إليه واستغنائه عن الناس<sup>(٢)</sup>.

وهذا الفصل بين السلطتين ترسخ وتعمق وانعكس على الدين نفسه، فأصبح مرتكزاً في الأذهان أن إدارة شؤون الحياة ليس من شؤون الإمامة الدينية، وأن دورها يقتصر على العبادات وبعض الأحكام الشخصية، والتقوا بذلك مع نظرة الجاهلية: (ما لله الله وما لقيصر لقيصر)، وهذا هو الشرك بعينه، فإن الملك كله لله وحده والحكم كله لله وحده، وما من واقعة إلا والله فيها حكم، أتري أن الشريعة

(١) سيرة الأئمة الاثني عشر: القسم الأول: ص ٣٠٤.

(٢) نسب الاستدلال إلى الخليل الفراهيدي (رحمته الله) وروي عن الحارث بن المغيرة قال: (قلت لأبي عبد الله عليه السلام: بأي شيء يُعرف الإمام؟ قال بالسكينة والوقار،... وتعرفه بالحلال والحرام، وبحاجة الناس إليه، ولا يحتاج إلى أحد) (بحار الأنوار: ١٥٦/٢٥).

التي لم تغفل عن تنظيم أبسط التصرفات الحياتية، كالتخلي والنوم والاكل والجماع ووضعت لها أحكاماً وآداباً، فهل تغفل عن وضع أنظمة وقوانين تنظم حياة المجتمع من جميع الجهات؟ وهذه حقيقة دامغة لا تقبل الشك، إلا أنهم لا يذعنون لها لعدة أمور:

- ١- إن الشريعة لا تنسجم مع أهوائهم وأنانيتهم وحبهم للاستئثار بالفيء وسائر الامتيازات وتتعامل مع الجميع على حد سواء.
- ٢- إن تحكيم الشريعة فيه إظهار لجهلهم وقصورهم وتقصيرهم، وهو ما تأباه نفوسهم الأمارة بالسوء.
- ٣- إن ذلك أيضاً يعني احتياجهم للإمامة الدينية، وبالتالي يعني تفوق أولئك عليهم واستحقاقهم لهذا الموقع بدلاً عنهم.

### النتيجة السادسة: حدوث الانفصال بين الأمة والخلافة:

لأن الأمر لم يعد في نظر المتصدين أمر إصلاح وهداية وتكميل النفوس ونيل رضا الله تبارك وتعالى حتى تتعلق بهم الأمة وتهفو إليهم القلوب، بل زعامة وملك ومصالح واستئثار واستعلاء، وقد عبر عنه القوم من أول يوم وهم بعد في السقيفة فكان لسانهم: إنما السلطان سلطان قريش فلا ينازعنا فيه أحد<sup>(١)</sup>، وكانت المسألة أوضح بالنسبة للأقوام الأخرى التي دخلت الإسلام، وقد أشعروهم بأن الخلافة ملك للعرب، فإذا كان ملكاً عضواً وهم المستفيدون منه فما الذي يشد سائر قطاعات الأمة إليهم؟ وما الذي يحثهم على الدفاع عنهم؟ وما هي العلة التي

(١) سيرة الأئمة: القسم الأول، السقيفة.

تربطهم بهم؟ بل على العكس سادت روح الكراهية والحقد والانتقام كما حصل لأبي لؤلؤة الفارسي غلام المغيرة بن شعبة الذي سأم من كثرة التعيير لقومه الفرس والاستهزاء بهم، فثار لعنصريته ولعصبيته الجاهلية<sup>(١)</sup>.

### بالمقابل كان هناك علي بن أبي طالب (عليه السلام):

وبالمقابل كان هناك علي (عليه السلام) وبنوه الذين ملكوا القلوب، فاستجاب الله تعالى بهم دعوة جدهم إبراهيم ﴿فَجَعَلَ أَفئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾<sup>(٢)</sup> والذي لم تستطع الخلافة بكل جبروتها أن تنتزعه منهم، وقضية هشام بن عبد الملك واضحة في أذهانكم عندما عجز عن الوصول إلى الحجر لاذحام الناس، فتنحى إلى زاوية في البيت الحرام، وما أن قدم الإمام السجاد (عليه السلام) حتى انفرج عنه الناس سماطين، فمشى بكل وقار وهيبة حتى وصل إلى الحجر الأسود، وهشام ينظر<sup>(٣)</sup>.

(١) تاريخ الطبري المجلد الثالث الجزء الخامس.

(٢) إبراهيم: ٣٧.

(٣) رواها السبكي في طبقات الشافعية أن هشام بن عبد الملك حج في بعض السنين فطاف حول البيت وحاول أن يلمس الحجر الأسود فلم يجد لذلك سبيلاً من كثرة الزحام.. وفي ما هو ينظر إلى الناس إذ أقبل الإمام زين العابدين وكان من أحسن الناس وجهاً وأطيبهم أرجاً.. فانفرج له الناس عنه ووقفوا له إجلالاً وتعظيماً حتى إذا استلم الحجر وقبله والناس وقَّفَ ينظرون إليه وكأنما على رؤوسهم الطير فلما مضى عنه عادوا إلى طوافهم، هذا وهشام بن عبد الملك ومن معه من أهل الشام يرون كل ذلك ونفس هشام يعبث فيها الحقد والحسد.. وفي هذه الحادثة ارتجل الشاعر الفرزدق أبياته المشهورة والتي مطلعها:

وكان أمير المؤمنين عليه السلام رغم تواضعه بين أصحابه حتى كأنه أحدهم إلا أن له هبة عظيمة في نفوسهم كما وصفه ضرار بن ضمرة لمعاوية <sup>(١)</sup>.  
 وذاب أصحابهم في حبهم قربة إلى الله تعالى ووفاء لجدهم رسول الله صلى الله عليه وآله  
 وعرفاناً لحقهم عليهم، وتحملوا في سبيل ذلك ما تقشعر منه الأبدان، فهذا ميثم بن يحيى التمار تقطع يده ورجلاه ويصلب على جذع نخلة، فيطلب من الناس الاجتماع حتى يحدثهم بفضائل أمير المؤمنين عليه السلام، فلم يمهلہ الفسقة حتى قطعوا

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته هذا ابن خير عاد الله كلهم

والبيت يعرفه والحجل والحرم هذا التقي النقي الطاهر العلم

(١) نقل الرواة عن ضرار بن ضمرة أنه دخل على معاوية يوماً فقال له يا ضرار صف لي علياً، فقال له: اعفني يا معاوية، فقال له: لا أعفك، فقال له ضرار: أما إذا كان ولا بد من ذلك، فقد كان والله بعيد المدى شديد القوى... إلى أن قال... ونحن والله مع قربه منا ودنوه إلينا لا نكلمه هبة له ولا نبتدئه لعظمه في نفوسنا...

لسانه<sup>(١)</sup>، وهذا حجر بن عدي يؤخذ مقيداً إلى الشام ويحفر له القبر ويفرش له النطع ويؤمر بسب أمير المؤمنين وإلا فالقتل ومعه ابنه، فيختار ولاية أمير المؤمنين عليه السلام، ويقدم ابنه ليحتسبه عند الله تبارك وتعالى ولئلا يعظم على الابن قتل أبيه فيترجع، ثم قدم فقتل صابراً محتسباً<sup>(٢)</sup>.

وهذا عمار بن ياسر يقاتل في صفين على كبر سنه ويقول: (والله لو ضربونا

(١) إن عبيد الله بن زياد قال لميثم التمار بعد أن قبض عليه: تبرأ من علي بن أبي طالب، فقال له: فإن أنا لم افعل؟ قال: إذن والله لأقتلك، قال: لقد أخبرني مولاي أنك ستقتلني مع تسعة أخرج علي باب عمرو بن حريث، قال ابن زياد: لنخالفه كي يظهر كذبه، قال ميثم: كيف تخالفه، فوالله ما أخبر إلا عن النبي صلى الله عليه وآله عن جبرئيل عن الله تعالى، فكيف تخالف هؤلاء؟ ولقد عرفت الموضوع الذي أصلب فيه وأين هو من الكوفة وأنا أول خلق الله ألجم في الإسلام، فلما رفع على الخشبة اجتمع الناس حوله على باب عمرو بن حريث، قال عمرو: قد كان والله يقول إنني مجاورك، فأمر جاريته بكنس تحت خشبته ورشه وتجميره، فجعل ميثم يحدث بفضائل أهل البيت عليهم السلام ومطالب بني أمية وما سيصيبهم من القتل والانقراض، فقيل لابن زياد قد فضحك هذا العبد، فقال: أجموه، فأجموه كي لا يتكلم فجاءه في اليوم الثالث لعين بيده حربتين وهو يقول: أما والله لقد كنت ما علمتك إلا قوأمًا صوأمًا، ثم طعنه في خاصرته فأجافه (أي حصل جوف في خاصرته من الطعنة) ثم انبعث منخراه دمًا في آخر النهار فحضب لحيته بالدماء واستشهد قبل قدوم الإمام الحسين عليه السلام إلى العراق بعشرة أيام.

(٢) حجر بن عدي الكندي الكوفي من أصحاب أمير المؤمنين ومن الإبدال كان أميراً على بني كنده من قبل أمير المؤمنين عليه السلام في معركة صفين وكان أمير الجيش يوم النهروان، وقد استشهد حجر وجمع من أصحابه بسعاية زياد بن أبيه وبحكم معاوية بن أبي سفيان سنة إحدى وخمسين للهجرة.

بأسيا فهم حتى أبلغونا سعفات هجر لعلنا أننا على الحق وأنهم على الباطل<sup>(١)</sup>.  
وأصحاب الحسين عليه السلام، وما أدراك ما أصحاب الحسين عليه السلام، الذين لم ير  
لهم نظير في الولاء والصدق والإخلاص والتضحية، يقدم أحدهم على الموت  
وهو مبتسم، فيقال له: ما عهدناك هالماً قبل اليوم؛ قال: وكيف لا أبتسم وما بيني  
وبين معانقة الحور العين إلا أن يميل عليّ هؤلاء بأسيا فهم فألتحق بالأحبة محمد  
وصحبه<sup>(٢)</sup>.

### النتيجة السابعة: تأخر ركب الحضارة الإنسانية.

بحيث احتجنا إلى أربعة عشر قرناً لكي نصنع الطائرة والكومبيوتر ونغزو  
الفضاء، وكان يمكن لهذه الأمور وغيرها مما لم يصل إليه العقل الإنساني إلى  
الآن أن تتحقق قبل مدة طويلة، لأن اليد الإلهية واضحة التأثير في قيادة ركب  
الحضارة البشرية بفضل ما بثه الأنبياء والأئمة عليهم السلام من علوم، أو من خلال الإلهام  
والإيحاء، ولولا الرعاية الإلهية لما استطاع الإنسان أن يهتدي إلى أبسط الأمور،  
حتى دفن موتاه في التراب لا يعرفه، حتى بعث الله له غراباً يبحث في الأرض  
ليريه كيف يوارى سواة أخيه<sup>(٣)</sup>.

(١) تقدمت ترجمته وأسرته، سيرة الأئمة: القسم الأول ص ٤٧٤.

(٢) برير بن خضير الهمداني كان زاهداً عابداً سيد القراء ومن أشرف الكوفة. منتهى الآمال: ج ١/١  
ليلة العاشر من محرم. ونفس الموقف لحبيب بن مظاهر رحمة الله عليه.

(٣) إشارة إلى قصة ابني آدم عليه السلام هابيل وقابيل، وذلك عندما قتل قابيل هابيل ولم يكن يعرف  
عملية الدفن لولا أن بعث الله غراباً يبحث في الأرض فعرف قابيل ذلك، في الآيات من سورة

وإن القرآن الكريم ليضم أسرار ومفاتيح العلوم كلها فيه ﴿تَبَيَّنَا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ (النحل: ٨٩)، فيشير إلى غزو الفضاء بالوسائل العلمية: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّ اسْتِطْعَمْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ (الرحمن: ٣٣)، وهو سلطان العلم والتكنولوجيا، كل هذه الأسرار ومفاتيح العلوم كانت عند أمير المؤمنين عليه السلام علمه إياه رسول الله صلى الله عليه وآله: «علمني رسول الله صلى الله عليه وآله ألف باب من العلم، يفتح لي من كل باب ألف باب من العلم»<sup>(١)</sup>. وإن شئت الاطلاع على ما كان يمكن أن يقدمه علي وبنوه عليهم السلام ليقدموا ركب الحضارة الإنسانية وليوفروا لها السعادة والحياة الطيبة فراجع عدة كتب ألفت في هذا المجال، ولم يكن يحتاج إلى تطبيق معادلات وقوانين احتمالية أو يخوض تجارب طويلة حتى يصل الى الحقيقة، بل كانت الحقائق العلمية كلها حاضرة في ذهنه، يراها بالبصيرة والوجدان رأي العين، فحفر الكثير من الآبار والعيون وأوقفها للمسلمين في وقت كان الآخرون يعجزون عن التعرف على مواقع وجود الماء، فأين علم الجيولوجيا من هذه المعرفة الدقيقة بطبقات الأرض وما تحتها من كنوز ومعادن، وكان يقول: (لو شئت لاتخذت لكم من هذا الماء نوراً) يقصد توليد الطاقة الكهربائية من شلالات الماء، وغيرها الكثير في مختلف حقول العلم والمعرفة، ثم جاء أولاده من بعده لبيثوا ما تسمح به الحال من علوم الكيمياء والرياضيات والفلك والفيزياء والنبات والحيوان وغيرها.

فإن قلت: إذن ما الذي حبسهم عن إعطاء هذه العلوم التي يحملونها إلى

(١) منتهى الآمال: ج ١ في علم أمير المؤمنين عليه السلام.

البشرية، وهي مسألة لا تتعلق بتسلمهم موقع القيادة والإمامة وعدمها؟. قلت: إن التقدم المادي مرتبط تماماً بالتكامل الروحي من خلال البناء الصحيح للعقيدة، ولا بد أن يتقدماً معاً، وإن الأول بدون الثاني يصبح وبالأعلى على البشرية ويقودها نحو الدمار، كالذي نشاهده اليوم ممن يسمون أنفسهم بالقوى العظمى والدول الكبرى، ولما كانت البشرية قد تخلفت وتدنت في الجانب الثاني وهو العقائدي والأخلاقي فلا يمكن إعطاؤها من الجانب الأول إلا بالمقدار الذي لا يكون خطراً عليها، هكذا اقتضت الإرادة الإلهية أن يلهم الإنسان بعض الأفكار التي طورت حضارة البشر ودلته على اكتشافات وحقائق علمية مهمة في أوقاتها المناسبة، وبالشكل الذي يحفظ توازن المجتمع الإنساني ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ (القمر: ٤٩)، ولو كانت مستحقة للمزيد بالتزامها بخط الخلافة الإلهية لما بخل عليها الله تبارك وتعالى بالعطاء، فلا يغتر الإنسان ويظن أنه هو الذي يحقق ذلك، بل هو من إلهام الله تبارك وتعالى وإيحائه، وللعلماء والمكتشفين كلمات تدل على ذلك، ولو خلي إلى نفسه لما عرف كيف يتخلص من موته بالدفن حتى علمه الغراب - كما ذكرنا-.

### لماذا نحتفل بعيد الغدير؟

هذه بعض النتائج التي أفرزها عدم التزام الأمة بحديث الغدير، وإذا كانت الأمور تعرف بأضدادها كما قالوا، فيمكن أن نعرف سمو المعاني والآثار التي نالها الملتزمون بولاية أمير المؤمنين عليه السلام، فحق لهم أن يحتفلوا بهذا العيد الأغرّ أعظم عيد في الإسلام، سئل الإمام الصادق عليه السلام: هل للمسلمين عيد غير يوم الجمعة

والأضحى والفطر؟ قال: نعم، أعظمها حرمة، قال الراوي: وأي عيد هو؟ قال: اليوم الذي نصب فيه رسول الله ﷺ أمير المؤمنين عليه السلام، وقال: من كنت من مولاة فعلي مولاة<sup>(١)</sup>. وفي حديث أبي نصر عن الرضا (صلوات الله عليه) قال: (يا ابن أبي نصر، أينما كنت فاحضر يوم الغدير عند أمير المؤمنين عليه السلام، فإن الله تبارك وتعالى يغفر لكل مؤمن ومؤمنة ومسلم ومسلمة ذنوب ستين سنة، ويعتق من النار ضعف ما أعتق في شهر رمضان وليلة القدر وليلة الفطر، ولدرهم فيه بألف درهم لإخوانك العارفين، وأفضل على إخوانك في هذا اليوم، وسرّ فيه كل مؤمن ومؤمنة، والله لو عرف الناس فضل هذا اليوم بحقيقته لصافحتهم الملائكة في كل يوم عشر مرات)<sup>(٢)</sup>.

### لنأخذ الدرس في فهم أشكال المرجعية الدينية:

ونحن كما تعودنا في مثل هذه الكلمات لا نستهدف فقط تثبيت العقيدة وترسيخها والدفاع عنها، وإن كان هذا في نفسه نفسياً، إلا أنه مما لا يقل عنه أهمية أخذ الدروس والعبر منه، وهنا تكمن روح العلم والمعرفة، فالعلم بلا عمل وبلا استفادة منه في الحياة لا قيمة له.

ونحن إذا توسعنا في فهم هذا الموضوع فسنطبق هذه التجربة على كل رسالة إصلاحية تعمل على هداية الناس وتكميل نفوسهم كالمرجعية الشريفة وهي لها شكلان:

(١) بحار الأنوار: ١٦٩/٣٧.

(٢) بحار الأنوار: ١١٩/٩٤.

**الأول: المرجعية الفردية التي يقتصر عملها على استنباط الحكم الشرعي**  
من دون العمل على تطبيقه ودفع المجتمع إلى امثاله، والأمر راجع إلى المكلف إن شاء طبق أو لا، ولا تتدخل إلا في حدود الشؤون الفردية وما يبرئ ذمم المكلفين كأفراد، وهو عمل ليس بالهين، وقد قاموا بجهود مضية حفظت لنا فقه آل محمد (صلوات الله عليهم أجمعين)، لكن هذا الشكل خارج عن موضوعنا، لانحسار دورها عن الإمامة الاجتماعية أصلاً.

**الثاني: المرجعية الاجتماعية التي لا تكتفي بمستوى النظرية، أي مجرد التقنين والتشريع، وإنما تعمل على تهيئة كل الفرص واتخاذ مختلف الأساليب لإقناع الناس بتطبيق الشريعة في كل تفاصيل حياتهم، وإذا لم تنفع وسيلة جربت أخرى، وقد شبهت الأولى بالأمّ التي تهئ الطعام لولدها المريض وتترك الباقي عليه، إن شاء أكل وإن شاء لم يأكل، وقد لا يعرف مصلحته فيموت جوعاً.**  
والثانية تشبه الأمّ التي لا تكتفي بإعداد الطعام، بل تطيبه وتعمل كل المرغبات والمحفزات لولدها كي يأكل ويحفظ حياته ويستعيد عافيته، ولا شك أن الثانية أرحم وأرأف وأكرم وأصبر من الأولى، أو قل إنها أكثر اتصافاً بالأسماء الحسنى التي ورد الحث على التخلّق بها.

### **المرجعية الحركية هي الأجدر:**

وهذه المرجعية الثانية هي الأكثر التصاقاً بالناس وأعمق تأثيراً فيهم والأكثر تعلقاً بهم، وهي الأجدر بتمثيل دور المعصومين عليه السلام، فلا غرو أن تكون عرضة لطمع المتنافسين، فإذا تصدى لها غير المؤهل لها وصنع (سقيفة) ثانية لإبعاد

مستحقيها، ترتبت كل أو بعض الآثار التي ذكرناها، ولا بد أن نستفيد من تلك التجربة لنكون واعين وحذرين من تكرارها.

وقد ذكرنا في محاضرتين<sup>(١)</sup> بمناسبة عيد الغدير عام ١٤٢١ - وطبعت كمقدمة لكتاب أصل الشيعة وأصولها للشيخ كاشف الغطاء - الأشكال الثلاثة التي خطط بها رسول الله ﷺ للخليفة من بعده، وكيفية تآسي المرجعية به ﷺ في هذا المجال، ومسؤولية الأمة في صيانة هذا الموقع الشريف والتمسك بأهله، فيكون هذا البحث مكملًا له، ومما ذكرنا هناك أن لهذا الموقع شروطاً صنفتها إلى ثابتة ومتحركة، والأولى هي التي دأبت على ذكرها الرسائل العملية، أما المتحركة فتتغير تبعاً للظروف الموضوعية التي تعيشها المرجعية.

(١) المحاضرتان ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ [المائدة: ٦٧] قد مرّ ذكرهما في هذا الجزء من الكتاب.

## القبس القرآني

٨٩

(واعلموا أنما غنمتم من شيءٍ فإن لله خمسه) (١) [الأنفال : ٤١]

## إخراج الحقوق الشرعية: الوجوب والإشكالات

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله كما هو أهله، وصلى الله على خير خلقه محمد وآله الطاهرين.  
الشكوى الثانية للإمام (عليه السلام) (٢) ما جاء في الرسالة الثانية التي وجهها الإمام المهدي (عليه السلام) إلى الشيخ المفيد (رحمته الله)، والمؤرخة غرة شوال سنة اثني عشر وأربعمائة (٣)، أي قبل أكثر من ألف عام: (ونحن نعهد إليك أيها الولي المخلص

(١) محاضرة أقيمت على حشد كبير من فضلاء وطلبة الحوزة العلمية غصَّ بهم مسجد الرأس الشريف المجاور لمرقد أمير المؤمنين (عليه السلام) في مناسبة دينية بعد ذكرى ولادة أمير المؤمنين (عليه السلام) في ١٣/رجب/١٤٢٣ هـ الموافق ٢٠/٩/٢٠٠٢ م.

(٢) بعدما كانت الشكوى الأولى التي هي بمناسبة ولادة أمير المؤمنين (عليه السلام) والتي دار موضوعها حول صفات المؤمن وصفات الشيعة. وكانت هذه المحاضرات والحشود الحاضرة ترعب النظام الصدامي المقبور (راجع تاريخ تلك الفترة في مقدمة المجلد الأول من موسوعة خطاب المرحلة وكتاب (جهاج واجتهاد).

(٣) تجدها في كتاب الاحتجاج للطبرسي: ٢/ ٣٢٤. والذي يظهر من تأريخ التوقيع الثاني أنه وصل إلى الشيخ قبل وفاته بثمانية أشهر تقريباً حيث كانت وفاته في يوم الجمعة لثلاث خلون من شهر رمضان المبارك سنة ٤١٣ هـ وعمره الشريف ٧٥ سنة أو ٧٧ سنة وقبره اليوم في الرواق الكاظمي. وجاء في طرائف المقالات الجزء الثاني عن الشيخ يحيى ابن بطريق الحلبي (إن الإمام الحجة (عليه السلام) كتب إلى الشيخ المفيد (رحمته الله) ثلاث كتب في كل سنة كتاباً).

المجاهد فينا الظالمين<sup>(١)</sup>، أيدك الله بنصره الذي أيدَ به السلف من أوليائك الصالحين إنه من اتقى ربّه من إخوانك في الدين وأخرج مما عليه إلى مستحقه كان آمناً من الفتنة المبطلّة ومحنها المظلمة المضلّة، ومن بخل منهم بما أعاده الله من نعمته على من أمره بصلته فإنه يكون خاسراً بذلك لأولاه وآخرتهم، ولو أن أشياعنا وفقّهم الله لطاعته على اجتماع من القلوب في الوفاء بالعهد عليهم لما تأخّر عنهم اليّمن بلقائنا، ولتعجّلت لهم السعادة بمشاهدتنا على حق المعرفة وصدقها منهم بنا، فما يحبسنا عنهم إلا ما يتصل بنا مما نكرهه ولا نؤثره منهم، والله المستعان وهو حسبنا ونعم الوكيل).

### أسباب حرمان البشرية من لقاء الحجة :

فالإمام (عليه السلام) يبين في هذا المقطع من الرسالة الشريفة أسباب حرمان البشرية وخصوصاً شيعته من طلعتهم المباركة وأطاف لقاءه السنية، ويخصّ شيعته بالتأسف لأنهم مستحقون للفوز بلقائه بما يحملون من ولاء ونصرة واعتقاد راسخ بهم (عليه السلام)، إلا إنه يمنعهم من ذلك بعض الموانع، أما غيرهم فهم غير مستحقين أصلاً للتشرف بلقائه، وقد جعل من أهم تلك الأسباب امتناعهم عن أداء الحقوق الشرعية التي فرضها الله تبارك وتعالى في أموالهم وإيصالها إلى مستحقيها.

الأمر المترتبة على عدم دفع الحقوق :

وقد رتب (عليه السلام) على ذلك أمرين :

١- تأخير ظهوره (عليه السلام) وبما يعني استمرار معاناة البشرية من الظلم

(١) لم يجاهد بسيف بل دفع الكثير من الشبهات عن مذهب أهل البيت (عليهم السلام).

والاضطهاد والتعسف والانحراف والضلال وكثرة مستحقي النار من البشر.

٢- عدم الأمان من الفتن المضلة؛ لأن رايات ضلال عديدة تخرج قبل ظهور القائم (عجل الله فرجه) وتخلط الأوراق على الناس، فيتيهون ولا يستطيعون التمييز بين راية الحق وراية الباطل، وقد عبر أحد أصحاب الأئمة (عليهم السلام) عن مخاوفه من مثل تلك الفتنة، وسأل عن كيفية النجاة والإصابة في التمييز بين هذه الدعوات المختلطة، فقال (عليه السلام): (والله إن أمرنا لأبين من الشمس)<sup>(١)</sup>، ومن مقومات هذا الوضوح - بحسب ما أفادته الرسالة الشريفة - أداء الحقوق الشرعية.

### كيف يبخل الناس على الله بما رزقهم؟

كما تشير الرسالة ضمناً إلى أن كل ما بأيدي الناس من أموال إنما هو شيء رزقهم الله تعالى إياه، ولو شاء منهم، فكيف يبخلون عليه تبارك وتعالى بطاعته وتنفيذ أمره في إنفاق البعض اليسير مما رزقهم<sup>(٢)</sup> لقضاء حوائج المحتاجين الذين

(١) إلا إن هذه الأضاليل تمرر على الذين لم يعدوا أنفسهم الإعداد المطلوب لتحمل أمر الإمام (عليه السلام) إن أمرنا صعب مستصعب لا يحتمله إلا ملك مقرب أو نبي مرسل أو عبد امتحن الله قلبه للإيمان)، أما المؤمن المخلص لله تعالى فسيكون أمر الإمام (عليه السلام) له أوضح من الشمس، وشواهد ذلك في واقعنا المعاصر كثيرة فكم ممن لهم مكانة علمية مرموقة تخفى عليهم أوضح الواضحات وتمرر عليهم الأباطيل، وكم من البسطاء ذوي القلوب النقية تعرف الحقيقة وتهتدي لها بيسر والمعيار في ذلك كله التقوى جاء في نهج البلاغة (واعلموا أنه من يتق الله يجعل له مخرجاً من الفتن ونوراً من الظلم).

(٢) قال تعالى [قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خِلَالَ] (إبراهيم: ٣١) و [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ

ابتلاههم الله بالمنع والفقير كما ابتلى هؤلاء بالعطاء والغنى [لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا] (هود: ٧).

### لماذا نركز حديثنا على الخمس :

وتدرج تحت عنوان الحقوق الشرعية مصاديق عديدة كالزكاة والخمس والكفارات والندور وردود المظالم، أما الإنفاق المستحب فمجالاته واسعة جداً، ونحن نركز في حديثنا هذا عن الخمس لأمرين:

١- إنه من أهم الفرائض المالية، ويشكل اليوم عنصراً مهماً لحفظ التوازن الاقتصادي في المجتمع بعد أن قلّ دور الزكاة عمّا كانت عليه في صدر الإسلام بسبب تغيير نمط الحياة الاقتصادية، فبعد أن كانت عمدة واردات الناس مستندة إلى الزراعة وتربية الحيوانات التي هي موارد وجوب الزكاة أصبحت اليوم مستندة إلى التجارة والصناعة والحرف مما يخرجها -بحسب المشهور- عن دائرة وجوب الزكاة، فيشملها الخمس، فيكون تشريعه إلى جنب تشريع الزكاة دليلاً على خلود هذه الرسالة وصلاحيتها لتنظيم حياة البشرية إلى النهاية حيث خطط الشارع المقدس لكل تغيرات الحياة.

٢- توالي هجمات التشكيك في وجوب الخمس وصدّ الناس عن أداء هذه الفريضة بأساليب مختلفة تأتي الإشارة إليها بإذن الله تعالى.

أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا يَبِيعُ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمْ الظَّالِمُونَ [البقرة: ٢٥٤] وَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (البقرة: ٣).

## مانع الخمس يستحق النار :

والخمس فريضة واجبة كوجوب الصلاة والصوم والزكاة والحج في الموارد التي ذكرها الفقهاء (قده) استناداً إلى القرآن الكريم وسنة النبي العظيم (صلى الله تعالى عليه وعلى وآله الطاهرين) الذين هم عدل الكتاب<sup>(١)</sup>، فمن أخل بشيء منها فقد ارتكب كبيرة يستحق عليها [ناراً وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون] (التحریم: ٦)، [يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ] (الحج: ٢)، وقد عدت بعض الروايات الشريفة بصراحة حبس الحقوق الشرعية من غير عسر من الكبائر، وقرنها الإمام الرضا (عليه السلام)<sup>(٢)</sup> إلى الزنا وشرب الخمر واللواط والفرار من الزحف وأكل مال اليتيم والربا، وكذا في حديث عن الإمام الصادق (عليه السلام)<sup>(٣)</sup>.

## ما هو الدليل على وجوب الخمس؟

وقد نص القرآن على وجوب الخمس بقوله تعالى: [وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ] (الأنفال: ٤١)، ويراد بالغنيمة مطلق ما يستفيده الإنسان، ولا تختص بغنائم

(١) راجع كتاب (شكوى القرآن) .

(٢) وسائل الشيعة: كتاب الجهاد ، أبواب جهاد النفس وما يناسبه ، باب ٤٦ ح ٣٣ .

(٣) نفس المصدر ح ٣٦ .

الحرب، قاله الراغب<sup>(١)</sup>، وأكده موثقة سماعة، قال سألت أبا الحسن (عَلَيْهِ السَّلَامُ) عن الخمس، فقال: (في كل ما أفاد الناس من قليل أو كثير)<sup>(٢)</sup>، وغيرها. وقد أجمع علماء الفريقين على أن رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) كان يعمل بها، فيخصّ قرباه من بني هاشم بالخمس حتى وفاته (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)، ثم منعه القوم على مستحقيه من آل الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وجعلوهم كغيرهم (راجع الكشاف في تفسير هذه الآية ومسند أحمد وغيرها من الصحاح)<sup>(٣)</sup>.

وقد عبّر الأئمة (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) عن لوعتهم لهذه المخالفة الصريحة للكتاب والسنة، فعن أبي جعفر الأحمول قال: قال أبو عبد الله (عَلَيْهِ السَّلَامُ): (ما تقول قريش في الخمس؟ قال: قلت: تزعم إنه لها؟ قال: ما أنصفونا والله، لو كان مباحة لتباهلن بنا، ولئن كان مبارزة لتبارزن بنا، ثم يكون هم وعلي سواء)<sup>(٤)</sup>.

### هل يسقط الأئمة (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) حقهم بسبب الظروف؟

نعم، قد يسقط الأئمة (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) حقهم في فترة ما بسبب الظروف التي يمرّون

(١) المفردات في غريب القرآن مادة (غنم). حيث يقول: (والغنم بالضم فالسكون، إصابته والظفر به، ثم استعمل في كل مظفور به من جهة العدى وغيرهم ومن ذلك يظهر، أن المقصود بالغنيمة في اللغة، هو كل ما يكسبه الإنسان ويربحه من أي طريق كان. بمشقة أو غير مشقة، في حرب أو في سلم، من دون تقييد).

(٢) وسائل الشيعة: كتاب الخمس، أبواب ما يجب فيه الخمس، باب ٨ ح ٦.

(٣) النص والاجتهاد للسيد عبد الحسين شرف الدين الموسوي، ص ٥٠.

(٤) كتاب الخمس، أبواب قسمة الخمس، باب ١ ح ١٤ / ١٥.

بها، كما في رواية يونس بن يعقوب قال: (كنت عند أبي عبد الله (عليه السلام) فدخل عليه رجل من القمطين فقال: جعلت فداك، تقع في أيدينا الأموال والأرباح وتجارات نعلم أن حقك فيها ثابت، وإنا عن ذلك مقصرون؟ فقال أبو عبد الله (عليه السلام): ما أنصفناكم إن كلفناكم ذلك اليوم<sup>(١)</sup>، فالسائل كان يعلم بثبوت حق الإمام (عليه السلام) في ماله، لكن الإمام (عليه السلام) أكد له أنه قد أسقطه عنه اليوم لا مطلقاً. لكن بعد ثلاثة أجيال يجد الإمام الجواد (عليه السلام) فرصة مناسبة لبيان بعض تشريعات الخمس، فكتب إلى بعض أصحابه: (إن الذي أوجبت في سنتي هذه وهذه سنة عشرين ومائتين لمعنى من المعاني، أكره تفسير المعنى كله خوفاً من الانتشار، وسأفسر لك بعضه إن شاء الله: إن موالي أسأل الله صلاحهم أو بعضهم قصروا فيما يجب عليهم، فعلمت ذلك، فأحببت أن أطهرهم وأزكيهم بما فعلت من أمر الخمس في عامي هذا، قال الله تعالى [خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ، أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ، وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ، وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ] (التوبة: ١٠٣-١٠٥) إلى أن قال (عليه السلام): (فأما الغنائم والفوائد فهي واجبة عليهم في كل عام؛ قال الله تعالى: (وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ...)<sup>(٢)</sup>. ويأمر شيعته في نهاية الكتاب بإيصال الحقوق إلى

(١) وسائل الشيعة: كتاب الخمس، أبواب الأنفال وما يختص بالإمام، باب ٤، ح ٦.

(٢) وسائل الشيعة: كتاب الخمس، أبواب ما يجب فيه الخمس، باب ٨، ح ٥.

وكلائه. وحرّموا (عليه السلام) التصرف قبل دفع الحقوق الشرعية، فعن أبي جعفر (عليه السلام): (لا يحلّ لأحد أن يشتري من الخمس شيئاً حتى يصل إلينا حقنا) (١).

وكتب رجل من تجار فارس من موالي الإمام أبي الحسن الرضا (عليه السلام) يسأله الإذن في الخمس، فكان مما قال في جوابه: إن (الخمس عوننا على ديننا وعلى عيالنا وعلى موالينا، فلا تزووه عنا ولا تحرموا أنفسكم دعانا ما قدرتم عليه؛ فإن إخراجهم مفتاح رزقكم وتمحيص ذنوبكم وما تمهدون لأنفسكم ليوم فافتكم، والمسلم من يفى الله بما عهد إليه) (٢)، وسأله جماعة أن يجعلهم في حلّ من الخمس، فقال (عليه السلام): (ما أمحل هذا! تمحضونا المودة بألستكم وتزوون عنا حقاً جعله الله لنا وجعلنا له وهو الخمس، لا نجعل لا نجعل لأحد منكم في حل) (٣)، وفي مكتبة الإمام صاحب العصر (عليه السلام) إلى سفيره محمد بن عثمان العمري (رضي الله عنه): (لعنة الله والملائكة والناس أجمعين على من استحلّ من مالنا درهماً) (٤).

### الوعيد بحق مانع الزكاة يشمل الخمس أيضا :

جميع ما ورد من التهديد والوعيد لتارك الزكاة ينطبق على تارك الخمس

بوجهين:

(١) أبواب ما يجب فيه الخمس، باب ١ ح ٤.

(٢) وسائل الشيعة: كتاب الخمس، أبواب الأنفال وما يختص بالإمام، باب ٣ ح ٢.

(٣) نفس الباب، ح ٧.

(٤) نفس الباب ح ٧.

١- إن كليهما فريضتان ماليتان، والغرض منهما واحد، بل إن أمر الخمس أخطر لتعلق حق أهل البيت (عليهم السلام) وذرياتهم فيه بعد أن حُرِّمت عليهم الزكاة، قال الصادق (عليه السلام): (إن الله لا إله إلا هو لما حرم علينا الصدقة أبدل لنا الخمس، فالصدقة علينا حرام، والخمس لنا فريضة)<sup>(١)</sup>، وإنما صار الاهتمام بالزكاة في صدر الإسلام لما قلناه من أن طبيعة الحياة الاقتصادية يومئذ كانت مورداً لوجوب الزكاة.

٢- إن كثيراً من موارد ذكر الزكاة أريد بها معناها الأعم، أي مطلق الإنفاق الواجب في سبيل الله تعالى، أي عموم الحقوق الشرعية لا خصوص الزكاة المصطلحة<sup>(٢)</sup>، كما قد يعبر عن الزكاة الواجبة بالصدقة<sup>(٣)</sup> في مثل قوله تعالى: [إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا...][التوبة: ٦٠]، ومما جاء في مانع الزكاة الشاملة لمانع الخمس بالتقريب المتقدم ما ورد عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: (ما من عبدٍ منع من زكاة ماله شيئاً إلا جعل الله ذلك يوم القيامة ثعباناً من نار مطوقاً في عنقه ينهش من لحمه حتى يفرغ من الحساب، وهو قول الله عز وجل: [سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ] [آل عمران: ١٨٠] (يعني ما بخلوا به من

(١) وسائل الشيعة: كتاب الزكاة، أبواب المستحقين للزكاة، باب ٢٩ ح ٧.

(٢) كما انه قد يعبر عن الصدقة بالزكاة كما عبر الله تعالى عن تصدق أمير المؤمنين (عليه السلام) بخاتمه بقوله: [إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ] [المائدة: ٥٥].

(٣) قال تعالى: [خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ] [التوبة: ١٠٣].

الزكاة<sup>(١)</sup>.

ويتخذ رسول الله (ﷺ) إجراءً في حق مانعي الزكاة بإخراجهم من المسجد، كما ورد عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: بينما رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في المسجد إذ قال: قم يا فلان، قم يا فلان، حتى أخرج خمسة نفر، فقال: (اخرجوا من مسجدنا لا تصلوا فيه وأنتم لا تزكون)<sup>(٢)</sup>، وعن أبي عبد الله (عليه السلام): (من منع قيراطاً من الزكاة فليمت إن شاء يهودياً أو نصرانياً)<sup>(٣)</sup>، وفي وصية النبي (ﷺ) لعلي (عليه السلام) قال: (يا علي، كفر بالله العظيم من هذه الأمة عشرة، وعدّ منهم مانع الزكاة، ثم قال: يا علي، ثمانية لا يقبل الله منهم الصلاة، وعدّ منهم مانع الزكاة، ثم قال: يا علي، من منع قيراطاً من زكاة ماله فليس بمؤمن ولا بمسلم ولا كرامة، يا علي، تارك الزكاة يسأل الله الرجعة إلى الدنيا، وذلك قوله عز وجل: [حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ] <sup>(٤)</sup> [المؤمنون: ٩٩] <sup>(٥)</sup>.

(١) وسائل الشيعة: كتاب الزكاة، أبواب ما تجب فيه الزكاة، باب ٣ ح ٣.

(٢) نفس الباب ح ٧.

(٣) وسائل الشيعة: كتاب الزكاة، أبواب ما تجب فيه الزكاة، باب ٤ ح ٥.

(٤) وتفهم ذلك من خلال قوله تعالى [وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمْ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ] (المنافقون: ١٠) إذا تمتعت جيداً في هذه الآية الكريمة تدرك ما للصدقة من أهمية بالغة فأول شيء يأتي على ذهن العبد بعد الموت هو (الصدقة).

(٥) وسائل الشيعة: كتاب الزكاة، أبواب ما تجب فيه الزكاة، باب ٤ ح ٧.

## لعدم دفع الخمس آثار وضعيتها :

وتكون المشكلة أعظم عندما نعلم إن لعدم دفع الخمس آثاراً وضعية وشرعية ذكرها الفقهاء (قدّس الله أرواحهم)؛ فإن اللقمة غير المُخْمَسَة تكون حراماً فترك آثاراً سيئة في الذرية التي تتكون منها، والملبس غير المخمس لا يكون مباحاً فلا تصح الصلاة فيه، والماء إذا لم يكن مباحاً فالوضوء به باطل، وبذلك تتراكم هذه الذنوب والمشاكل على مانع الحقوق الشرعية.

## علاج مشكلة عدم دفع الناس للخمس :

ولما كان العلم بالشيء والاعتناع به هي الركيزة الأساسية للاندفاع نحو العمل والتطبيق، وطالما قلنا<sup>(١)</sup>: إن علاج أي مشكلة يجب أن يتوجه أصلاً إلى علل المشكلة وأسبابها ومناشئها، لا معلولاتها وآثارها الظاهرية ونتائجها، فإنه عمل غير حكيم<sup>(٢)</sup>.

(١) راجع كتاب (شكوى القرآن) فصل : ما هي الدروس المستفادة من طريقة القرآن في إصلاح البشرية.

(٢) بعض مناهج علم الأخلاق تركز على جانب المعلولات ولا تعالج العلة أو السبب لهذه الرذائل فمثلاً عندما يتكلم عن رذيلة من الرذائل فإنه يتناولها من جميع الجهات من حيث معنى الرذيلة ودمها في الأخبار وعلاجها إلا أنه لا يتطرق إلى بيان مناشئ هذه الرذيلة في النفس الإنسانية والنوازع التي تؤدي إلى ظهورها وكيفية إزالة هذه العلة والأسباب واجتناب المرض من أصله (فقد تجد أن سبب الغيبة مثلاً إما الحسد أو الأنانية أو الاستعلاء وكذلك تجد أن الغفلة وراء جميع المعاصي وهكذا) لذا ينبغي عدم الاكتفاء بمعالجة الأعراض الظاهرية للمرض كما أشير إليه بوضوح في كتاب (شكوى القرآن).

## فالعلاج يكون على مستويين :

المستوى الأول: عام، بمعنى كيف نحفز الناس على طاعة الله تبارك وتعالى عموماً وليس في الخمس فقط، ونشير فيهم الاستجابة لداعي الله تبارك وتعالى؟ [يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ] (الأنفال: ٢)، [يا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ، وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ] (الأحقاف: ٣١-٣٢). وقد فصلنا القول في ذلك في فصل (ما هي الدروس المستفادة من طريقة القرآن في إصلاح البشرية) من كتاب (شكوى القرآن)، وفي محاضرات (فلنرجع إلى الله)<sup>(١)</sup>، وخطبة يوم عيد الأضحى للعام الماضي / ١٤٢٢ المنشورة في كتاب (من وحي المناسبات).

وقلنا هناك: إن من الفروق بين الشريعة الإلهية والقوانين الوضعية أن الشرائع الإلهية تربي الإنسان من الداخل أولاً وتبني ذاته، لذا يندفع إلى التطبيق بلا رقابة من الخارج ولا يحتاج إلى أي ضغط للطاعة والامتثال، بينما القوانين الوضعية تحتاج إلى فرض عقوبات وأجهزة مراقبة وردع، ومع ذلك يحاول الشخص بكل وسيلة التحايل والالتفاف عليها، خذ مثلاً الخمس، فإن المؤمن هو وحده يحاسب نفسه ويخرج ما عليه من حقوق ويأتي بكل سرور ليسلمها إلى الحوزة الشريفة أو يصرفها في مواردها، بينما يتهرب بكل الوسائل من الضرائب التي يفرضها عليه

(١) راجع نور القرآن المجلد الثاني: القبس: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾

القانون، فهذا هو فرق أساسي بين الإسلام والحضارة المادية.

### المحفزات التي تدفع المكلف نحو التطبيق :

وألخص لكم بعض هذه المحفزات التي يستثيرها الدين ليدفع المكلف نحو الاستجابة، مع تطبيقها على ما نحن فيه، وقد قسمتها هناك إلى ثلاث محاور نفسية وعقلية وقلبية باعتبارها مداخل الإنسان المتعددة ومنها:

١- إن نعم الله علينا كثيرة [وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا] (النحل: ١٨)، سواء في أبداننا أو حياتنا والطبيعة التي من حولنا عموماً، ومن شأن كل عاقل أن يرد الجميل بالجميل [هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ] (الرحمن: ٦٠)، [وَأَحْسِنُوا] كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ] (القصص: ٧٧)، ولما كان الله غنياً عن عباده فيكون رد الجميل إليه بطاعته واستعمال نعمه فيما يرضيه تبارك وتعالى، ومن غير الإنصاف والمروءة أن نعصيه بالنعم التي من بها علينا ونبخل عليه بحقه، عن أبي جعفر (عَلَيْهِ السَّلَامُ): ( أن الله تعالى يبعث يوم القيامة ناساً من قبورهم مشدودة أيديهم إلى أعناقهم لا يستطيعون أن يتناولوا بها قيد أنملة، معهم ملائكة يعيرونهم تعبيراً شديداً يقولون: هؤلاء الذين منعوا خيراً من خير كثير، هؤلاء الذين أعطاهم الله فمنعوا حق الله في أموالهم)<sup>(١)</sup>.

٢- إن كل واحد منا يحب أن تزيد النعم عليه وهي بيد الله سبحانه المنعم الحقيقي، وقد وعدنا سبحانه [لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ] (إبراهيم: ٧)، وفي الحديث: (بالشكر تدوم النعم)، ومن أشكال شكر النعمة أن تؤدي حق الله فيها ليزيدها الله

(١) وسائل الشيعة: كتاب الزكاة، أبواب ما تجب فيه الزكاة، باب ٦، ح ٤.

تبارك وتعالى، وقال الإمام الصادق (عَلَيْهِ السَّلَام) في حديث: (واستنزلوا الرزق بالصدقة)<sup>(١)</sup>، وعموماً فإن طاعة الله تبارك وتعالى سبب لإفاضة البركات: [وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ] (الأعراف: ٩٦).

٣- إنه إذا أخبرنا إنسانٌ ثقة بأن حيواناً مفترساً في هذه الجهة فإننا نهرب بلا تردد في الاتجاه المعاكس ونحذر منه ونتخذ الإجراءات الواقية من الوقوع في الخطر، فإذا أكد هذا الخبر ثقة آخر ازداد استعدادنا لذلك وكنا أكثر حزمًا، وقد أخبرنا مائة وأربعة وعشرون ألف نبي ومثلهم من الأوصياء والعلماء وكلهم ثقة أنه سيكون هناك يوم قيامة، يثاب فيه المطيع على طاعته، ويعاقب العاصي على عصيانه بنارٍ وقودها الناس والحجارة، أفلا يوجب هذا البيان المؤكد الحذر والابتعاد عن كل ما يورثنا في هذه النار المتأججة ولو احتمالاً؟ وقد وصفها الله تعالى بمشاهد مرعبة، وأخبرنا أن معصية الله سبحانه توقعنا فيها، وأن طاعته تورثنا جنةً عرضها السماوات والأرض فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر [فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ] (السجدة: ١٧).

٤- أن نسأل أنفسنا سؤالاً: ماذا يخسر الإنسان لو أطاع الله سبحانه واستقام على الشريعة؟ إنه لا يخسر شيئاً، بل على العكس فإنه يعيش ويتمتع بالحياة كما يفعل البعيد عن الله سبحانه، وفوق ذلك له المكاسب الدنيوية والأخروية التي يحققها له الإيمان بالله سبحانه والسير على شريعته، قال تعالى: [وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ] (النساء: ١٠٤)، وقال تعالى: [قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ

(١) وسائل الشيعة: كتاب الزكاة، أبواب الصدقة، باب ٣ ح ١.

وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ  
 نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ] (الأعراف: ٣٢)، وقد اتبع هذا الأسلوب الإمام الصادق  
 (عَلَيْهِ السَّلَامُ) حيث قال لأحدهم: (يا هذا إن كان ما تقول أنت - بأنه لا جنة ولا نار ولا  
 حساب - حقاً فنحن وأنتم سواء، فإننا نأكل كما تأكلون ونبكح كما تنكحون،  
 وإن كان الأمر كما نقول - وهو كما نقول - هلكتم ونجونا)<sup>(١)</sup>، وهو أسلوب لا  
 يستطيع أن يرفضه أي عاقل، وقد جرب الكثير ممن بدأوا بإخراج الخمس من  
 أموالهم أن ثروتهم ازدادت، حتى أن بعضاً من غير الملتزمين بطاعة الله يخمسون  
 من أجل زيادة الثروة، فأين الخسارة إذن؟!.

٥- أن نلتفت إلى أنّ الله تعالى مطلع علينا ولا تخفى عليه خافية في  
 السماوات والأرض، وهو أقرب إلينا من جبل الوريد، وقد جعل على كل واحدٍ  
 منا ملائكة يحصون الأعمال في كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة، وجعل الشهود  
 على ذلك من أعضائنا التي نمارس بها حياتنا: [حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاؤُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ  
 سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ، وَقَالُوا لِمَ لَجَلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا  
 قَالُوا أَنْطَقْنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ، وَمَا  
 كُنْتُمْ تَسْتَرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ  
 أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ ، وَذَلِكَمُ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ  
 فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ، فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُمْ مِنْ

(١) قال تعالى: [إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ

اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا] (النساء: ١٠٤).

الْمُعْتَبِينَ] (فصلت: ٢٠-٢٤)، فإذا التفتنا إلى هذه الحقائق فسنكون دقيقين في تصرفاتنا وسنحسب ألف حساب قبل أن نورط أنفسنا في المعصية ومخالفة الشريعة، ومنها حبس الحقوق الشرعية وعدم إخراجها من المال.

٦- إن الإنسان الذي يمتنع عن إعطاء شيء من نفسه أو ماله لطاعة الله تعالى فإنه سيدفع أكثر منها في معصية الله وهو راغم، وستكون عليه حسرة يوم القيامة: [إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ] (الأنفال: ٣٦).

وأنقل لكم الحديث التالي عن الإمام الصادق (عَلَيْهِ السَّلَام) وهو حجة دامغة في وجه كل من يمتنع عن أداء الحقوق الشرعية، قال (عَلَيْهِ السَّلَام) في قول الله عز وجل: [كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ] (البقرة: ١٦٧)، قال (عَلَيْهِ السَّلَام): (هو الرجل يدع ماله لا ينفقه في طاعة الله عز وجل بخلاً - وقد عرفت البخيل قبل قليل - ثم يموت فيدعه لمن يعمل فيه بطاعة الله أو بمعصية الله، فإن عمل فيه بطاعة الله رآه في ميزان غيره فرآه حسرةً وقد كان المال له، وإن كان عمل به في معصية الله قواه بذلك المال حتى عمل به في معصية الله عز وجل)<sup>(١)</sup>.

وقد وصف أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلَام) مثل هذا الرجل بقوله: (إن أعظم الحسرات يوم القيامة حسرة رجل جمع مالاً بمعصية الله فمات فورثه رجل دخل به الجنة)<sup>(٢)</sup>، وهذا الحديث كافٍ [إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى

(١) وسائل الشيعة: كتاب الزكاة، أبواب ما تجب فيه، باب ٥ ح ٥.

(٢) نهج البلاغة، باب الحكم، رقم ٤٢٩.

السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ] (ق:٣٧)، [وَتَعْيَهَا أُذُنٌ وَأَعْيَةٌ] (الحاقة:١٢)، عن الصادق (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قال: ما من رجل يمنع درهماً في حقه إلا أنفق اثنين في غير حقه، وما من رجل يمنع حقاً في ماله إلا طوّقه الله به حية من نار يوم القيامة<sup>(١)</sup>، وعنه (عَلَيْهِ السَّلَامُ): (من منع حقاً لله عز وجل أنفق في باطل مثليه)<sup>(٢)</sup>.

٧- إن من يطيع الله سبحانه ويتجنب معصيته يعيش لذة الانتصار على أعدى أعدائه، وهي نفسه التي بين جنبيه الأمانة بالسوء، وكلما كانت شهوة النفس واندفاعها للفعل قوياً كلما كان الترك أشد لذة، وكلما كانت رغبة النفس في الترك قوية كان الفعل أكثر لذة، مثلاً تعرض أمامك امرأة متبرجة قد أظهرت مفاتها أو طالبة جامعية أو زميلة في دائرة تبرعت بإنشاء علاقة عاطفية غير مشروعة معك فتنصر أنت على نفسك الطموحة إلى ذلك فتعيش لذة الانتصار بشكل لا يوصف، وهو ما أشار إليه الحديث: (النظرة سهم مسموم من سهام إبليس، فمن تركها لله تعالى أبدله الله نوراً وإيماناً يجد حلاوته في قلبه)، والمال من أقوى ما تتعلق به النفس، قال تعالى: [زَيْنَ النَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ] (آل عمران: ١٤)، وقال تعالى: [الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا] (الكهف: ٤٦)، وقال الإمام الصادق (عَلَيْهِ السَّلَامُ): (ما بلى الله عز وجل العباد بشيء أشد عليهم من إخراج الدرهم)<sup>(٣)</sup>؛ لذا كانت لذة

(١) وسائل الشيعة: كتاب الزكاة، أبواب ما تجب فيه الزكاة، باب ٦ ح ١.

(٢) نفس الباب، ح ٢.

(٣) وسائل الشيعة: كتاب الزكاة، أبواب ما تجب فيه، باب ٢ ح ١٤.

الانتصار على هذا العدو عظيمة تستحق أن يبذل المال بإزائها بلطف الله تعالى، عن الإمام الصادق (عليه السلام) عن آبائه (عليهم السلام) قال: (قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: إذا أراد الله بعبد خيراً بعث إليه ملكاً من خزّان الجنة فيمسح صدره ويسخى نفسه بالزكاة)<sup>(١)</sup>.

**المستوى الثاني : خاص، وذلك بدراسة وتحليل الأسباب التي تؤدي بالناس إلى الامتناع عن دفع الحقوق الشرعية ومن ثمّ وضع العلاج لها.**

**أسباب عدم دفع الناس الخمس :**

**ومن تلك الأسباب ما يلي:**

١- الجهل بوجوب الخمس، فبعضهم لا يعلم بوجوبه أصلاً، وبعضهم يظن وجوبه على خصوص الموسرين، وقد رسّخت هذا الجهل الأجيال المتعاقبة من المسلمين بإعراضهم عن امثال هذه الوظيفة وترفع العلماء عن المطالبة بها خشية سوء الظن بهم<sup>(٢)</sup>.

٢- حملات التشكيك التي يمارسها أعداء الدين والمذهب ويروج لها المرتزقة والجهلة السدّج بكل القنوات المتاحة، كالكتب والنشرات والصحف والمجلات وغيرها، فتارة يقولون بعدم وجوبه أصلاً وإنه لم يذكر في القرآن وإنه

(١) المصدر السابق، نفس الباب ح ١٦.

(٢) أضف إلى عدم وضوح لغة الرسائل العملية بحيث يصعب على المكلف فهم ما يجب عليه وما لا يجب.

خاص بغنائم الحرب<sup>(١)</sup>، أو إنه خاص بزمان رسول الله (ﷺ)، وهم قبل غيرهم يعلمون زيف هذه الدعاوى، لكنهم يبتغون بذلك تفويض إحدى الركائز المهمة للدين والمذهب.

٣- سوء تصرف بعض الوسطاء والوكلاء في نقل الحقوق الشرعية، مما يقلل من الثقة بالدفع إليهم؛ إما لتوسّعهم في أمور المعيشة وترفهم، أو لعدم إيصالها إلى المرجعية المقصودة، أو لعدم نزاهتهم.

٤- النفس الأمارة بالسوء التي تشحّ بإنفاق المال ومطلق عمل الخير؛ فالكثير من الناس يؤدي الفرائض التي لا تكلفه مالاً، أما التي تحتاج إلى بذل المال فيتردد فيها.

٥- الغفلة عن موارد هذا الحق الشرعي، ولو علم أنها تصرف في قضاء حوائج المؤمنين وتزويج شبابهم لتحسينهم من الحرام ومعالجة مرضاهم وشؤون الحوزة العلمية الشريفة وحفظ كيانها ومدارسها الدينية التي أنجبت عبر التاريخ آلاف العلماء والمفكرين والكتّاب والخطباء الذين ساهموا في نشر الوعي

(١) إن الذهاب إلى قصر وجوب إخراج الخمس، على خصوص غنائم دار الحرب، لا ينسجم مع خلود الإسلام وبقائه من ناحية عملية، واستمرار الدولة الإسلامية زمن قيامها، في تحمل الأعباء الضخمة، التي تترتب عليها تجاه الأمة وذلك من وجوه عدة أهمها:

أ. إن الحروب قد أغلقت أكثر أبوابها وانحصرت، وانحسر ظلها، فانحسر بذلك ما قد يترتب عليها، في حال انتصار المسلمين من غنائم.

ب. إن نتائج هذه الحروب، ليست مضمونة إلى جانب المسلمين في كثير من الأحيان. بل بالعكس فقد تكون نتائجها في غير صالحهم، فتكون الغنائم من نصيب أعداء الإسلام.

الديني وحفظ المذهب الشريف والإسلام العظيم طيلة ألف وأربعمائة عام وكأنَّ الدين نزل اليوم، ولو علم الإنسان ذلك لأدَّى ما عليه من حقوق بكل سرور، إن كان غيوراً على دينه ومجتمعه ومخلصاً في التزامه.

٦- قلة الثقة بما عند الله، مما يجعله متمسكاً بما عنده من متاع زائل<sup>(١)</sup>.

هذه بعض الأسباب مما خطر في ذهني القاصر.

### علاج عدم دفع الناس الخمس :

وإذا عرفت السبب أمكن التفكير في علاجه من خلال نقاط:

١- تصدي الحوزة الشريفة لبيان الأدلة الكافية على وجوب هذه الفريضة العظيمة، وشمولها لكل ما يستفيد المرء من مكسب، فيجعل له يوماً في السنة يحاسب فيه نفسه، فيستثني مؤونته الشخصية من مسكن وملبس وماكل وأثاث لائق بشأنه وواسطة نقل، ثم يخمس الزائد إن وجد، وتوجد تفاصيله في الرسائل العملية للفقهاء<sup>(٢)</sup>.

٢- الرد على الشبهات والشكوك التي يُلقِيها المضلُّون في أذهان البسطاء والسذج، وإفات الناس إلى المقصود الأساسي لهؤلاء والذي يموهون عليه بهذه الشبهات.

٣- أن ينتصر المسلم على نفسه الأمانة بالسوء؛ فإن اتباع الهوى والانسياق

(١) قال تعالى: [أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ] و [قُلْ أَذْكَاءَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَ مَصِيراً] و [وَلَا أُخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى].

(٢) التي ينبغي تبسيطها للمكلفين ليسهل فهمها ومعرفة التكليف الشرعي.

وراء النفس من المرديات، فإنها أعدى أعدائك بميلها لاتباع الشهوات وتمردها على الطاعة، فالمؤمن الشجاع من ملك زمام نفسه ليقودها إلى ما فيه النجاة ويستعين على قهر نفسه بما ذكرناه آنفاً من المحفزات.

٤- الالتفات إلى موارد صرف الخمس التي ذكرناها قبل قليل وتسليمه إلى الثقات الذين يضعون الحقوق في مواضعها، وإطلاع المكلف بنفسه أو مباشرته الصرف على المحتاجين بإذن الحوزة الشريفة، وسيرى نفسه مسروراً بمساهمته في هذه المصارف الجليلة التي وعد الله تعالى من ينفق ماله فيها الأجر الجزيل، والله يضاعف لمن يشاء.

٥- أن يعلم المكلف أن كل ما عنده هو مما رزقه الله تبارك وتعالى، والله غني عن العالمين، وإنما يريد بفرض هذه الواجبات المالية لibtلي المؤمنين منه بلاءً حسناً، فيثيب المحسن ويعاقب المسيء، وليطهرهم ويزكيهم ويحررهم من أسر الشهوات والأهواء، حتى يخلصوا الانقياد والطاعة له تبارك وتعالى، قال عز من قائل: [خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ] (التوبة: ١٠٣)، قال الإمام الصادق (عليه السلام): (إني لأخذ من أحدكم الدرهم وإني لمن أكثر أهل المدينة مالاً، ما أريد بذلك إلا أن تطهروا)<sup>(١)</sup>، وقال (عليه السلام): (إنما وضعت الزكاة اختباراً للأغنياء ومعونة للفقراء، ولو أن الناس أدوا زكاة أموالهم ما بقي مسلم فقيراً محتاجاً، ولا استغنى بما فرض الله

(١) وسائل الشيعة: كتاب الخمس، أبواب ما يجب فيه الخمس باب ١، ح ٣.

له<sup>(١)</sup>.

ومما يحسن الالتفات إليه أن من العوامل المهمة التي حفظت توازن مجتمعنا رغم الحصار<sup>(٢)</sup> والضييق الذي يمر به منذ أكثر من عشر سنين هو ما يصرف على المحتاجين من مليارات الدنانير من الحقوق الشرعية.

٦- أن تتحلى الحوزة الشريفة والوكلاء والوسطاء بالورع والتقوى والثقة والأمانة وحسن مواساة الناس في الملبس والمأكل ومستوى المعيشة، خصوصاً في زمان العوز والفاقة كالذي نعيش فيه ويتأسوا بأمر المؤمنين (عليه السلام) الذي رقع مدرعته حتى استحيى من راقعها، ف قيل له في ذلك وهو رئيس دولة مترامية الأطراف، قال (عليه السلام): (لكي لا يتبيخ بالفقير فقره)<sup>(٣)</sup> أي تضغط عليه الحاجة ولا يجد من يواسيه فيتمرد ويخرج عن طاعة الله تبارك وتعالى.

٧- أن يحسن العبد الظن بالله تبارك وتعالى، فقد وعده أن يخلف عليه، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): (من أيقن بالخلف سخت نفسه بالنفقة)، وقال أمير

(١) كتاب الزكاة، أبواب ما تجب فيه، باب ١ ح ٦.

(٢) فرض مجلس الأمن الدولي منذ غزو صدام المقبور للكويت عام ١٩٩٠ قرارات ظالمة على العراق وشعبه ومنها الحصار الذي شمل حتى الغذاء والدواء، وتضرر الشعب العراقي بما لا يوصف ودفع ثمناً باهظاً واضطر لفعل كل شيء من أجل توفير لقمة العيش وإنهاء الاقتصاد، وارتفعت نسبة التضخم إلى أرقام فلكية حتى أصبح الدولار مساوياً لـ (٣٠٠٠) دينار عراقي بعد أن كان الدينار يُصرفُ بأكثر من ثلاثة دولارات، وبقيت رواتب موظفي الدولة عند ٤-٥ دولارات شهرياً، ولولا بقية من دين وأخلاق لأكل الناس بعضهم بعضاً.

(٣) نهج البلاغة، باب الحكم رقم ١٣٨

المؤمنين (ﷺ): (من أيقن بالخلف جاداً بالعطية)<sup>(١)</sup>، وقال الله عز وجل: [وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ] (سبأ: ٣٩)، وقال الصادق (ﷺ): (من يضمن لي أربعة بأربعة أبيات في الجنة: انفق ولا تخف فقراً، وأنصف الناس من نفسك، وأفش السلام في العالم، واترك المرء وإن كنت محقاً)<sup>(٢)</sup>.

### الآثار الإيجابية المترتبة على دفع الحقوق :

ويضاف إلى كل ذلك ما ذكر من آثار إيجابية في الدنيا والآخرة تترتب على الإنفاق ودفع الحقوق الشرعية ومن نتائج سلبية تترتب على الترك، وأي أجر ذكر للتصدق فهو شامل بالأولوية لدافع الخمس والزكاة؛ لأن التقرب إلى الله بالفرائض أكثر بما لا يقاس من التقرب بالنوافل والمستحبات، ففي الحديث: (ما عبد الله بشيء كالفرائض) كما إننا ذكرنا أن الصدقة بمعناها العام تشمل الزكاة والخمس وكل إنفاق في سبيل الله.

ومن هذه الآثار الإيجابية قوله تعالى: [مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ] (البقرة: ٢٦١)، قال رسول الله ﷺ (داووا مرضاكم بالصدقة وحصنوا أموالكم بالزكاة)<sup>(٣)</sup>، وعن الإمام الصادق (ﷺ): (ما تلف مال في بر ولا

(١) وسائل الشيعة: كتاب الزكاة، أبواب ما تجب فيه، باب ٢، ح ٩.

(٢) المصدر السابق، نفس الباب، ح ٨.

(٣) المصدر السابق، باب ١ ح ١٤.

بحر إلا بمنع الزكاة<sup>(١)</sup>، وقال الإمام الصادق (عليه السلام): (إن الشحيح من منع حق الله وأنفق في غير حق الله)<sup>(٢)</sup> وتممها بحديث آخر (حرام على الجنة أن يدخلها شحيح)<sup>(٣)</sup> وعن رسول الله ﷺ: (لا يجتمع الشح والإيمان في قلب عبد أبداً)<sup>(٤)</sup>.

وشكى شخص إلى الإمام (عليه السلام) إنه يرى أحلاماً مفزعة في المنام فقال (عليه السلام): (إنك لا تؤدي الزكاة قال بلى أؤديها قال إذن لا تضعها في محلها)<sup>(٥)</sup>، وقال الصادق (عليه السلام): (استزلوا الرزق بالصدقة)<sup>(٦)</sup> وقال (عليه السلام): (داووا مرضاكم بالصدقة وما على أحدكم أن يتصدق بقوت يومه، إن ملك الموت يدفع إليه الصك بقبض روح العبد فيتصدق فيقال له: رد عليه الصك)<sup>(٧)</sup>. وقال (عليه السلام): (الصدقة باليد تقي ميتة السوء وتدفع سبعين نوعاً من أنواع البلاء)<sup>(٨)</sup>، وعن رسول الله ﷺ: (إن الله ليربّي لأحدكم الصدقة كما يربّي أحدكم ولده حتى يلقاه يوم

(١) المصدر السابق، باب ٣ ح ٩ من أبواب ما تجب فيه الزكاة .

(٢) وسائل الشيعة: كتاب الزكاة، أبواب ما تجب فيه ، باب ٥ ح ١٢ .

(٣) المصدر السابق، نفس الباب ح ١ .

(٤) المصدر السابق، نفس الباب ح ١٥ .

(٥) وسائل الشيعة: كتاب الزكاة، أبواب المستحقين للزكاة باب ٤ ح ١ ، ٦ .

(٦) وسائل الشيعة: كتاب الزكاة ، أبواب الصدقة ، باب ٣ ح ١ .

(٧) المصدر السابق، نفس الباب ، ح ٢ .

(٨) المصدر السابق، باب ٥ ح ١ .

القيامة وهو مثل أحد<sup>(١)</sup>، وقال رسول الله ﷺ: (صدقة السر تطفئ غضب الرب)<sup>(٢)</sup> وعن أبي جعفر (عليه السلام) قال: (البر وصدقة السر ينفيان الفقر ويزيدان في العمر ويدفعان سبعين ميتة سوء)<sup>(٣)</sup>.

### كيف نفهم فلسفة هذه الأحاديث؟

ويمكن فهم فلسفة هذه الأحاديث من ناحية اقتصادية واجتماعية ونفسية فحينما يقول (عليه السلام) (استنزلوا الرزق بالصدقة) لأن انتشار الفقر يؤدي إلى ضعف القدرة الشرائية وتوقف عجلة الاقتصاد، فبدفع الحقوق الشرعية تتولد قدرة شرائية عند الناس فتتحرك عجلة الاقتصاد وتنمو الثروة.

وحينما يقول (عليه السلام): (حصّنوا أموالكم بالزكاة) لأن الحاجة تدفع إلى السرقة وارتكاب الجرائم وابتزاز الأموال، فإذا قضينا على الفقر بدفع الحقوق الشرعية فسنسدّ باباً عظيماً للجريمة.

وحينما يقول (عليه السلام): (داووا مرضاكم بالصدقة) لأن الأمراض والعقد النفسية والاضطراب وفقدان السعادة هي من أهم أسباب الأمراض، ومنشأها الرذائل النفسية كالطمع والحسد والاستئثار وحب الدنيا والحقد والجشع والكبر، فإذا طهر نفسه منها فإنه سيعيش في صحة وسلامة وسيكسب الاطمئنان النفسي الذي هو علاج مهم للأمراض.

(١) وسائل الشيعة: كتاب الزكاة، أبواب الصدقة، باب ٧، ح ٨.

(٢) المصدر السابق، أبواب الصدقة باب ١٣ ح ١

(٣) المصدر السابق، أبواب الصدقة، باب ١٣ ح ٩.

ويجوز للمكلف أن يستأذن بصرف حقوقه مباشرة إلى المحتاجين لما في ذلك من إيجابيات كثيرة لأنه أحرص على وضع حقوقه في موضعها، ولما ورد من الثواب في تسليم المال إلى الفقير يداً بيد وأن يقبل المعطي يده بعد العطاء لما ورد من إنها تقع في يد الله تبارك وتعالى قبل أن تقع في يد الفقير وهو قوله تعالى [أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ] (التوبة: ١٠٤)، وفيه روايات عديدة<sup>(١)</sup> ولاستحباب مواساة المؤمنين وقضاء حوائجهم وإدخال السرور عليهم وإغاثة لهوفهم<sup>(٢)</sup> عن محمد بن عجلان قال: كنت عند أبي عبد الله (عليه السلام) فدخل رجل فسلم فسأله كيف من خلفت من إخوانك، قال: (فأحسن الثناء وزكى وأطراً فقال له: كيف عيادة أغنيائهم على فقرائهم فقال: قليلة، قال: فكيف مشاهدة أغنيائهم لفقرائهم؟ قال: قليلة، قال فكيف صلة أغنيائهم لفقرائهم في ذات أيديهم؟ قال: إنك لتذكر أخلاقاً قلما هي فيمن عندنا، قال: فقال: فكيف يزعم هؤلاء أنهم شيعة)<sup>(٣)</sup> وعن سعيد بن الحسن قال: قال أبو جعفر (عليه السلام): أيجبى أحدكم إلى أخيه فيدخل يده في كيسه فيأخذ حاجته فلا يدفعه؟ فقلت: ما أعرف ذلك فينا، فقال أبو جعفر (عليه السلام): فلا شيء إذن<sup>(٤)</sup>.

(١) وسائل الشيعة: كتاب الزكاة، أبواب الصدقة، باب ٢٩.

(٢) راجع محاضرة ١٣ رجب ١٤٢٣ بعنوان (صفات المسلم في منظار أهل البيت عليه السلام).

(٣) و (٤) وسائل الشيعة: كتاب الزكاة، أبواب الصدقة، باب ٢٧، ح ٣، ح ٥.

## دور الحوزة في توعية المجتمع :

وتقع على الحوزة الشريفة مسؤولية عظيمة بأن تكون أهدافهم سامية، وهو نيل رضا الله سبحانه والقربى منه والزلفى لديه والعمل بكل ما يقرب الناس إلى الطاعة ويبعدهم عن المعصية، وأن يكونوا قدوةً حسنة للناس بأخلاقهم وأعمالهم وإن لم يتحدثوا بألسنتهم تطبيقاً للحديث الشريف (كونوا لنا دعاة صامتين) وفي حديث آخر (كونوا لنا زيناً ولا تكونوا علينا شيناً)، فهم ورثة الأنبياء وأولى من يتأسى برسول الله ﷺ وأمير المؤمنين (عليه السلام) الذي يتأوه ويتضرع إلى الله سبحانه من أي تقصير محتمل في أدائه للمسؤولية ويقول (أفقع من نفسي بأن يقال أمير المؤمنين ولا أشاركهم في مكاره الدهر أو أكون أسوة لهم في جشوبة العيش فما خلقت ليشغلني أكل الطيبات كالبهيمة المربوطة همها علفها أو المرسله شغلها تقمهما)<sup>(١)</sup>.

ويأمر أصحابه بمراقبة أفعاله ومحاسبته على تصرفاته وإن كان على رأس دولة واسعة ويقول لهم (إن خرجت منكم بغير هذه القطيفة التي جئتكم بها من المدينة فأنا خائن) وهكذا مضى (عليه السلام) طاهراً نقياً فإذا أردنا الفوز بلقائه (عليه السلام) وصحبته فلا بد من التأسي به ولا تخدعنا العناوين البراقة والمواقع الاجتماعية الزاهية فإنها دنيا زائلة لا تسوى عند أمير المؤمنين (عليه السلام) شسع نعلٍ بالٍ، ولا نكون شيعته حقاً إلا إذا شاركنا الناس في معاناتهم وبذلنا الوسع في قضاء حوائجهم وتفهم مشاكلهم خصوصاً في هذا الظرف العصيب.

(١) بحار الانوار ٣٤١ - ٤٠ باب ٩٨ - زهده و تقواه و ورعه (عليه السلام).

ولنتذكر دائماً أن هذه المواقع التي نحن فيها أمانة في أعناقنا، فهل أديناها إلى أهلها وهو الإمام المهدي (عليه السلام) ولا يعتبر أحدٌ أن هذه الأموال غنيمة فاز من استكثر منها بل هي مسؤولية يجب الخروج من عهدتها [وَقَفُّوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ] (الصفات: ٢٤)، وحينئذٍ يكون في حلالها حساب وفي حرامها عقاب وفي الشبهات عتاب فأى هذه النتائج الثلاث تتحملها في ذلك اليوم العصيب يوم القيامة، وأي تقصير في أداء هذه الأمانة يكون خيانة لله والله لا يحب الخائنين قال تعالى [هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ] (المائدة: ١١٩)، وماذا يضرنا لو كنا صادقين في أقوالنا وأفعالنا وتخلينا عن كل ما لا يليق بنا حتى من المباحات التي ليس فيها حرمة شرعية إلا إن فيها منقصة أخلاقية.

نسأل الله جلّت آلاؤه العصمة والتسديد في القول والعمل وأن يعيننا على طاعته ويجنبنا معصيته إنه ولي النعم.

## القبس القرآني

٩٠

## فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في القرآن الكريم (١)

## المقدمة:

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سادة خلقه أبي القاسم محمد وآله الطيبين الطاهرين.

وصف الإمام الباقر (عليه السلام) في حديث مروى عنه فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بأنها (أسمى<sup>(٢)</sup> الفرائض وأشرفها) وجاء فيه: (إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: سبيل الأنبياء، ومنهاج الصلحاء، فريضة عظيمة، بها تقام الفرائض، وتأمين المذاهب، وتجلُّ المكاسب، وتُرَدُّ المظالم، وتُعمَّر الأرض، ويُنتصف من الأعداء، ويستقيم الأمر)<sup>(٣)</sup>.

وروي في فضل هذه الفريضة وشرفها عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قوله: (وما أعمال البرِّ كلها، والجهاد في سبيل الله عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا

(١) الكلمة التي افتتح بها سماحة الشيخ اليعقوبي (رحمته الله) بحثه الشريف في كتاب (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) يوم الأحد ٢٣/صفر/١٤٣٤هـ الموافق ٢٠١٣/١/٦، واستمر البحث سنتين تقريباً بفضل الله تبارك وتعالى.

(٢) هذا في رواية الكافي، وفي التهذيب: (أتم الفرائض).

(٣) وسائل الشيعة: كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أبواب الأمر والنهي وما يناسبهما،

كنفتة في بحر لجي<sup>(١)</sup>.

هذه هي فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في شرفها وأهميتها، وعظيم بركاتها وآثارها على الفرد والمجتمع، وإن واحداً من هذه الآثار كفيل بأن يجعلها في الصف الأول من الفرائض فكيف بمجموعها؛ لذا كانت أعظم من مجموع أعمال البرّ والجهد في سبيل الله كما في كلمة أمير المؤمنين (عليه السلام)، وأن نسبة مجموع تلك الأعمال إلى هذه الفريضة كالنفتة - وهي ما يمازج النفس من الريق عند النفخ - بالنسبة إلى البحر العميق الواسع.

ويكفي هذه الفريضة شرفاً أن تكون هدف الإمام الحسين (عليه السلام) من نهضته ودفع دمه الشريف ودماء أهل بيته وسبي عوائل النبوة ثمناً لإحياء هذه الفريضة، كما عبّر (عليه السلام) صريحاً بقوله: (وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي محمد (ﷺ)؛ أريد أن أمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب)، وقال (عليه السلام): (ألا ترون أن الحق لا يُعمل به، وأن الباطل لا يُتناهى عنه، ليرغب المؤمن في لقاء ربه محققاً).

وأشار الإمام الصادق (عليه السلام) إلى ذلك بتعبير آخر في الزيارة المخصوصة بيوم الأربعين فقال (عليه السلام): (وبذل مهجته فيك ليستنقذ عبادك من الجهالة وحيرة الضلالة) وهي من مصاديق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ومن الطبيعي أن تحظى الفريضة بهذه الأهمية والمكانة العظيمة عند الشارع

(١) وسائل الشيعة: كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أبواب الأمر والنهي وما يناسبهما،

المقدس؛ لأن كل أمة - والأمة: هي الجماعة التي يجمعها أمر تشترك به ويكون محور اجتماعها ومحط أنظارها- لا يكتب لها البقاء والاستمرار إلا إذا حصّنت نفسها بالتدابير اللازمة من الداخل والخارج ضد الأعداء الذين يريدون القضاء عليها، بتفكيكها وتمزيقها وإضعافها من الداخل، أو باستئصالها والقضاء عليها من الخارج.

وهذا هو شأن الدول أيضاً، لذا تتضمن المؤسسات الحاكمة في الدول المتحضرة وزارتين عُدتا سياديتين لارتباط سيادة الدولة وحفظ وجودها بهما، وهما وزارة الداخلية لحفظ الأمن الداخلي وحماية النظام العام، ووزارة الدفاع لحماية حدودها وسيادتها من الاعتداءات الخارجية.

ويمكن تصور نفس الشيء في الأفراد، فقد زوّدهم الله تعالى بقوة لحماية سلامتهم من الداخل وهي المناعة التي توفرها كريات الدم البيض وسائر الاحتياطات الأخرى لوقايته من الأمراض والجراثيم والفايروسات التي تهاجم أجهزة بدنه، وزوّده بالسلاح الذي يدافع به عن نفسه من الاعتداء الخارجي، قال تعالى: [لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ] (الحديد: ٢٥).

وقد أراد الله تعالى لهذه الأمة الإسلامية أن تكون خير أمة أخرجت للناس بنص الآية الشريفة، وأن تكون أمة خاتم الأنبياء ووارثة الأمم السابقة والمستخلفة في الأرض [وَتُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً

وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ] (القصص: ٥).

فلا بد من اتخاذ التدابير اللازمة لحفظ كيانه من الداخل وحمايته من عوامل النخر والانهيار كالنفاق والجهل والتخلف والخرافات والفساد والرياء والشبهات والفتن والضلالات، فكانت وظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وشرّع في عرضها وظيفة أخرى لحماية كيان الأمة المسلمة ودولتها من الخارج ولنشر دعوة الإسلام إلى الأمم الأخرى وإزالة كل العوائق التي يضعها الطواغيت والمستكبرون في طريق تعرّف الأمم الأخرى على الإسلام ليختار كل واحد منهم عقيدته بحرية [لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ] (الأنفال: ٤٢) فكانت فريضة الجهاد.

فوظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فريضة (سيادية) بالمصطلح السياسي المتداول؛ لقيام وجود الأمة وديمومتها وحفظ رسالة الإسلام من التحريف والتشويه والدس والتأويل بغير ما أنزل الله تعالى بهذه الفريضة، ولولا قيام من انتجهم الله تعالى بها لما بقي من الإسلام إلا اسمه ومن القرآن رسمه، كالذي حلّ بالديانات السابقة على الإسلام، ففي الحديث الشريف المروي عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (قال رسول الله ﷺ): ويحمل هذا الدين في كل قرن عدول ينفون عنه تأويل المبطلين، وتحريف الغالين وانتحال الجاهلين، كما ينفي الكبير خبث الحديد)<sup>(١)</sup>.

ولكن القائمين بهذه الفريضة قليل، والجهد المطلوب لمكافحة الانحراف

(١) سفينة البحار: ٢٠٤/١ عن رجال الكشي، والكبير: الزق الذي ينفخ فيه في الحداد.

والفساد والتزوير كبير جداً؛ لذا انحرفت سيرة المسلمين ومسيرتهم منذ اللحظة الأولى بعد رحيل رسول الله (ﷺ) إلى الرفيق الأعلى.

وهذا ما حذر رسول الله (ﷺ) أمته من الوقوع فيه، وحذر من التدايعات التي تحصل عقب ترك هذه الفريضة العظيمة، من ضياع القيم وانقلاب المنكر معروفاً والمعروف منكراً، فلا يستطيع أحد حينئذٍ أن يصلح ويغير لأن ما يأمر به من المعروف سيبدو منكراً لأن الناس يرونه معروفاً، وهو ما ابتلي به المصلحون على مرّ الدهور، وهذا أحد وجوه فهم الحديث الشريف عن الإمام المهدي (عجل الله فرجه) أنه يأتي بدين جديد وقرآن جديد؛ لرسوخ الحالة المزيفة المقابلة للحق.

وقد ورد تحذيره (ﷺ) هذا في حديث مسعدة بن صدقة عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: (قال النبي ﷺ): كيف بكم إذا فسدت نساؤكم وفسق شبابكم ولم تأمروا بالمعروف ولم تنهوا عن المنكر؟ ف قيل له: ويكون هذا يا رسول الله؟ فقال: نعم، وشرٌّ من ذلك، كيف بكم إذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف؟ ف قيل له: يا رسول الله، ويكون ذلك؟ قال: نعم، وشرٌّ من ذلك، كيف بكم إذا رأيتم المعروف منكراً والمنكر معروفاً<sup>(١)</sup>.

وهذه المراحل من الانحطاط كما ينتكس إليها المجتمع كذلك يرتكس فيها الفرد، فإنه في بداية الأمر له فطرة وضمير يعرف به الحق والباطل والحسن والقبيح فيرتاح إذا فعل الأول ويؤنّب ضميره إذا فعل الثاني. لكنه بتزيين من

(١) وسائل الشيعة: كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أبواب الأمر والنهي وما يناسبهما،

الشیطان وضغطٍ من النفس الأمارة بالسوء وعوامل أخرى يخالف هذا الضمير الداخلي من دون أن يصلح ما صدر منه ويعود إلى رشده، بل ينتقل إلى المرحلة الثانية عندما تأخذه العزة بالإثم ويكابر ويغالط فيحاول إقناع نفسه بما فعل أو تبريره أو الهروب منه بارتكاب مزيد من الخطأ ومقارفة الخطيئة كمن يهرب من جريمته بشرب المسكر أو بجريمة أخرى ليتناسى جريمته الأولى. ثم تأتي المرحلة الثالثة عندما يسود قلبه ويموت ضميره ويُطبع على قلبه ويتحول إلى شيطان فيرى المعروف منكراً والمنكر معروفاً.

وعلى أي حال فقد حصل هذا الانقلاب في المفاهيم والقيم في وقت مبكر في صدر الإسلام وبلغ ذروته في عهد يزيد رغم حداثة العهد بنبي الإسلام (ﷺ)، ولا زال جملة من الصحابة وبعض أزواج النبي (ﷺ) على قيد الحياة، فقام الإمام الحسين (ﷺ) لإحياء هذه الفريضة كما في النصوص التي قدمنا ذكرها.

ويدي (ﷺ) أسفه للحال الذي وصلت إليه الأمة بسبب تضييعها لهذه الفريضة، قال (ﷺ) لما طلب منه والي المدينة البيعة ليزيد: (إنا لله وإنا إليه راجعون، وعلى الإسلام السلام إذا ابتليت الأمة براع مثل يزيد)<sup>(١)</sup>.

(١) موسوعة كلمات الإمام الحسين (ﷺ): ٣٤٦، عن مقتل الحسين (ﷺ) للخوارزمي: ١٨٤، والفتوح: ١٧/٥.

ويلاحظ أن الإمام الحسين (ﷺ) لم يذكر يزيد باسم أبيه في جميع كلماته؛ لأن أم يزيد حملت به وهي خارج بيت الزوجية عندما حصلت قطيعة وهجران بينها وبين معاوية وذهبت إلى أهلها مدة طويلة.

وهي النتيجة التي حذّرهم رسول الله (ﷺ) من الوقوع فيها، ففي الكافي والتهذيب وعقاب الأعمال بالإسناد عن الإمام الرضا (عليه السلام) قال: (إذا أمتي توأكلت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فليأذنوا بوقاع من الله) (١).

وروى الشيخ الطوسي (رحمته الله) في التهذيب عن النبي (ﷺ) أنه قال: (لا تزال أمتي بخير ما أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وتعاونوا على البرّ، فإذا لم يفعلوا ذلك نزلت منهم البركات، وسُلّط بعضهم على بعض، ولم يكن لهم ناصر في الأرض ولا في السماء) (٢).

ومما يؤسف له أن هذا التهاون في أداء الفريضة على الصعيد العملي تحول تدريجياً في أذهان جملة من الفقهاء إلى عدم الاهتمام بشأن هذه الفريضة في الآثار الفقهية المباركة -سواء كانت متوناً فقهية، أو كتباً استدلالية- إما لحرص العلماء الأعلام على تناول المسائل الابتلائية أو خشية من بعض الممارسات التي حصلت بسبب سوء التطبيق بحيث اتخذ عنوان هذه الفريضة لتحقيق مكاسب شخصية، أو تنفيذ مخططات للسلطة عندما كانت تتبنى ذلك، هذا من جانب ومن جانب الكتب الاستدلالية، فلعل عدم التعرض لعدم وجود مطالب معمقة فيها تستحق جعلها موضوعات للأبحاث الاستدلالية، ففيهم من لم يتعرض لهذه

(١) وسائل الشيعة: كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أبواب الأمر والنهي وما يناسبهما، باب ١، ح ٤.

(٢) نهج البلاغة: ج ٤، باب الحكم والمواعظ، رقم ٣٧٣.

الفريضة أصلاً<sup>(١)</sup>، ومنهم من تعرض لها باقتضاب - كالديلمى في المراسم - أو ضمن كتاب الجهاد كالكليني في الكافي والشيخ (ثُمَّ) في التهذيب حيث جعله الباب الأخير من كتاب الجهاد ذي الثمانين باباً، كما خلت رسائل عملية كثيرة من هذا الكتاب.

وهذه المعطيات تلزمننا ببذل جهد إضافي لإحياء هذه الفريضة العظيمة علماً - من خلال إشباعها بالبحث وإثارة تفاصيلها - وعملاً - بتفعيلها في حياة الأمة وضبط حركتها بقواعد الشريعة - والله ولي التوفيق وهو المستعان.

إن عملية الإصلاح التي هي رسالة الأنبياء والأئمة (سلام الله عليهم أجمعين) [إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ] إنما تتحرك وتنفذ على أرض الواقع من خلال هذه الفريضة المباركة والدعوة إلى الخير، فإحياء هذه الفريضة يعني مواصلة تأدية رسالة الرسل والأنبياء والأئمة (صلوات الله عليهم أجمعين) في كل ميادين الإصلاح<sup>(٢)</sup> السياسي والاجتماعي والفكري والأخلاقي والتشريعي والاقتصادي.

### فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في القرآن الكريم:

وقد اهتم القرآن الكريم بهذه الفريضة أيما اهتمام، وأوصل اهتمامه بها إلى

(١) أما المتون فكالمنع للصدوق والانتصار والناصرات للسيد المرتضى والمبسوط للشيخ الطوسي وجواهر الفقه للفاضي، والغنية لابن زهرة. وأما الاستدلالية فكالمحقق البحراني في الحدائق والسيد العاملي في مفتاح الكرامة.

(٢) راجع القبس (إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ) من المجلد الثاني من هذا الكتاب.

العباد بأنحاء مختلفة:

(الأول) الأمر المباشر بها والعاقبة السيئة لتاركها، وأن سبب النجاة هو

القيام بهذه الفريضة، أما من تركها ومن فعل عكسها فيشملهم العذاب.

كقوله تعالى: [وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ

وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ] [آل عمران : ١٠٤]

وقوله تعالى: [كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ

الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتُ اللَّهِ وَكَلِمَاتُ الْمُنْكَرِ وَكَلِمَاتُ الْمُؤْمِنِينَ

وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ] [آل عمران : ١١٠].

وقوله تعالى على لسان لقمان: [يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ

الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ] [لقمان : ١٧].

وقوله تعالى: [لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنِ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ

السُّخْتِ لَيُبْسِ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ] [المائدة : ٦٣].

وقوله تعالى: [فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ

فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا

مُجْرِمِينَ] [هود : ١١٦].

وقوله تعالى: [وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا لَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ

عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعذِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ، فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا

الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ]

[الأعراف : ١٦٤ - ١٦٥].

وقوله تعالى: [كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ] (المائدة : ٧٩).

وقوله تعالى: [خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ] (الأعراف : ١٩٩).

(الثاني) إيراد هذه الوظيفة كصفة بارزة للربانيين والمؤمنين والدعوة للتأسي بهم:

كقوله تعالى: [إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ] (النحل : ٩٠).

وقوله تعالى: [الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ] (الحج : ٤١).

وقوله تعالى: [الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ] (الأعراف: ١٥٧).

وقوله تعالى: [الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ] (التوبة: ٦٧).

وقوله تعالى: [وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ] (التوبة : ٧١).

وقوله تعالى: [الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ

اللَّهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ] (التوبة: ١١٢).

أقول: فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من صفات المؤمنين، ولازمه أن تاركها يخرج من دائرة الإيمان ولو بمرتبة من المراتب.

(الثالث) سوق هذه الوظيفة كغرض للتكاليف المهمة، وأن تركها هو

همّ الشيطان:

كقوله تعالى: [إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ] (العنكبوت: ٤٥).

وقوله تعالى: [وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ]

(النور: ٢١).

(الرابع) الأوامر العامة والمطلقة التي تنطبق على هذه الوظيفة أو

فُسرَّت بها:

كقوله تعالى<sup>(١)</sup>: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا

النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ

مَا يُؤْمَرُونَ] (التحريم: ٦).

ففي الكافي وتفسير القمي بإسنادهما عن أبي بصير قال: (سألت أبا عبد الله

عَلَيْهِ السَّلَامُ) عن قول الله عز وجل: [قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا] قلت: كيف أقيهم؟ قال:

تأمرهم بما أمر الله، وتنهاهم عما نهى الله، فإن أطاعوك كنت قد وقيتهم، وإن

(( ١ ) تناولناها بشكل مفصل في القبس (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا) من المجلد

عصوك كنت قد قضيت ما عليك<sup>(١)</sup>.

وفي الكافي عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: (لما نزلت هذه الآية جلس رجل يبكي وقال: أنا عجزتُ عن نفسي وكُلِّفتُ أهلي! فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): حسبك أن تأمرهم بما تأمر به نفسك، وتنهاهم عما تنهى عنه نفسك).

ويجري هذا العنوان على آيات كثيرة كقوله تعالى في سورة العصر: [إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ] (العصر: ٣).

أقول: لعلها من أهم الآيات<sup>(٢)</sup> في بيان عظمة هذه الفريضة حيث أقسم الله تعالى بأن الإنسان في خُسْر ولا يكفي للنجاة من هذا الخسران الإيمان والعمل الصالح وحدهما، بل لا بد أن ينضمَّ معهما التواصي بالحق والتواصي بالصبر وهو شكل من أشكال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. فالآية تفيد أن صلاح الإنسان في نفسه بالإيمان والعمل الصالح لا يكفي ولا بد أن يبذل وسعه في إصلاح الآخرين بشكل مكثف ومتواصل المعبر عنه بالتواصي.

وقوله تعالى: [وَلَوْ لَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ] (البقرة: ٢٥١).

وقوله تعالى: [وَلَوْ لَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهْدَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدٌ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ

(١) الكافي: ٦٢/٥، ح ١، ٢. تفسير القمي: ٣٧٧/٢.

(٢) تناولناها بشكل مفصل في القبس (وتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ) من المجلد الأول من نور القرآن.

عزيرُ] (الحج: ٤٠).

والدفع يتحقق بفريضتي الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والآيات تحذران من مغبة ترك الفريضة لأن عاقبته امتلاء الأرض بالفساد واضمحلال الدين وكيان المسلمين<sup>(١)</sup>.

وقوله تعالى: [وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ] (المائدة: ٢).

أقول: أوضح مصاديق الآية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وقوله تعالى<sup>(٢)</sup>: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ] (النساء: ١٣٥).

وقوله تعالى: [وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ] (لقمان: ١٧)، في مجمع البيان عن علي (عليه السلام): (اصبر على ما أصابك من المشقة والأذى في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)<sup>(٣)</sup>.

### تقريب الاستدلال ببعض الآيات الكريمة:

نحاول الآن تقريب الاستدلال على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ببعض الآيات الكريمة:

(١) راجع القبس (وَلَوْ لَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ) من المجلد الثاني من نور القرآن.

(٢) راجع القبس (وَلَوْ لَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ) من المجلد الثاني من نور القرآن.

(٣) البرهان: ٢٨٧/٧.

(وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ  
عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)

[آل عمران : ١٠٤]

الآية الأولى: قوله تعالى: [وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ  
وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ] [آل عمران  
: ١٠٤].

أقول: دلّت الآية الشريفة على الوجوب الذي تفيده هياة: [وَلْتَكُنْ]، وأكّده  
بجعل امثال هذه الوظيفة سبيل الفلاح. إذ أن ذيل الآية ظاهر في الحصر.

مضافاً إلى وقوعها في سياق الأمر بالوحدة والاعتصام بحبل الله تعالى  
وعدم التفرّق، فقبلها قوله تعالى: [وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا] [آل  
عمران: ١٠٣] وبعدها: [وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ  
الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ] [آل عمران : ١٠٥] فكأنّ وضع الآية في  
السياق لإلفات نظر الأمة إلى ما تتحقق به وحدتهم وعزّتهم وقوة بنيانهم من خلال  
الالتزام بأداء هذه الفريضة العظيمة.

إن قلت: إن استفادة الوجوب من الآية منافية لعموم الخير الشامل  
للواجب والمستحب فكيف تكون الدعوة إليه واجبة، فكذا الأمر بالمعروف  
والنهي عن المنكر؟

قلت: هذه شبهة مقابل البديهة لإجماع المسلمين على وجوب الأمر

بالمعروف والنهي عن المنكر بل إجماع العقلاء كافة فلا وجه للتشكيك فيه، ومع ذلك نقول في الجواب:-

١- إن متعلق الوجوب هو أصل الوظيفة لا مصاديقها، أما المصاديق فلها حكمها، فالمطلوب في الآية أن تكون الأمة متصفة بهاتين الصفتين، أما التطبيق فيكون لكل مورد بحسبه من الوجوب أو الاستحباب كما لو افترضنا وجوب قيام الأب بأمر ولده غير البالغ بالصلاة وهو فعل مستحب.

٢- ولو تنزلنا ونظرنا إلى المصاديق فإنه يمكن الجواب بتقريبين:-

أ- تقييد (الخير) بما هو واجب كالدعوة إلى الإسلام كما في جملة من التفاسير، وكذا يقيّد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بما هو واجب.

ب- أن يؤخذ (الخير) ووظيفة الأمر والنهي على عمومها وفيها الواجب والمستحب، وحينئذٍ يقال أن هذا المقدار من اتصاف المصاديق بالوجوب كافٍ لوصف العنوان بالوجوب.

إن قلت: تقييد الوظيفتين بالواجب ليس أولى من حمل الطلب على

الاستحباب.

قلت: يرد عليه ما قلناه من كفاية الوجوب في الجملة للقول بالوجوب، مضافاً

إلى إجماع المسلمين على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

والوجوب شامل للأمة كلها؛ لأن الظاهر كون (من) في (منكم) بيانية،

فهي لبيان كون الطلب موجهاً لهذه الأمة أن تكون أمة تدعو إلى الخير وتأمّر

وتنهي لتكون هي الأمة المفلحة دون غيرها من الأمم، ومعنى شمول وجوبها للأمة

أن الأمة بما هي أمة مخاطبة بالوجوب على نحو المجموع وليس على نحو الاستغراق لكل فرد فرد.

وتشهد له الآية التالية: [كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ] (آل عمران: ١١٠) والمورد يكون نظير قوله تعالى: [فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ] (الحج: ٣٠) إذ ليس عندنا أوثان رجس وأوثان غير رجس، فالأوثان كلها رجس، لكن المراد منشأ اجتناب الأوثان لكونها رجساً، أو المراد بيان نوع الرجس المأمور باجتنابه هنا وأن موضوعه الأوثان، ونحو ذلك. ويؤيد هذا -أي كون (من) بيانية والخطاب موجه إلى الأمة جميعاً- أمران:-

- ١- الآيات العديدة التي وصفت عموم المؤمنين والمؤمنات بهذه الصفة وليس بعضهم، وقد تقدم ذكر جملة منها في الصنف الثاني من الآيات.
- ٢- ما رواه العياشي في تفسيره بسند غير تام عن الإمام الصادق (عَلَيْهِ السَّلَام) في ذيل هذه الآية قال (عَلَيْهِ السَّلَام): (لأنه من لم يكن يدعو إلى الخيرات ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر من المسلمين فليس من الأمة التي وصفها الله، لأنكم تزعمون أن جميع المسلمين من أمة محمد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وقد بدت هذه الآية وقد وصفت أمة محمد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بالدعاء إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومن لم يوجد فيه الصفة التي وصفت بها فكيف يكون من الأمة وهو على خلاف ما شرطه الله على الأمة ووصفها به)<sup>(١)</sup>.

(١) حكي عن تفسير العياشي: ٢١٨/١ ح ٢١٧.

((وقد نسب الشيخ الطوسي (قده) إلى الزجاج أن المراد من (من) هنا هو تخصيص المخاطبين من بين سائر الأجناس، ورتب عليه الأمر والنهي فرض عين لا كفاية))<sup>(١)</sup>.

ومعنى الآية: اجعلوا منكم - أي من أمتكم - يا أمة الإسلام أمة تتصف بأنها تدعو إلى الخير وتأمّر بالمعروف وتنهى عن المنكر، كما تقول للشخص اجعل من ولدك ابناً صالحاً متفوقاً، أي اجعل ولدك هكذا، أو تخاطب الحوزة العلمية وتقول: اجعلوا منكم حوزة رسالية عاملة مخصصة.

وهذا ما نفهمه من كونها بيانية، أما صاحب الميزان فقد حكى هذا القول عن البعض، وقال: ((الظاهر أن المراد بكون (من) بيانية كونها نشؤية ابتدائية)).

أقول: كقوله تعالى: [هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ] (غافر: ٦٧) أي أن نشوءكم من التراب، كقوله تعالى: [مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ] (طه: ٥٥). وقال الأكثر بأنها تبعيضية وبنى على ذلك كون الوجوب كفائياً، وذكروا

لذلك وجوها يمكن تحصيلها من كلام السيد الطباطبائي قال (قده): ((والذي ينبغي أن يقال: أن البحث في كون (من) تبعيضية أو بيانية لا يرجع إلى ثمرة محصلة، فإن الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أمور لو وجبت

(١) حكاها في فقه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عن التبيان: ٥٤١/٢ وفقه القرآن للراوندي:

لكانت بحسب طبعها واجبات كفايية، إذ لا معنى للدعوة والأمر والنهي المذكورات بعد حصول الغرض، فلو فرضت الأمة بأجمعهم داعية إلى الخير أمره بالمعروف ناهية عن المنكر كان معناه أن فيهم من يقوم بهذه الوظائف، فالأمر قائم بالبعض على أي حال، والخطاب إن كان للبعض فهو ذاك، وإن كان للكامل كان أيضاً باعتبار البعض، وبعبارة أخرى المسؤول بها الكل والمثاب بها البعض، ولذلك عقبه بقوله: [وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ] فالظاهر أن (من) تبعيضية، وهو الظاهر من مثل هذا التركيب في لسان المحاورين ولا يصار إليه إلى غيره إلا بدليل<sup>(١)</sup>.

أقول: بنى (فَالْمُفْلِحُونَ) استظهاره كون (من) تبعيضية على عدة وجوه:-

١- إن طبيعة مثل هذه الوظائف أن تكون كفايية ((فالأمر قائم بالبعض)) حتى لو كان الخطاب للكامل.

٢- إن ظاهر هذه التراكيب ذلك ولا يصار إلى غيره إلا بدليل.

٣- تعقيبه بقوله تعالى: [وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ].

ويرد على الأول: بالتفريق بين مقام الخطاب ومقام الامتثال، وبحثنا في الأول وهل أن الخطاب شامل للجميع أم لا؟ أما تحقق المطلوب بامتثال البعض فهذا من الثاني وليس هو محل البحث، فالمطلوب من الأمة أن تكون كلها متصفة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإن كان الغرض يتحقق بامتثال البعض، وحينئذ يكون سقوط الفرض عند أداء البعض لانتفاء موضوعه، ولا يعني

(١) الميزان في تفسير القرآن: ٤٢٧/٤، الأعلمي.

هذا عدم ثبوت الوجوب قبل هذا على البعض الآخر فلا يستفاد منه الوجوب الكفائي.

وفرض الوجوب على الجميع مع الاكتفاء بقيام البعض واضح المصلحة في هذه الفريضة المهمة، ليرى كل فرد أنه مسؤول عن امتثالها، بينما لو كان الوجوب موجهاً إلى البعض، فإنه سيكون سبباً للتقاعس عن أدائها باعتبار أن الوجوب غير متعين به فيؤدي إلى تعطيل الفريضة كما يشهد به الواقع والتجارب. وكما ضُيِّعت صلاة الجمعة المباركة بسبب القول بوجوبها التخييري وهكذا. ويظهر من قوله (فَدَيْرٌ): ((المسؤول بها الكل)) الاعتراف بذلك، وسنبحث مفصلاً في هذا الموضوع إن شاء الله تعالى.

وأما الثاني فإنها دعوى ولو سلمناها فإن في المقام قرائن متصلة ومنفصلة - كقوله تعالى: [كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ] - على خلاف الظاهر المدعى.

أما الوجه الثالث فتقريبه أنه يرى أن الحصر في قوله تعالى: [وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ] إضافي، وبناءً على هذه القرينة فقد قرَّب بعض الأعلام (فَدَيْرٌ) كون (من) تبعيضية بأن قوله تعالى: [هُمُ الْمُفْلِحُونَ] ((معناه أن أولئك كاملو الفلاح لوضوح أن الآتي بالواجب الكفائي أفضل من غيره، فقوله [هُم] من قبيل [هُمُ الْعَدُوُّ] فليس معناه أن غيرهم ليس مفلحاً، بل معناه أكملية فلاح الأمر الناهي من فلاح غيره، كما أن معنى [هُمُ الْعَدُوُّ] أشدَّية عداوة هؤلاء من عداوة غيرهم))<sup>(١)</sup>.

(١) الفقه للسيد محمد الشيرازي: ١٥٧/٤٨.

أقول: يرد عليه:-

١- اعتبار الحصر إضافياً دعوى على خلاف الظاهر، والقياس ممنوع، فالحصر مطلق، وإن غير الأمر الناهي لا يكون مفلحاً بهذا العنوان، وإن كان على خير بدرجة من الدرجات.

٢- لو تنزّلنا فإن هذا التفاضل والإضافة بلحاظ الامتثال، ونحن لا ننكره؛ لأن من المتفق عليه عدم حصول الامتثال من قبل الكل؛ لأن الموضوع ينتفي بامتثال البعض، فلا يبقى للوظيفة موضوع، لكن كلامنا ليس بلحاظ مقام الامتثال، وإنما في مقام التكليف وإلقاء العهدة وما ذكره المستشكل لا يتعرض له.

ويمكن الاستدلال على كون (من) تبعيضية برواية مسعدة بن صدقة<sup>(١)</sup> عن أبي عبد الله (عليه السلام)، وستأتي مناقشتها عند البحث عن نوع الوجوب بإذن الله تعالى.

نعم يمكن قبول التبعيضية في مقام الامتثال لأنه ليس من المتوقع كون المطلوب أن يكون كل فرد داعياً إلى الخير أمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر؛ لوجود العصاة والجهلة بالحكم والموضوع والقاصرين والمقصرين والعاجزين عن الامتثال ونحو ذلك، وهذا لا يضر بما استظهرناه من كون عهدة الوجوب ملقاة على الأمة كلها، لصدق اتصاف الأمة بهذا الوصف إذا تحقق الغرض بالبعض، كما توصف الأمم الغربية بأنها متقدمة تكنولوجياً مع العلم بأن بعض أفرادها كذلك لأن هذا البعض كافٍ في صدق العنوان وليس المطلوب أزيد لوجود من هم في

(١) وسائل الشيعة: كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أبواب الأمر والنهي، باب ٢، ح ١.

مهن لا ترتبط بهذا العنوان كالأعمال الخدمية.

ويمكن الاستدلال بالآية على رد القول بالوجوب الكفائي من

وجهين:-

١- التعبير بالأمة وهي ((كل جماعة يجمعهم أمرٌ ما إما دينٌ واحد أو زمان واحد أو مكان واحد))<sup>(١)</sup> فهي جماعة كبيرة، وعلى القول بالوجوب الكفائي فإن الأمر يتأدى بواحدٍ أو قريب منه، لذا يعرفون هذا الواجب بأنه إذا قام به شخص سقط عن الآخرين، فهذا نقض بالآية عليهم.

٢- ولو تنزلنا وقلنا بالوجوب الكفائي على فئة معينة من المسلمين التي سميت بالأمة في الآية فإنه أخص من المدعى الذي هو الوجوب الكفائي مطلقاً؛ لأن الظاهر من عمل مثل هذه الجماعة الخاصة القيام بالوظيفة بلحاظ المستوى الاجتماعي لأداء الفريضة أي المعروف والمنكر الذي يتحول إلى ظاهرة اجتماعية؛ لأن مثلهما يحتاج إلى جماعة متخصصة ولها مؤهلاتها وأدواتها، فتكلفت أمة أو جماعة بهذه الوظيفة على مستوى المجتمع كشرطة الخميس التي أسسها أمير المؤمنين (عليه السلام)، كالأمر الكفائي الصريح بنفر البعض للتفقه في الدين.

أما أداء الفريضة على المستوى الفردي فلا دليل على كونه كفايياً؛ لأنه ولو بأدنى مراتبه ممكن للجميع، فهو واجب عيني على الجميع، وستعرض لهذه المباحث لاحقاً بإذن الله تعالى.

(١) المفردات للراغب، مادة (أم).

(كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ  
وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ  
[آل عمران : ١١٠])

(الآية الثانية): قوله تعالى: [كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ] (آل عمران : ١١٠).  
أقول: دلت الآية على وجوب الوظيفة على الأمة حيث جعلتها أهم صفة تتميز بها، ولإبراز أهميتها فقد قُدِّمت على الإيمان بالله تعالى.

و (كان) هنا تامة تفيد الوجود ولزوم الاتصاف وأن من شأنها ذلك فيكون المعنى وجدتم وفيكم شأنية أن تكونوا خير أمة، واستعمل الماضي لتأكيد الحصول والوقوع وأنه مستمر إلى المستقبل، كلزوم الأسماء الحسنی للذات المقدسة في مثل قوله تعالى: [وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا] (النساء : ١٥٨).

ويمكن أن تكون بمعنى أنتم خير أمة أخرجت للناس نظير قوله تعالى: [كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا] (مريم: ٢٩) أي من هو في المهد، وليست كان الناقصة التي تقبل انتفاء الصفة وانفكاكها عن الموصوف، ولو اعتبرناها ناقصة فمعناها سبق ذلك في علم الله تعالى والتعبير عنه بالماضي لتأكيد تحققه.

أما استعمال لفظ (كان) بالماضي فلا يخلو من تكريم لهذه الأمة لأنه أخذ بنظر الاعتبار مقارنتها بكل الأمم السابقة وأن ذلك ثابت وواقع لا محالة كوقوع

أحداث الزمن الماضي.

ثم أفادت الآية شرط هذه الخيرية بأنكم تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر، فخيريتها على جميع الأمم مستمرة ما دامت تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، فالآية ظاهرة في الممارسة الفعلية لهذه الوظيفة والتحرك بها، وليس في شأنية الاتصاف أي أن خيريتها ليست من جهة أنها مأمورة بهذه الوظيفة، وأن من شأنها القيام بها، وأن هذه الوظيفة مشرعة ومجعولة لها.

وهذا وجه أفضليتها على سائر الأمم؛ لأن هذه الوظيفة مجعولة في جميع الديانات السابقة كما تشير إليه جملة من الآيات الكريمة [لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّائِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ] (المائدة: ٦٣) [كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعْلُوهُ] (المائدة: ٧٩) وغيرها، وكذا الأحاديث الشريفة كمخاطبة قوم شعيب وغيرها مما يأتي إن شاء الله تعالى، ولو لم تكن تلك الأمم مأمورة بها لما كان هناك وجه لأفضلية أمة الإسلام عليها، فخيريتهم على سائر الأمم أنهم يواصلون التحرك بهذه الوظيفة الإلهية على مر الأجيال، وإن كان بمستويات متفاوتة من القوة والضعف، وبحسب كثرة العاملين وقتهم.

والوجوب هنا موجه إلى الأمة بما هي أمة على نحو ما قلناه في الآية السابقة، ولا يضر باتصافها بهذا الوصف إذا تحقق الغرض بقيام البعض؛ لنفس البيان هناك. نعم الخيرية على مستوى الأفراد تحصل بأداء هذه الوظيفة، ولو على نحو الشأنية بمعنى أنه إذا كان صادقاً وجاداً في الامتثال، لكن الموضوع انتفى بقيام البعض، فلا يبعد شموله بالخيرية بلطف الله تعالى، وهو معنى موجود في

الأحاديث الشريفة بخصوص عدد من الموارد.

والتعبير بـ[أخرجت] فيه إشارة لطيفة لقيام اليد الإلهية بصنع هذه الأمة بهذه الأوصاف وإظهارها وتقديمها للبشرية لتكون خير أمة، والواقع يشهد أن ما تنعم به الأمم المتحضرة اليوم من رقي وازدهار وأخلاق إنسانية هو من بركات هذه الأمة المرحومة ووجودها حتى في الأزمنة التي عاشت اندحاراً، فعلى الأمة أن تلتفت إلى قيمتها هذه لتقوم بمسئولياتها وتفتهم دورها الريادي والقيادي من الأمم الأخرى.

### حل التنافي بين الآيتين:

وفي ضوء ما استظهرناه من كون (من) بيانية يتضح التطابق بين هذه الآية وسابقتها، إلا أن الأكثر لما بنوا على كون (من) تبعيضية في الآية السابقة فقد أوردوا إشكالية عدم التوافق بينهما، ونحن لا نرى الإشكال وارداً حتى على هذا الاحتمال؛ لأن آية [وَلَتَكُنَّ] ليس لها مفهوم ينفي خطاب آية [كنتم]، ولا مانع من كون التكليف موجهاً للأمة جميعاً، وتفهمه جماعة معينة على أنها مخاطبة أكثر من غيرها لخصوصية فيها كالحوزة العلمية أو الوجهاء المتنفذين أو السلطات التنفيذية ونحوها، فيكون خطاب [ولتكن] تذكيراً وتأكيداً للوجوب العام وإشعاراً لهذه الجماعة بالوجوب الخاص عليها.

هذا على الفرض المشهور من وجود إشكال في اجتماع وجوبين على موضوع واحد، وإلا فإننا لا نرى مانعاً من توجه خطاب بالوجوب لعموم الأمة، وخطاب لجماعة خاصة بالوجوب؛ لتذكيرها بالمسؤولية الخاصة، وموارده في

الفقه كثيرة.

وعلى تقدير التنافي بين آية [ولتكن منكم] وآية [كنتم]، فقد بُدلت عدة محاولات لرفع هذا الإشكال، وما قيل أو يمكن أن يقال منها:-

١- إن الآية [كنتم] بلحاظ توجه التكليف إلى مجموع الأمة، أما آية [ولتكن] فهي بلحاظ الامتثال لما قلناه من أن من غير المتوقع تمكن الكل من الامتثال للأسباب التي ذكرناها فتقوم به الأمة القادرة من دون أن يؤثر على توجه الخطاب بالوجوب إلى الجميع، وهكذا كل الواجبات كالصوم والحج والزكاة فإن الخطاب بها موجه إلى الجميع، لكن القادر على الامتثال جماعة من المسلمين فيصحّ توجيه التنفيذ وامتثال الواجب إلى الجماعة المعينة خاصة<sup>(١)</sup>، كأن يأمر خصوص المستطيعين للحج بتهيئة جواز السفر ولوازم الرحلة ونحو ذلك، ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ [البقرة: ١٨٣] مع أن غير المؤمنين مكتوب عليهم الصيام أيضاً وإنما خوطب خصوص الذين آمنوا تشرifaً لهم أو لأنهم الجماعة التي يُتوقع منها الامتثال.

٢- إن آية [ولتكن] ليست بصدد بيان أصل التشريع حتى تنافى مع آية [كنتم] بل هي تشير إلى تأكيد هذه الوظيفة على فئة خاصة تكون مسؤوليتها عن أداء هذه الوظيفة ألزم من غيرها؛ لاجتماع الشروط فيها ولتوفر أدوات التأثير لديها كالمرجعية الدينية والحوزة العلمية أو جماعة معينة تُخصّص لأداء هذه الفريضة

(١) هذا الوجه والذي يليه لخصناه من كتاب (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للشيخ حسين

كشرطة الخميس، ولا مفهوم لها حتى تنافي الأخرى نظير قوله تعالى: [لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّائِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ] (المائدة: ٦٣)، وعن النبي (ﷺ) (إذا ظهرت البدع في أمتي فليظهر العالم علمه فمن لم يفعل فعليه لعنة الله)<sup>(١)</sup> ومن المعلوم أن إظهار العلم يكون غالباً بصورة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٣- ما قدمناه في البحث من أن آية [ولتكن] ناظرة إلى المعروف والمنكر الاجتماعيين أي التي تشكّل ظواهر عامّة لأنه لا يتيسر لأي أحد ممارسة الأمر والنهي المؤثرين فيهما إلا بانضمام الجهود الى بعضها، أما آية [كنتم] فهي بلحاظ الأعم من ذلك الشامل للفرديين وممارسته واجب عيني على الجميع<sup>(٢)</sup>.

٤- ما حكى عن المراغي ومحمد عبده وغيرهما من ((أن الآية الأولى - أي آية [ولتكن] - خطاب موجّه للمؤمنين كافة، بأن ينتخبوا منهم أمة تقوم بهذه الفريضة، وذلك بأن يكون لكل فرد منهم إرادة وعمل في إيجادها ومراقبتها ونقدها وتصويب حركتها، وبهذه الطريقة تساهم الأمة كلها في الأمر والنهي، ومعه يتم التوفيق بين هذه الآية وسائر آيات الأمر والنهي الظاهرة في نسبتها لمجموع الأمة))<sup>(٣)</sup>.

وفيه:-

(١) وسائل الشيعة: كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أبواب الأمر والنهي، باب ٤٠، ح ١.

(٢) ذكر هذا الوجه أيضاً في الأمثل: ٣٨٤/٢.

(٣) فقه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: ٤٨، عن تفسير المراغي: ٢٢/٢، وتفسير المنار:

٣٦/٤، ودراسات في ولاية الفقيه للشيخ المنتظري (قدس سره): ٢٢٧/٢.

أ- إنه ينطلق من ظرف خاص وناظر إلى آية محددة لأداء الفريضة من خلال سلطة سياسية ونحوها فهو يعالج جزءاً من المشكلة.

ب-لازمه سقوط الوظيفة عن عموم الأمة بعد انتخاب هذه الجماعة وهو معنى غريب عن الخطاب الشرعي والفهم المتشعري، إذ المسؤولية مستمرة لذا يأثم الجميع إذا لم يتحقق الامتثال.

٥- ما نقل عن الثعالبي وحاصله ((أن الآية الأولى هنا ناظرة إلى وظيفة الأمر والنهي العالمية، أي قيام المسلمين بالوظيفة في حق عموم غير المسلمين، فيما سائر الآيات ناظرة إلى قيام المسلمين بالوظيفة -عامتهم وجماعة منهم- داخل المجتمع الإسلامي))<sup>(١)</sup>.

أقول: يمكن أن نستشهد له بتقريبين:-

أ- تضمن الآية الأولى للدعوة إلى الخير وهو الإسلام وهي ثمرة الجهاد الذي يكون خارج المجتمع الإسلامي لدعوة الأمم الأخرى إلى الإسلام، وقد ورد معها ذكر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فتكون الفئة المستهدفة بالخطاب هي نفسها لوحدة السياق مثلاً ونحوه.

ب- ما تقدم في الوجه الثالث من أن آية [ولتكن] ناظرة إلى المستوى الاجتماعي للفريضة، وما يوجد عند الأمم غير المسلمة أوضح مصاديق هذا المستوى، فتكون الآية ناظرة إليه.

(١) فقه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: ٥٤، عن تفسير الثعالبي: ٨٨/٢، وقد وصف الناقل هذا الوجه بأنه لا دليل عليه.

٦- إن آية [كنتم] تمثل الحكم الطبيعي الأصلي الموجّه للأمة، ولما علم الله تعالى أن الأمة لا تمثل كلها للأمر، تنزل الخطاب ليلزم جماعة على الأقل بذلك فهو حكم ثانوي تنزلي على فرض عدم تحقق الامتثال العام على نحو الترتب، أو التخفيف كقوله تعالى: [الآن خففَ اللهُ عنكم وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا] (الأنفال:٦٦) فقللت النسبة من واحد إلى عشرة إلى واحد إلى اثنين.

٧- إن آية [كنتم] هو المطلوب النهائي الذي يراد أن تصل إليه الأمة بأن تكون كلها آمرة بالمعروف ناهية عن المنكر، والوسيلة لتحقيقه هي آية [ولتكن] بأن تؤدي كل جماعة ما عليها فإذا امتثلت هذه الجماعة وتلك الجماعة فإن الأمة كلها ستكون ممثلة في النهاية، نظير ما أجنا به على إشكال التنافي بين آية [فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ] (التغابن:١٦) وآية [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ] (آل عمران:١٠٢).

٨- إن آية [ولتكن] هي لاستشارة الهمة والتحفيز على السبق لامتثال هذه الفريضة، والخطاب موجه للجميع فلا تنافي الآية الأخرى، نظير قوله تعالى على لسان عيسى بن مريم (عَلَيْهَا): [مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ] (الصف:١٤) فالخطاب موجه إلى الجميع، وكما يقول قائد الجيش: من يبايعني على الموت ويتقدم معي، وهكذا.

٩- أن تكون آية [وَلتكن] كناية عن تحقق الغرض بفعل البعض وهم الأمة والجماعة فتكون إشارة لكون الواجب كفايياً، بمعنى كفاية قيام البعض بالامتثال وسقوطه بذلك عن الآخرين، قال المحقق الأردبيلي (قُلَسْبُ): ((إلا أن في

الإيجاب على البعض إشعاراً بأن المقصود يحصل بفعل البعض، وأن العلم بأن الغير سيفعل الواجب الكفائي قبل فوت وقته كافٍ)) وأضاف (فَلْيَسِّرْ) بما لا يخلو من النظر، قال (فَلْيَسِّرْ): ((بل الظن المذكور أيضاً فيجوز التأخير))<sup>(١)</sup>.

(١) مجمع الفائدة والبرهان: ٥٣٤/٧.

وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا لَّهِ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا  
شَدِيدًا قَالُوا مَعذِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ

[الأعراف : ١٦٤-١٦٥]

(الآية الثالثة): قوله تعالى: [وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا لَّهِ  
مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعذِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ، فَلَمَّا  
نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا  
بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ] (الأعراف : ١٦٤-١٦٥).

أقول: تقريب الاستدلال ينطلق من الروايات الشريفة، ففي الخصال بسنده  
عن الإمام الباقر (عليه السلام) في تفسير الآية قال (عليه السلام): (كانوا ثلاثة أصناف: صنف  
اتتمروا وأمروا فنجوا، وصنف ائتمروا ولم يأمرُوا فمُسَخُوا ذُرًّا، وصنف لم يأتمروا  
ولم يأمرُوا فهلكوا)<sup>(١)</sup>.

أقول: والتقريب واضح لأن الآية صرّحت بنجاة الأمرين بالمعروف الناهين  
عن المنكر فقط ووصفت الصنفين الآخرين بالظالمين واستحقاقهم العقاب، ولو  
لم تكن هذه الوظيفة واجبة لما استحق الصنف الثاني القاعد عن أداء الفريضة  
الذين ائتمروا ولم يأمرُوا العذاب.

ويظهر من الآية أن هذا الصنف التارك لفريضة الأمر بالمعروف والنهي  
عن المنكر هم الذين قالوا: [لم تعظون قوماً] لأنهم بحسب الظاهر غير الواعظ

(١) الخصال: ١٠٠، ح ٥٤.

وغير المنهي فيتعين بهم، ويظهر أنهم محسوبون على المتدينين الملتزمين بالشرعة وربما يظهر من كلامهم أنهم كارهون لفعل المنكر، مبررين سكوتهم بأنه لم يكن عن معصية لوجوب هذه الفريضة وإنما ليأسهم من صلاح العصاة، وإن كان سكوتهم عن ردع المعتدين لا ينم عن وجود غضب لله تبارك وتعالى.

قال السيد الطباطبائي (قَدْحٌ): ((وفي الآية دلالة على أن الناجين كانوا هم الناهين عن السوء فقط، وقد أخذ الله الباقين، وهم الذين يعدون في السبت والذين قالوا: [لم تعظون] إلخ وفيه دلالة على أن اللائمين كانوا مشاركين للعادين في ظلمهم وفسقهم حيث تركوا عظمتهم ولم يهجروهم.

وفي الآية دلالة على سنة إلهية عامة، وهي أن عدم ردع الظالمين عن ظلمهم بمنع، وعظة إن لم يمكن المنع أو هجره إن لم تمكن العظة أو بطل تأثيرها، مشاركة معهم في ظلمهم، وأن الأخذ الإلهي الشديد كما يرصد الظالمين كذلك يرصد مشاركيهم في ظلمهم))<sup>(١)</sup>.

أقول: ويشهد لهذا المعنى قوله تعالى في سورة العصر: [إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ، إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ] فلا يكفي لخروج الإنسان من حالة الخسر أن يكون صالحاً في نفسه بالإيمان والعمل الصالح، بل لا بد أن يكون إنساناً مصلحاً للمجتمع وفاعلاً في عملية التغيير بالتواصي بالحق والتواصي بالصبر.

((وفي قولهم [إلى ربكم] حيث أضافوا الرب إلى اللائمين ولم يقولوا إلى

(١) الميزان في تفسير القرآن: ٣٠١/٨.

ربنا إشارة إلى أن التكليف بالعظة ليس مختصاً بنا بل أنتم أيضاً مثلنا يجب عليكم أن تعظوهم لأن ربكم لمكان ربوبيته يجب أن يُعْتَذِرَ إليه، ويبدل الجهد في فراغ الذمة من تكاليفه والوظائف التي أحالها إلى عباده، وأنتم مربوبون له كما نحن مربوبون فعليكم من التكاليف ما هو علينا<sup>(١)</sup>.

أقول: هذه التفاتة لطيفة، وهي لا تناسب وصفه للأمة اللائمة بأنهم ((كانوا أهل تقوى يجتنبون مخالفة الأمر إلا أنهم تركوا نهيمهم عن المنكر فخالطوهم وعاشروهم ولو كان هؤلاء اللائمون من المتعدين الفاسقين لو عظهم أولئك الملمومون، ولم يجتنبوهم بمثل قولهم [معذرة])).

أقول: يكفي قولهم: [ربكم] لو عظهم وتذكيرهم بحقوق الربوبية عليهم.

وهنا يثار إشكال على قوله تعالى: [نَسُوا] له تقريبان:-

- ١- إن هؤلاء لم يكونوا ناسين بل كانوا ذاكرين وملتفتين إلى مغبة العمل.
- ٢- إذا كانوا ناسين فإن الناسي معذور ويقبح عقابه، فلماذا أخذوا بعذاب

بئس.

ونكتفي في الجواب بما قاله السيد الطباطبائي (قَلْبًا): ((وقوله تعالى: [فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء] المراد بنسيانهم ما ذكروا انقطاع تأثير الذكر في نفوسهم وإن كانوا ذاكرين لنفس التذكر حقيقة فإنما الأخذ الإلهي مسبب عن الاستهانة بأمره والإعراض عن ذكره، بل حقيقة النسيان بحسب الطبع مانع عن فعالية التكليف وحلول العقوبة.

(١) النص وما بعده في الميزان في تفسير القرآن: ٣٠٠/٨-٣٠١.

فالإنسان يطوف عليه طائف من توفيق الله يذكره بتكاليف هامة إلهية ثم إن استقام وثبت، وإن ترك الاستقامة ولم يزره زاجر باطني ولا ردعه رادع نفساني عدا حدود الله بالمعصية غير أنه في بادئ أمره يتألم تألماً باطنياً ويتحرج تحرجاً قلبياً من ذلك ثم إذا عاد إليها ثانياً من غير توبة زادت صورة المعصية في نفسه تمكناً، وضعف أثر التذكير وهان أمره، وكلما عاد إليها وتكررت منه المخالفة زادت تلك قوة وهذه ضعفاً حتى يزول أثر التذكير من أصله، ساوى وجوده عدمه فلحق بالنسيان في عدم التأثير، وهو المراد بقوله: [فلما نسوا ما ذكروا] أي زال أثره كأنه منسي زائل، الصورة عن النفس)).

أقول: تقدمت الإشارة إلى هذا المعنى في مقدمة الكتاب حينما طبقنا تدرج ترك هذه الفريضة الذي ورد في الحديث النبوي الشريف (كيف بكم) على صعيد داخل النفس.

في تفسير الإمام العسكري (عليه السلام) عن الإمام السجاد (عليه السلام) من حديث (وذلك أن طائفة منهم وعظومهم وزجروهم، ومن الله خوفهم، ومن انتقامه وشديد بأسه حذروهم، فأجابوهم عن وعظهم: [لَمْ تَعْظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ] بذنوبهم هلاك الاصطلام [أَوْ مَعَذِبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا] فأجابوا القائلين لهم هذا: [مَعذِرَةٌ إِلَى رَبِّكُمْ] إذ كلفنا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فنحن ننهي عن المنكر ليعلم ربنا مخالفتنا لهم وكرهتنا لفعالهم، قالوا: [وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ] ونعظهم أيضاً لعلهم تنجع فيهم المواعظ، فيتقوا هذه الموبقة، ويحذروا عقوبتها)<sup>(١)</sup>.

(١) تفسير البرهان للسيد هاشم البحراني: ١٢٩/٤.

وروى في الدر المنثور بسنده عن عكرمة قال: ((جئت ابن عباس يوماً وهو يبكي، وإذا المصحف في حجره، فقلت: ما يبكيك يا ابن عباس؟ قال: هؤلاء الورقات، وإذا في سورة الأعراف)) ثم ذكر هذه الآيات وفسرها إلى أن قال: ((فأرى الذين نهوا قد نجوا ولا أرى الآخرين ذكروا، ونحن نرى أشياء ننكرها ولا نقول فيها))<sup>(١)</sup>.

والآية تنفع في البحث عن الشرط الذي ذكره للوجوب وهو التأثير في المقابل أي المأمور المنهي، كما أن في الآية رداً على القول بالوجوب الكفائي؛ لأن النهي قد تحقق بموعظة البعض فلماذا أخذ البعض الآخر - وهم الساكتون - بعذاب بئس؟ فالوجوب إذن لا يسقط بقيام البعض حتى ينتفي الموضوع.

---

(١) الدر المنثور: ٥٨٩/٣.

## القبس القرآني

٩٤

(لَوْلَا يَنْهَاهُمْ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ  
لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ) [المائدة : ٦٣]

(الآية الرابعة): قوله تعالى: [لَوْلَا يَنْهَاهُمْ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ

الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ] (المائدة : ٦٣).

في الآية الكريمة توبيخ وتقريع للربانيين والأحبار لتركهم فريضة النهي عن المنكر، وكذا لتركهم الأمر بالمعروف المستفاد بالاقتران الذي تقدم ذكره في البحوث التمهيدية، وتصف تخليهم عن وظيفتهم ببئس الصنيع.

والربانيون نسبة إلى الرب سبحانه وتعالى، ويمكن أن يراد بهم ما نسميهم في عرفنا (المتدينين) وهم الذين يغلب عليهم الالتزام بالشريعة فنسبوا إلى صاحب الشريعة سواء كانوا من العلماء أو غيرهم، أو يراد بهم واجهة المؤسسة الدينية والقائمون بالوظائف الدينية كأئمة المساجد وخطباء المنابر والجمعة وسدنة العتبات المقدسة، أما الأحبار فهم العلماء وحملة العلم سواء كانوا صالحين أو فاسقين.

وذكر قول الإثم وأكل السحت من دون المنكرات لا يخصص الآية بها لعدم الخصوصية ولدلالة آيات أخرى على العموم كقوله تعالى: [كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ] (المائدة: ٧٩)، وإنما ذكر قول الإثم وأكل السحت خاصة لأنهما المذكورات في الآية السابقة [وَتَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ] (المائدة: ٦٢)، ولأنهما أصل

المعاصي المتفشية في المجتمع. فقول الإثم يتضمن الغيبة والنميمة والكذب والافتراء والبهتان وإيذاء الآخرين والتضليل وترويح الشبهات وتحريف الكلم عن مواضعه والتغريب بالآخرين والتدليس عليهم وغيرها كثير.

أما أكل السحت فيشمل موبقات كثيرة كالفوائد الربوية والرشوة في القضاء وسرقة أموال الشعب وأخذ الأثمان على إلقاء الأحكام بغير ما أنزل الله تعالى، وشرعنة عمل الظالمين، والتطيف في الميزان وبيع المحرمات وأكل المال بالباطل والظلم ونحوها كثير.

فالآية تدعو إلى العمل بهذه الفريضة وتذم تاركها بأشد الذم، وهي عامة في دلالتها لكل المنتسبين إلى الشريعة، ولو قلنا بأن خطابها خاص لشريحة العلماء والمتدينين، فإن ذلك لا ينافي عموم الوجوب، وإنما خصت هؤلاء لأن الوجوب عليهم أكد والامتثال متوقع منهم أكثر من غيرهم لمعرفتهم بعظمة هذه الفريضة وشدة وجوبها وسوء عاقبة تركها، كما في ورد في الحديث الشريف عن الإمام الصادق (عليه السلام): (لنحملن ذنوب سفهائكم على علمائكم)<sup>(١)</sup>.

ولا يرد هنا إشكال اجتماع وجوبين على موضوع واحد باعتبار الوجوب العام للفريضة الشامل للأحبار والربانيين، وهذا الوجوب الخاص المستفاد من الآية، لأن هذا الخطاب فيه مزيد تأكيد على هؤلاء الخاصة وتذكير بمسؤوليتهم المضاعفة عن الفريضة، مضافاً إلى نقاشنا في أصل الكبرى فإننا لا نمنع منها كما

(١) وسائل الشيعة: كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أبواب الأمر والنهي، باب ٧، ح ٣.

تقدم<sup>(١)</sup>.

قال العلامة الطبرسي: ((فدَمَّ هؤلاء -أي الربانيين والأخبار- بمثل اللفظة التي ذمَّ بها أولئك<sup>(٢)</sup>)، وفي هذه الآية دلالة على أن تارك النهي عن المنكر بمنزلة مرتكبه وفيه وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر))<sup>(٣)</sup>.

قال في ظلال القرآن: ((إن سمة المجتمع الخير الفاضل الحي القوي المتماسك أن يسود فيه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.. أن يوجد فيه من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر؛ وأن يوجد فيه من يستمع إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ وأن يكون عرف المجتمع من القوة بحيث لا يجرو المنحرفون فيه على التنكر لهذا الأمر والنهي، ولا على إيذاء الأمرين بالمعروف الناهين عن المنكر.

هكذا وصف الله الأمة فقال: [كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ] ووصف بني إسرائيل فقال: [كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنِ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ].. فكان ذلك فيصلاً بين المجتمعين وبين الجماعتين.

أما هنا فينحى باللائمة على الربانيين والأخبار، الساكتين على المسارعة في الإثم والعدوان وأكل السحت؛ الذين لا يقومون بحق ما استحفظوا عليه من كتاب

(١) انظر: أسمى الفرائض الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، القسم الأول: ص ٩٢.

(٢) يقصد قوله تعالى: [لَيْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ] في هذه الآية وقوله تعالى: [لَيْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ] في الآية السابقة.

(٣) مجمع البيان: مج ٢: ٣٣٦.

الله))<sup>(١)</sup>.

أقول: ينبغي الالتفات إلى أن مطلوبة هذه الوظيفة من الربانيين وعلماء الدين لا تعني أن يتركوا كل أعمالهم ومسؤولياتهم وواجباتهم ويتفرغوا الأمر هذا ونهي ذاك ويتصدوا كل منكر لينهوا عنه ويراقبون أفعال الناس ويتجسسون عليهم ليأمرهم وينهواهم، فهذه سيرة غير عقلانية ولا متشرعية، وإنما عليهم أن يكونوا متصفين بهذه الصفة ويكون ديدنهم ذلك ويمتلكون حاسة الغضب لله تعالى إذا عُصي، ولا يترددون في الامتثال عند تنجّز التكليف.

((ثم إن قوله سبحانه: [يَفْعَلُونَ] إما مجاز؛ لأن الترك ليس فعلاً -على قول المشهور-، وإما حقيقة، ويراد بالفعل الذي أوجب تركهم الأمر والنهي، وذلك عبارة عن تكالبهم على الدنيا وأخذهم الرشوة على سكوتهم والأول أقرب سياقاً والثاني أقرب والله العالم))<sup>(٢)</sup>.

أقول: ليس في التعبير مجاز، وإنما هو على نحو الحقيقة؛ لأن الترك يصدق عليه فعل إذا اقترن بالقصد، كالصوم الذي هو كفٌّ عن المفطرات مقترناً بنية القربة إلى الله تعالى. مضافاً إلى أن التقريب الذي ذكره للاستعمال على نحو الحقيقة مقبول، ومراد من الشارع المقدس، وهو الالتفات إلى علل الأفعال قبل نفس الأعمال والعلاج لا بد أن يتناول العلل، وقد نبّهنا على ذلك في خطابات متعددة.

(١) في ظلال القرآن: مج ٢/٧٩٠.

(٢) الفقه: ١٦٤/٤٨.

(كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ)  
(المائدة : ٧٩)

(الآية الخامسة): ونظير هذه الآية قوله تعالى: [كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ

مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ] (المائدة : ٧٩).

وهذه صريحة في ذم كل التاركين لفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن

المنكر، إذا اختصت الآية السابقة بالربانيين والأحبار.

في الدر المنثور بعدة أسانيد عن رسول الله (ﷺ) قال: (إن بني

إسرائيل لما عملوا الخطيئة نهاهم علماءؤهم تعزيراً، ثم جالسوهم واكلوهم

وشاربوهم كأن لم يعملوا بالأمس خطيئة، فلما رأى الله ذلك منهم ضرب بقلوب

بعضهم على بعض، ولعنهم على لسان نبي من الأنبياء، ثم قرأ رسول الله (ﷺ):

والله لتأمرن بالمعروف، ولتنهن عن المنكر، ولتأطرنهم على الحق أطراً، أو ليضربن

الله بقلوب بعضكم على بعض، وليلعننكم كما لعنهم)<sup>(١)</sup>.

وإلى هنا نكتفي بتقريب الاستدلال بهذه الآيات الكريمة.

(١) الدر المنثور: مج ٣/١٢٤.

## (يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم)

[المائدة: ١٠٥]

## إشكال التنافي مع آية [عليكم أنفسكم]:

ويحسن الآن التعرض إلى ما قيل من الإشكال بوجود التنافي ظاهراً بين هذه الآيات التي توجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقوله تعالى: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ] (المائدة: ١٠٥).

وتقريب الإشكال أن آية [عليكم أنفسكم] تضع عن المؤمنين وظيفة الدعوة إلى الله تبارك وتعالى و الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتكتفي منهم بالالتفات إلى إصلاح أنفسهم، ويكون معنى [لا يضرُّكم] أي لا تبعه عليكم ولا مسؤولية شرعية؛ لسقوط التكليف عنكم.

ويظهر أن البعض اتخذ من هذه الآية ذريعة لترك هذه الفريضة منذ صدر الإسلام، ففي الدر المنثور بأسناد عديدة ((صعد أبو بكر منبر رسول الله ﷺ) فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس، إنكم لتتلون آية من كتاب الله وتعدونها رخصة، والله ما أنزل الله في كتابه أشد منها [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ] والله لتأمرن بالمعروف ولتنهين عن المنكر أو

ليعمنكم الله منه بعقاب))<sup>(١)</sup>.

أقول: آيات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تأبى أن تكون هذه الآية حاکمة عليها على نحو النسخ والإلغاء كما يصور الإشكال، خصوصاً بعد جعل هذه الوظيفة سمة الأمة الإسلامية التي تتميز بها عن كل الأمم في قوله تعالى: [كنتم خير أمة]، وعليه فلا يحتمل سقوط فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بآية [عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ]، مضافاً إلى أن فهم آية [عليكم أنفسكم] على أنه ترك وظيفتي الدعوة والأمر والنهي قابل للمناقشة فيزول الإشكال من أصله. وهذا ما سيتضح من خلال الوجوه التي نذكرها لمعالجة الإشكال، ومنها:-

١- إن آية [عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ] تأتي بعد امتثال فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كالمعنى الذي تقدم<sup>(٢)</sup> في تفسير قوله تعالى: [قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ] (التحريم: ٦) وفي هذا المعنى رواية أوردها في الدر المنثور بطرق عديدة عن أبي أمية الشعباني قال: ((أتيت أبا ثعلبة الخشني فقلت له: كيف تصنع في هذه الآية؟ قال: أية آية؟ قال: قوله: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ] قال: أما والله لقد سألت عنها خبيراً، سألت عنها رسول الله (ﷺ) قال: (بل ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر، حتى إذا رأيت شحاً مطاعاً، وهوى متبعاً، ودنيا مؤثرة، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، فعليك بخاصة نفسك، ودع عنك أمر العوام، فإن من ورائكم أيام الصبر، الصابر فيهن مثل

(١) الدر المنثور: مج ٣/٢١٥.

(٢) وكذلك انظر: أسمى الفرائض، القسم الأول: ص ٧٩.

القابض على الجمر، للعامل فيهن أجر خمسين رجلاً، يعملون مثل عملكم) ((<sup>(١)</sup>). وأخرج عن حذيفة وغيره في هذه الآية قال: ((إذا أمرتم بالمعروف ونهيتم عن المنكر)).

٢- معنى [عليكم أنفسكم] أي أنتم مسؤولون عن صلاح أنفسكم والتزامها بأوامر الله تعالى ونواهيه ومنها فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الخير، وحينئذ لا تتحملون مسؤولية من ضل ممن هم مرتبطون بكم كأبائكم وأزواجكم ونحوهم، فتكون بمعنى قوله تعالى: [وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى] (الإسراء: ١٥) وقوله تعالى: [تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلكُمْ مَّا كَسَبْتُمْ] (البقرة: ١٣٤)، خصوصاً وأن المخاطبين يومئذ كان آباؤهم وبعض أقربائهم على الشرك، ويؤيد هذا المعنى ورود لفظ [إذا اهتديتم] هنا وفي الآية السابقة عليها [أُولُو كَانٍ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلَا يَهْتَدُونَ] (البقرة: ١٧٠).

ويمكن أن يستفاد هذا المعنى مما رواه في الدر المنثور بسنده عن ابن عباس في تفسير الآية قال: ((إذا ما أطاعني العبد فيما أمرته من الحلال والحرام، فلا يضره من ضل بعده إذا عمل بما أمرته به))<sup>(٢)</sup>، وعنه أيضاً قال إن مراد الآية: ((أطيعوا أمري واحفظوا وصيتي)) واختاره العلامة الطبرسي في المجمع<sup>(٣)</sup>.

٣- إن آية [عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ] خاصة بدعوة الكفار إلى الإسلام فترخص في

(١) الدر المنثور، مج ٣، ٢١٥، وأوردها مختصرةً في تفسير البرهان: ٢٩٨/٣ عن مصباح الشريعة:

(٢) الدر المنثور، مج ٣، ٢١٩.

(٣) مجمع البيان: مج ٢: ٣٩٢.

تركها وترك الجهاد، وربما يستدل له باستعمال لفظ الهداية والضلال في الآية مما يناسب كون الخطاب بلحاظ دعوة الكفار، روى في الدر المنثور بسنده عن أبي عامر الأشعري ((إنه كان فيهم شيء فاحتبس على رسول الله (ﷺ) ثم أتاه فقال: ما حبسك؟ قال: يا رسول الله قرأت هذه الآية: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ] قال: فقال له النبي (ﷺ): أين ذهبتم؟ إنما هي: لا يضركم من ضلَّ من الكفار إذا اهتديتم<sup>(١)</sup>.

أقول: هذا المعنى لا يمكن قبوله في فريضة الجهاد والدعوة إلى الله تبارك وتعالى كما لم يُقبل في فريضة الأمر والنهي؛ لأن الدعوة إلى الخير من مقومات هوية هذه الأمة وعناصرها الأساسية كما تقدم في تقريب قوله تعالى: [ولتكن منكم].

٤- أن الآية خاصة بزرف التقية وحصول الضرر من ممارسة الفريضة

فتكون دليلاً على اشتراط عدم الضرر من الامتثال.

في الدر المنثور بطرقه عن ابن مسعود في قوله تعالى: [عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ] قال: ((مروا بالمعروف، وانهوا عن المنكر ما لم يكن من دون ذلك السوط والسيف، فإذا كان ذلك كذلك فعليكم أنفسكم)<sup>(٢)</sup> وروى مثله عن ابن عباس.

أقول: لا يدل ظاهر الآية ولا سياقها على الاختصاص بزرف التقية.

٥- أن يقال: إن هذه الآية تدل على الرخصة، فتُحمل آيات الأمر

بالمعروف والنهي عن المنكر الظاهرة في الوجوب على الاستحباب كما هو

(١) الدر المنثور: مج ٣، ٢١٥.

(٢) الدر المنثور، مج ٣، ٢١٦، ٢١٩.

مقتضى الصناعة.

وهو وجه يجري على القواعد المعمول بها لو كنا نحن والآيات الشريفة، وعلى فرض ظهور الآية في هذه الرخصة، وروى في الدر المنثور عن الحسن أنه تلا هذه الآية فقال: ((يا لها من سعة ما أوسعها، ويا لها من ثقة ما أوثقها))<sup>(١)</sup>.

أقول: بغض النظر عن صحة الوجه فنياً، إلا أن فهم الرخصة بعيد لبعده الأثر المترتب عليها وهو قوله تعالى: [لا يضرّكم] إذ من المعلوم تضرر المجتمع بوجود الفساد والانحراف فيه، وأن عدم الردع عن المنكر يؤدي إلى انتشاره وفتكه في كيان المجتمع حتى يقضي عليه، قال تعالى: [وَأَتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً] (الأنفال : ٢٥).

مضافاً إلى أن نتيجة هذا الوجه مما لا يمكن قبولها لإجماع المسلمين على وجوب الفريضة في الجملة.

٦- إن آية [عليكم أنفسكم] تدعو المؤمنين إلى الثبات على الحق والاستقامة، وأن يلزموا ما هم عليه، ولا يتأثروا بما عليه أهل الضلال من النعم المادية والترف فيدعوهم ذلك إلى ترك ما هم عليه، فتقول لهم الآية: إن ما عندهم هو الخير فالزموه -الذي هو معنى عليكم- ولا يغرنكم ما فاتكم مما عند أهل الضلال فتضلوا مثلهم، فتضروا أنفسكم بالتأثر بهم، ولا تخافوا من أن يكون لزوم طريقتكم المثلى سبباً لفوات النعم عليكم ونحوها.

فيكون هذا المعنى قريباً من قوله تعالى: [وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ

(١) الدر المنثور، مج ٣، ٢١٨.

أَزْوَاجاً مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْسِنَهُمْ فِيهِ وَرَزَقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى] (طه : ١٣١)،  
 وقوله تعالى: [لَا يَعْزُبُكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ، مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَا وَاهُمْ جَهَنَّمَ  
 وَيُسَّ الْمِهَادُ] (آل عمران : ١٩٦-١٩٧)، وقوله تعالى: [وَقَالُوا إِن نَّبِيعَ الْهُدَى مَعَكَ  
 نَتَخَطَّفُ مِنْ أَرْضِنَا] (القصص: ٥٧)، وهو ما يريد الله تعالى حماية عباده منه في  
 قوله تعالى: [وَلَوْ لَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِيُوتِيَهُمْ  
 سُفُفًا مِّنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ، وَلِيُوتِيَهُمْ أَبْوَاباً وَسُرُوراً عَلَيْهَا يَتَكَبَّرُونَ،  
 وَزُخْرُفًا وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ] (الزخرف  
 : ٣٣).

٧- ما يقرب من قول أمير المؤمنين (عليه السلام): (لا أصلحكم بفساد نفسي)  
 ويكون معنى الآية: التفتوا أولاً إلى إصلاح أنفسكم ولا تشغلوا بالعمل على  
 إصلاح المجتمع وتضيّعوا أنفسكم، فإذا لزم الانهماك بالعمل الاجتماعي تضيع  
 أنفسكم فتركه أولى والالتفات إلى تهذيب النفس وتكميلها.  
 وهذه مشكلة كبيرة أفرزها واقع العمل الإسلامي الاجتماعي والحركي،  
 والمتصددين له على أوسع مستوياته لكنهم عندما يتعرضون لامتحانات التقوى  
 والاستقامة ينهارون، وقد شخّصت هذه المشكلة في جملة من خطباتي.  
 وتدل عليه فيما نحن رواية علي بن إبراهيم في تفسيره الآية عن النبي (صلى الله عليه  
 وآله وسلم) قال: (أصلحوا أنفسكم فلا تتبعوا عورات الناس ولا تذكرونها، فإنه لا يضركم  
 ضلالتهم إذا كنتم أنتم صالحين)<sup>(١)</sup>.

(١) البرهان في تفسير القرآن: ٢٩٨/٣ عن تفسير القمي: ١/١٨٨.

وقد نبّه القرآن الكريم إلى هذه النكتة في آيات عديدة كقوله تعالى: [فَلَعَلَّكَ  
بَاخِعٌ نَفْسِكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا، وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا  
صَعِيدًا جُرُزًا] [الكهف: ٦-٧]، وقوله تعالى: [وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ  
قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِمَ بِهِ الْمَوْتَىٰ بَل لِّلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَنبَأِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ  
لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا] (الرعد: ٣١).

أقول: والخلاصة أن على المؤمن أن يراقب الله تعالى في حركته ولا يشغله شيء  
عن إصلاح نفسه ويوظف كل عمل لهذا الغرض، ومن تلك الأعمال الدعوة إلى  
الله تعالى و الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولا يكلف نفسه أكثر من ذلك،  
فإن النتائج بيد الله تعالى وهو مدبّر الأمور ومسبب الأسباب.

وهذا الوجه اختاره السيد الطباطبائي في الميزان (قُلَّيْبٌ): ((إن الآية لا تنافي  
آيات الدعوة وآيات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فإن الآية إنما تنهى  
المؤمنين عن الاشتغال بضلال الناس عن اهتداء أنفسهم وإهلاك أنفسهم في سبيل  
إنقاذ غيرهم وإنجائهم.

على أن الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من شؤون اشتغال  
المؤمن بنفسه وسلوكه سبيل ربه، وكيف يمكن أن تنافي الآية آيات الدعوة  
والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أو تنسخها؟ وقد عدّهما الله سبحانه من  
مشخصات هذا الدين وأسسها التي بنى عليها كما قال تعالى: [قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو  
إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي] (يوسف: ١٠٨) وقال تعالى: [كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ  
أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ] (آل عمران: ١١٠).

فعلى المؤمن أن يدعو إلى الله على بصيرة وأن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر على سبيل أداء الفريضة الإلهية وليس عليه أن يجيش ويهلك نفسه حزناً أو يبالغ في الجد في تأثير ذلك في نفوس أهل الضلال فذلك موضوع عنه<sup>(١)</sup>.

٨- ما يشبه الوجه الخامس بتطبيقه على المجتمع وذلك بأن نفهم من [أنفسكم] العموم المجموعي لا الاستغراقي؛ لأن المؤمنين كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى، فيكون المعنى: عليكم أن تلتفتوا إلى صلاح وإصلاح مجتمعكم من خلال إصلاح أنفسكم، وحينئذ يكون قوله تعالى: [لا يضرّكم] إما من باب التطمين من قبل الله تعالى بأنهم لا يضرّهم الضالون، بمعنى أن ضلالهم لا يسري ولا يصل إليكم ما دمتم عاملين على إصلاح بعضكم بعضاً، فتكون من آيات الحث على فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أو تكون بمعنى أنهم ليس عليهم تضييع وظيفتهم أمام مجتمعهم من أجل أن يلتفتوا إلى إصلاح حال الآخرين.

وهذا المعنى أورده في مجمع البيان وقال: ((إن هذه أوكد آية في وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأن الله تعالى خاطب بها المؤمنين فقال: [عليكم أنفسكم] يعني عليكم أهل دينكم - كما قال: [ولا تقتلوا أنفسكم] - لا يضرّكم من ضل من الكفار، وهذا قول ابن عباس في رواية عطا عنه، قال: يريد يعظ بعضكم بعضاً وينهى بعضكم بعضاً ويعلم بعضكم بعضاً ما يقربه إلى الله ويبعده عن الشيطان ولا يضرّكم من ضل من المشركين والمنافقين وأهل

(١) الميزان في تفسير القرآن: ١٦٣/٦.

الكتاب))<sup>(١)</sup>.

وأيضاً احتمله السيد الطباطبائي، قال (قَلْبِيَّ): ((وتسع الآية أن تحمل على الخطاب الاجتماعي بأن يكون المخاطب بقوله: [يا أيها الذين آمنوا] مجتمع المؤمنين فيكون المراد بقوله: [عليكم أنفسكم] هو إصلاح المؤمنين مجتمعهم الإسلامي باتخاذ صفة الاهتداء بالهداية الإلهية بأن يحتفظوا على معارفهم الدينية والأعمال الصالحة والشعائر الإسلامية العامة كما قال تعالى: [واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا] [آل عمران: ١٠٣] وقد تقدم في تفسيره أن المراد بهذا الاعتصام الاجتماعي الأخذ بالكتاب والسنة.

ويكون قوله: [لا يضرّكم من ضل إذا هتديتم] يراد به أنهم في أمن من أضرار المجتمعات الضالة غير الإسلامية فليس من الواجب على المسلمين أن يبالغوا الجد في انتشار الإسلام بين الطوائف غير المسلمة أزيد من الدعوة المتعارفة كما تقدم.

وهنا معنى آخر لقوله: [لا يضرّكم من ضل إذا هتديتم] من جهة أن المنفى في الآية هو الإضرار المنسوب إلى نفس الضالين دون شيء معين من صفاتهم أو أعمالهم فتفيد الإطلاق، ويكون المعنى نفى أن يكون الكفار ضارين للمجتمع الإسلامي بتبديله مجتمعاً غير إسلامي بقوة قهريّة فتكون الآية مسوقة سوق قوله تعالى: [اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون] (المائدة: ٣)، وقوله: [لن يضرّوكم إلا أذىً وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار] [آل

(١) مجمع البيان: مج ٢/٣٩٢.

عمران: (١١١))<sup>(١)</sup>.

٩- ما ذكرناه في بعض كتبنا<sup>(٢)</sup> من أن التكاليف على قسمين: الفردية والاجتماعية، ونعني بالأولى تلك التي توجّه إلى الفرد بما هو فرد من دون ارتباطها بتكاليف الآخرين، كالصلوات اليومية التي يجب على الفرد القيام بها سواء امثل الآخرون أم لا، أما الثانية فهي التي يُخاطب بها الفرد بما هو جزء من المجتمع، وهذا الفرق ناشئ من كون امثال الأولى يؤتي ثماره سواء أدى الآخرون أم لا بعكس الثانية.

فآية [عليكم أنفسكم] بلحاظ الأولى أما وظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهي من الثانية، فموضوعهما مختلف.

(١) الميزان في تفسير القرآن: ١٦٧/٦-١٦٨.

(٢) خطاب المرحلة: ٢٩١/١-٢٩٢.

## أعطوا للقرآن الكريم دوراً متميزاً في حياتكم<sup>(١)</sup>

بعض المتحدثين حينما ترد الآيات القرآنية في كلامه يميّزها بالإلقاء عن بقية كلامه فيرتلها، وكذلك دأبت دور النشر في السنين الأخيرة على تمييز الآيات القرآنية بالخط عن بقية الكتاب فتوضع بنفس الرسم القرآني، ولعل غرضهم في ذلك لتنبية القارئ إلى عدم مسّها إلا بطهور ونحوها من الأغراض.

وهذا الفعل المبارك وهو تمييز النصوص القرآنية عن غيرها في محلّه لكننا نفهم منه معنى أوسع من هذا الذي أرادوه، لأنّ نظم القرآن ومعانيه من صنع الخالق تبارك وتعالى فمن الطبيعي أن تتميّز عن صنع المخلوقين مهما كانوا متقنين للفصاحة والبلاغة.

يروى صاحب كتاب (في ظلال القرآن) انه كان على ظهر باخرة مسافراً إلى الولايات المتحدة وفي يوم الجمعة أقام صلاة الجمعة وألقى خطبتيها، وكان المسافرون من أديان شتى ولغات مختلفة، فوقف غير المسلمين ينظرون إلى هذا المشهد الغريب عنهم، بينهم سيّدة يوغوسلافية كانت تنصت وتتابع حتى انتهى من الصلاة فسألها عن معنى انشادها وهي لا تفهم العربية، فقالت: لا أدري لكنني وجدت نفسي منجذبة إلى الجو الذي أوجده كلماتك وقالت أن الذي لم أستطع تفسيره هو أن كلمات تخللتها خطبتك كانت تشدني وتجذبني أكثر ولا أعرف

(١) من حديث سماحة الشيخ يعقوبي مع حشد من طلبة الجامعات والشباب من السماوة وهيئة

الوعي للجميع من بغداد يوم السبت ٥/٢٤/١٤٣٤ المصادف ١٦/٢/٢٠١٣.

لماذا؟ يقول سيد قطب لكنني أعرف أنها الآيات القرآنية التي كنت أضمنها في خطابي.

هذا هو القرآن الكريم في تأثيره على النفوس وبشفائه للروح وانسجامه مع الفطرة وتطهيره القلب الذي لم يطبع عليه الرين حتى وإن لم يكن يفهم ألفاظه، وهذا هو القرآن الكريم في تميّزه عن كلام المخلوقين، وهذا مظهر من مظاهر إعجازه، وربّانية صنعه ومصدره.

خلافاً لما يرد في الإشكال الذي واجهه رسول الله (ﷺ) ويردّده اليوم مدّعوا الحداثة والتجديد الفوضوي غير المنضبط، وهو أن القرآن من صنع البشر سواء كان النبي محمد (ﷺ) نفسه أو غيره ممن يزعمون أنه علّمه، وأجاب القرآن بوضوح (وَلَقَدْ نَعَلِمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ) (النحل/١٠٣) وقال تعالى (أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَكَوْكَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا) (النساء/٨٢).

هذا التمييز للقرآن الكريم يجب أن نحافظ عليه في حياتنا فنعطيه هذا الدور المتميّز عن غيره من سائر أولوياتنا فنواظب على تلاوته وتندبر في آياته ونتخذة دستوراً في حياتنا لا نحيد عنه، ونبراساً يضيء لنا الدرب، ومرجعاً لنا في كل قضايانا وحل مشاكلنا.

فلا نبخل على القرآن بدقائق يوماً في أوقات صلواتنا أو فراغنا لتتلو عدداً من الآيات الكريمة، وقلت مراراً أن الأولى أن تكون في مصحف مؤطر بتفسير بسيط لمفرداته وآياته كتفسير شبر لنحيط ولو إجمالاً بالمعاني العامة للقرآن

الكريم، وهو كتاب جليل وضعه مؤلفه بعد مراجعة عدة تفاسير واطلع على الأقوال المختلفة. وليكن لكل فرد من الأسرة نسخة واحدة على الأقل من المصحف تختص به، والأفضل أكثر من نسخة، هذا غير المصاحف الأخرى الموجودة في الدار.

وأؤكد عليكم أيها الشباب بالعمل بهذه النصيحة فإنكم في بداية حياتكم ونقطة الانطلاق لتأسيس مستقبلكم، فعندما يكون الأساس هو القرآن الكريم وعلومه ومعارفه فإن المستقبل يكون سعيداً قوياً مثمراً بلطف الله تبارك وتعالى، وفي كل الميادين سواء في دراستك أو عملك وكسبك أو في علاقاتك مع أهلك والآخرين، فضلاً عن العلاقة السامية مع ربك والنبى وآله الطاهرين (عليهم السلام).

وقد جربت ذلك في حياتي عندما كنت في بداية العشرينيات من عمري ومن الله تعالى عليّ بالأنس بالقرآن وملازمة له ولازمت أحيى بركاته والحمد لله وحده.

## القبس القرآني

٩٨

(ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات) [الأعراف: ٩٦]  
**الحل والعلاج في العودة إلى الله تبارك وتعالى<sup>(١)</sup>**

**علّة البلاء:**

من الحقائق التي بينها الله تبارك وتعالى من خلال القرآن الكريم لتثبيتها في قلوب وعقول المؤمنين أن ما يصيبهم من بلاء وعنت وضيق وشدة فإنما هي نتيجة أعمالهم السيئة [وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ] (الشورى: ٣٠) [فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ] [النحل: ٣٤] [مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ] [النساء: ٧٩]، ويلفت أنظار المسلمين من أصحاب رسول الله (ﷺ) وهم في قمة المواجهة العسكرية مع مشركي قريش في معركة أحد أن هزيمتهم كانت بسبب عدم تهذيب أنفسهم فهذا هو السبب الحقيقي وليس الأسباب المادية [إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا] (آل عمران: ١٥٥).

**الله تعالى يعلمنا طريق الحل:**

وفي نفس الوقت يعلمنا الحل وسبيل النجاة من هذه المعاناة.

(١) من النصائح والمواعظ التي كان يوجهها سماحة الشيخ (دام ظله) إلى الأمة من خلال أئمة

الجمعة خلال فترة المواجهات المسلحة عام ٢٠٠٤.

انه بالعودة إلى الله تبارك وتعالى والتضرع إليه والتوسل إليه تبارك وتعالى وتصفية القلوب مما فيها من غلٍّ وضغائنٍ وريذائلٍ كالحسد والعجب والكرهية والأناية [وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ كَذَبُوا فَاَخَذْنَاَهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ أَوْ آمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يُلْعَبُونَ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ أَهْلِهَا أَن لَّوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلٰى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ] (الأعراف: ٩٦-١٠٠).

والمراد بالبأس هنا ليس الاستئصال كما كان يحصل للأمم السابقة على الإسلام، فإن مثل هذا العذاب قد رُفِعَ عن هذه الأمة ببركة النبي (ﷺ)، ولكن الأمة بقيت معرضة -بسوء تصرفها- لألوان أخرى من العذاب: نقص الثمرات، وقوع الفتن والحروب بينهم فيذيق بعضهم بأس بعض، تداعي الأمم الأخرى عليهم لاستعبادهم، وهذه البلاءات كلها قد نزلت بالأمة والعياذ بالله. وقال تعالى [وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ] (الطلاق: ٢-٣)، ويخاطب الأمم التي تتخبط في جهلها وغفلتها وبعدها عن الطريق الحقيقي [قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَ شَمْرَةٍ تَفَكَّرُوا] (سبأ: ٤٦) أي أن تلتفتوا إلى أنفسكم فتعودوا إلى الله تبارك وتعالى أفراداً وجماعات وتجارون إلى الله بالدعاء والاستغاثة.

وهذا لا يعني أن هذا القيام لله تبارك وتعالى واللجوء إليه مختص بحال

الاضطرار، إذ المطلوب أن يكون الإنسان في كل حالاته ذاكراً لله تعالى مستجيراً به طالباً منه التوفيق والتثبيت على الإيمان والزيادة من عمل الخير والتأييد، بل إنه سبحانه يعرض مستغرباً مثل هذا النموذج الذي لا يعرف الله إلا في أوقات الضيق والشدة كانقطاع السبل في البحر الهائج [فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ] (العنكبوت: ٦٥)، ولا يقصد الشرك الظاهري أي عبادة الأصنام ونحوها لأنه خلاف دعوتهم لله مخلصين، وإنما يريد الشرك الخفي أي الإعراض عن الله والالتجاء إلى الأسباب من دونه.

ويضرب لنا مثلاً في قوم يونس فإنهم قد أحيطوا بعذاب، وظن نبيهم أنهم قد أخذوا ولم تبق فرصة لنجاتهم، فغادر المدينة إلا أنهم عادوا إلى الله وخرجوا جميعاً مستغيثين بالله أن يرفع عنهم البلاء، فاستجاب الله تبارك وتعالى لهم ونجاهم [فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمٌ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ] (يونس: ٩٨).

### وابتغوا إليه الوسيلة:

ولا يتم هذا الاتصال بالله تبارك وتعالى وينتج ثمراته إلا بولاية أهل البيت والتوسل بهم إلى الله تبارك وتعالى وإدامة ذكرهم وإقامة شعائرهم والاستغاثة بالإمام القائم بالأمر (عجل الله تعالى فرجه)، قال تعالى [وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى] (طه: ١٢٤) وقد ورد في الروايات أن الذكر هي ولاية أهل البيت (عليهم السلام) فمن لم يتمسك بهم يكن في عيشة ضيقة تعيسة خالية من الإمدادات الروحية.

يروى عن الإمام الهادي (عليه السلام) قوله ما معناه إذا ضاقت بنا الأمور دعونا الله تبارك وتعالى بـ(يا من تحل به عقد المكاره ...) وهو من أدعية الصحيفة السجادية ويوجد في كتاب مفاتيح الجنان.

هكذا علمنا الله تبارك وتعالى وهكذا أدبنا أهل البيت (عليهم السلام) فأين نحن من ذلك التأديب الذي يراد منه نفعنا وسعادتنا؟

### الانفعال والارتجالية:

أنا لا أنكر تقدم المستوى الإيماني لدى هذا الجيل بفضل الله تبارك وتعالى بشكل أذهل الأعداء وأصاب خططهم بالخيبة والخسران، إلا أنه مع الأسف في كثير من حالاته عبارة عن وهج عاطفي وحرارة متدفقة غير مقترن بوعي عميق وتربية راسخة للقلب والنفس، مما يجعل هذه الاندفاع في مهب الريح -والعياذ بالله- إذا لم نتداركها بما يصلحها.

وإلا بماذا تفسر انتشار الافتراء والبهتان والتسقيط والتشويه بين المؤمنين بل أصبح شغل الكثير من أهل الغفلة هو ذم العلماء والمراجع والقدح فيهم وانتقادهم، ولا أدري من أين نال هؤلاء القيمومة على الآخرين ليعطوا لهم الحق في تقييم أعمال المراجع والمفكرين؟! ألم يسمعوا الحديث الشريف (إن حرمة المؤمن عند الله أعظم من الكعبة)، فالاعتداء على سمعة المؤمن وكرامته وتشويه صورته أشد من الاعتداء على الكعبة، أو على العتبات الطاهرة للأئمة المعصومين (عليهم السلام) -رغم أنها من الجرائم الشنيعة-، فهل التفت المؤمنون إلى هذه الكبائر التي تورطوا فيها، وعميت بصائرهم عن رؤيتها حتى تنشر صحائف أعمالهم أمام

الحكم العدل [فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ] (ق: ٢٢).

### هل غضبنا لله تعالى أم لأنفسنا؟

وهل غضبوا لانتهاك حرمت المؤمنين أم على العكس إنهم خاضوا في هذه الكبائر وشربوا كأسها حتى الثمالة، حتى أن بعض أئمة الجمعات استغلوا هذا الموقع الإلهي الذي يعبر عنه الإمام (عَلَيْهِ السَّلَامُ) (اللهم إن هذا مقام أوليائك وخلفائك) استغلوه للمهارات الكلامية وتصفية الحسابات الشخصية ولانتقاد العلماء.

### التربية الى نصف الطريق:

عن هذا النقص في تربية المشتغلين بالعمل الاجتماعي الإسلامي والأسف من عدم اكتمال التربية قال الشهيد السيد محمد باقر الصدر رائد الحركة الإسلامية في العراق<sup>(١)</sup>. ((إننا استطعنا أن نربي الآخرين إلى نصف الطريق)) وعلق عليه الشهيد السيد محمد الصدر (قده): ((ولم يقل إلى نهايته لأنه لو كان الأمر كذلك لما حصل أي شيء من تلك النتائج. ولو كان أولئك المتدينون قد أصلحوا أنفسهم قبل إصلاح الآخرين، وما رسوا المقدمات المنتجة لصفاء النفس ونور القلب وعمق الإخلاص وقوة الإرادة وعفة الضمير لما عانوا ما عانوا، بل ولعلمهم لم يحتاجوا في الحكمة الإلهية إلى كل هذا البلاء الذي وقع عليهم، وإنما كانوا مع شديد الأسف مصداقاً لقوله تعالى [وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ] (محمد: ٣٨) ولم يكونوا مصداقاً لقوله تعالى [الَّذِينَ إِثْمُكَانَهُمْ فِي

(١) من بحث بعنوان (التربية الدينية) كتبه السيد الشهيد الصدر الثاني أيام إقامته الجبرية في

الثمانينات وهو مخطوط محفوظ عندي، ونشر ضمن سلسلة (حديث الروح).

الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ [الحج: ٤١]، وليس ذلك إلا لان الأفراد التامين من جميع الجهات والأوصاف الجامعين للشرائط عددهم قليل، وأقل من الحاجة بكثير).

### المعركة الكبرى:

أيها الإخوة والأخوات زادهم الله بصيرة:

إننا مطالبون بمحاربة الشياطين في أنفسنا الأمانة بالسوء قبل كل شيء، ومهما تعاظمت شياطين الجن والأنس فإنها دون هذا العدو الأكبر الذي وصفه الحديث الشريف (أعدى أعدائك نفسك التي بين جنبيك)، بل إن كل شياطين الإنس هي ثمرة هذا الشيطان ولو أصلحنا ما في نفوسنا لم يبق شيء من تلك الشياطين؛ لذا سمى النبي (ﷺ) جهاد النفس بالجهاد الأكبر ومعناه أن العدو في هذا الجهاد هو العدو الأكبر. وجهاد الأعداء الآخرين مهما تفرعنوا بالأصغر.

### النصر الحقيقي:

إن نصرنا الحقيقي حينما نستطيع سحق أهوائنا وأنانياتنا ونزيل الغل والحقد والكراهية وحب الدنيا بكل أشكالها (وأخطرها حب الرئاسة والتسلط وتصفيق الجماهير) والحسد والرياء والعجب والتكبر والعنجهية والاستعلاء وغيرها من الرذائل، ونملاً قلوبنا بالحب والرحمة والشفقة والعفو والصفح والتآلف والمودة والصبر وكظم الغيظ وغيرها من الفضائل.

هذه هي وصايا أهل البيت (عليهم السلام) وهذه تربيتهم، حتى حينما كان يظن شيعتهم أن الفرصة قد حانت وإن الثمرة قد آن قطافها، كانوا (عليهم السلام) دائماً

يذهبون في الاتجاه الآخر غير الذي يفكر به الآخرون مهما قربوا من الإمام (عليه السلام)، وهو اتجاه محاسبة النفس ومراقبتها وعرضها على الميزان الذي نصبه أهل البيت (عليهم السلام)، وأقرأ كشواهد على ذلك أقوال الإمام الصادق (عليه السلام) لمن عرضوا عليه النصرة وتسليم مفاتيح السلطة بعد القضاء على الأمويين، ونصائح الإمام الرضا (عليه السلام) للذين خرجوا لاستقباله على طول الطريق من المدينة المنورة إلى مرو.

### ابتعادنا عن أدب السلف الصالح:

إننا ضيعنا حتى الحد الأدنى من ذكر الله تعالى وهو الالتجاء إليه عند الاضطرار، فها هو البلاء يحيق بنا والأعداء يتربصون بنا ولا أجد المؤمنين يعقدون مجالس الدعاء والتوجه إلى الله تعالى والاستغاثة بالمعصومين (عليهم السلام) والتوسل إلى صاحب الأمر (عجل الله تعالى فرجه) كي يتولانا برعايته مع عدم الإخلال بالواجبات الأخرى طبعاً، يروي لنا سلفنا انه إذا مر بهم بلاء اجتمعوا في المساجد والحسينيات للدعاء ولذكر مصائب أهل البيت (عليهم السلام) وزيارتهم، وكان طلبة العلم في النجف يتوجهون مشياً على الأقدام إلى مسجد السهلة مستغيثين بالإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه) أو كربلاء لزيارة الحسين (عليه السلام) أو أي مسجد جامع لأبناء المدينة فيرفع الله عنهم البلاء، كما فعل بقوم يونس، بل ما حصل لنفس النبي يونس (عليه السلام) فانه لما نادى [لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ] (الأنبياء: ٨٧) جاءه الغوث والخلص [فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنَجِّي الْمُؤْمِنِينَ] (الأنبياء: ٨٨) وقال تعالى [فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ

لَلْبَيْتِ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ] (الصفات: ١٤٣ - ١٤٤).

لذا يبين الإمام المهدي (عليه السلام) امتعاضه من شيعته لأجل هذه الغفلة عن الله تعالى وعن أهل البيت (عليهم السلام) في كثير من اللقاءات معه (عليه السلام) ومنها قصة السيد الرشتي المذكورة في مفاتيح الجنان لما ضلَّ الطريق في ظروف صعبة قال له موبخاً لماذا تتركون زيارة عاشوراء والنافلة وزيارة الجامعة الكبيرة<sup>(١)</sup>.

هذا هو الحل وهذا هو طريق النجاة أن نقوم لله تعالى مشى وفرادى متآلفين ومتحابين أنقياء القلوب أصفياء النفوس ونعمل بوصايا المعصومين (عليهم السلام) ونتأدب بأدبهم ونترك التعصب والتشنج والتطرف والأنانية وحب الدنيا.

[قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيْنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ] (هود: ٨٨).

والحمد لله رب العالمين

وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين.

(١) تفصيل الكلام في كتاب (شكوى الإمام (عليه السلام)).

(رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ) (١)  
 رفض العبثية في الحياة  
 [آل عمران : ١٩١]

درس بليغ من النبي ﷺ :

نحن في جوار رسول الله (ﷺ) وفي ضيافته، ونحب أن نقف عند محطة من حياته الشريفة (ﷺ) وسلم) ففي الرواية إنه (ﷺ) وسلم) كان إذا استيقظ من نومه<sup>(٢)</sup> في جوف الليل قلب طرفه في السماء متأملاً ويقرأ الآيات الكريمة العشر في أواخر سورة آل عمران وهو يبكي [إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ، الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ، رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تَدْخُلُ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ، رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا

(١) كلمة ألقاها سماحة الشيخ (دام ظله) في المدينة المنورة في موسم الحج ١٤٣١ هـ حيث دعي لحضور الملتقى الثقافي الذي يقيمه الشيخ طاهر الهاجوج في الموسم في الحسينية الكبيرة التي أنشأها، وكان في استقبال سماحة الشيخ الهاجوج وعدد من الوجهاء، وحضر الملتقى عدد من العلماء وممثلي البعثات والمرجعيات الدينية من النجف الأشرف وقم المقدسة. وكان ذلك يوم الثلاثاء ٢٤/ذو القعدة هـ الموافق ٢٠١٠/١١/٢ م.

(٢) الدر المنتور للسيوطي في تفسير الآية.

ذُنُوبَنَا وَكَفَّرَ غَنَا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّفْنَا مَعَ الْأَبْرَارِ، رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ] (آل عمران: ١٩٠-١٩٤).

### خلقنا للمعرفة:

[رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ] أيها الأحبة:

نحن لم نخلق في هذه الدنيا عبثاً وبلا غرض، قال تعالى: [وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ، لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهَوًا لَاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ] (الأنبياء: ١٦-١٧). فلا بد أن نلتفت إلى هذا الغرض الذي خلقنا من أجله ليكون ماثلاً أمامنا دوماً ولنكرس حياتنا من أجله، قال تعالى: [وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ] (الذاريات: ٥٦).

وورد في تفسير الآية عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) قال: (خرج الحسين بن علي (عليه السلام) على أصحابه فقال: أيها الناس إن الله جل ذكره ما خلق العباد إلا ليعرفوه، فإذا عرفوه عبدوه، فإذا عبدوه استغنوا بعبادته عن عبادة من سواه)<sup>(١)</sup> ومما ورد في دعاء الإمام الحسين (عليه السلام) يوم عرفة (إلهي علمت باختلاف الآثار وتنقلات الأطوار أن مرادك مني أن تتعرف إليّ في كل شيء حتى لا أجهلك في شيء).

فالغرض من وجودنا هو التعرف إلى الله تبارك وتعالى وعبادته بحقيقة العبادة، بأن يكون الله تبارك وتعالى كقطب الرحي الذي ندور حوله وإلى هذا المعنى يشير الطواف بالكعبة، وأن يكون تبارك وتعالى محور حياتنا في كل

(١) علل الشرائع للشيخ الصدوق: باب ٩: علة خلق الخلق.

حركاتنا وكل سكناتنا ومشاعرنا وعواطفنا ومواقفنا التي نتخذها في حياتنا.

### المعرفة غير التصوم:

وهذا لا يعني أن نترهب ونعتزل الدنيا في الصوامع والكهوف، بل بالعكس فإن هذا الهدف يدفعك إلى أن تخوض الحياة بكل تفاصيلها وتمارسها بشكل طبيعي لتؤدي رسالتك ولكن عليك أن توظف كل ممارساتك لهذا الهدف، لقد كان الأنبياء والأئمة (صلوات الله عليهم أجمعين) عباداً مخلصين لله تبارك وتعالى ومعصومين عن الالتفات إلى غيره ومع ذلك فقد كانوا يمارسون حياتهم الطبيعية كأى إنسان، فلا منافاة.

فالعمل والكسب يمكن أن يجعله الإنسان لاكتناز الأموال وزيادة أرصدته في البنوك للمباهاة والتفاخر ولا يخرج حقوقه الشرعية فيكون وبالاً عليه، ويمكن أن يجعله للتعفف مما في أيدي الناس وللإنفاق في وجوه البر والإحسان ومساعدة المحتاجين والحج والزيارة وتزويج المؤمنين ودعم المؤسسات الخيرية فينال رضا الله تبارك وتعالى ويحقق الهدف.

والأكل مثلاً يمكن أن يجعله لحفظ البدن الذي هو واجب وللتقوي على العبادة ونحوها من الأهداف الصحيحة، والزواج الذي فيه إشباع للشهوة والغريزة يمكن وضعه في هذا السياق بأن يجعل غرضه إقامة سنة الله تبارك وتعالى وصيانة النفس والزوجة من الحرام وإدخال السرور على رسول الله (ﷺ) وأمير المؤمنين (عليه السلام) وتكثير نسمات الموحدين وبناء أسرة صالحة وإدخال السرور على امرأة مؤمنة ونحوها من النيات المباركة وهذا إنما يتحقق حينما يكون

الإنسان دائم الذكر لربه مستحضراً وجوده المقدس والإنسان غير المعصوم لا يكون كذلك على الدوام ولكن ليجعله هدفه الذي يسعى لتحقيقه، ولو أدركته غفلة أو انساق وراء شهوة فليعد فور تذكره إلى ربه قال تعالى: [إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ] (الأعراف: ٢٠١).

### أوثق العرى:

ونحن أتباع أهل البيت (عليهم السلام) متمسكون بأوثق العرى الموصلة لمعرفة الله تبارك وتعالى الدالة على عبادته وأعظم الوسائل لنيل رضاه، والضامن الأكيد لسلامة المسير إلى الله تبارك وتعالى والصائنة من الانحراف عن الصراط المستقيم، ففي تنمة رواية علل الشرائع المتقدمة (فقال له رجل: يا ابن رسول الله بأبي أنت وأمي فما معرفة الله؟ قال: معرفة أهل كل زمان إمامهم الذي يجب عليهم طاعته) لأن من لا يعرف إمام زمانه ولا يأخذ عنه فإنه لا يعرف الله حق معرفته، ومن يعتقد أن ربه يتركه بلا إمام يهديه فقد ضل سواء السبيل، وقد ورد في الدعاء (اللهم عرفني نفسك، فإنك إن لم تعرفني نفسك لم أعرف رسولك، اللهم عرفني رسولك فإنك إن لم تعرفني رسولك لم أعرف حجتك، اللهم عرفني حجتك فإنك إن لم تعرفني حجتك ضللت عن ديني).

### وابتغوا إليه الوسيلة:

وقد أمر الله تبارك وتعالى باتخاذ هذه الوسيلة لنيل رضاه قال تعالى: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ] (المائدة: ٣٥) وهي ولاية أهل البيت ومودتهم كما دلت عليه الروايات ويمكن الاستفادة هذا المعنى من القرآن الكريم

بالجمع بين الآيتين الكريمتين [قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا] (الفرقان: ٥٧) وقوله تعالى: [قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ] (الشورى: ٢٣). فالسبيل هي مودة أهل البيت (عليهم السلام) وقد أمرت آية سورة المائدة باتخاذها وسيلة.

### كل مخلوق ميسر لما خلق له:

ومن لطف الله تعالى بعباده وحكمته في تدبير شؤونهم وتغطية كل مساحات الحياة أنه نوّع الطاعات والقربات الموصلة إليه وأعطى لعباده إمكانيات ومؤهلات مختلفة، فبعض أعطي العلم النافع فهو يتقرب إلى الله بإرشاد الناس وتعليمهم معالم دينهم وهدايتهم، وآخر أعطي المال ليتقرب إلى الله بإنفاقه في وجوه البر والإحسان، وآخر أعطي أخلاقاً كريمة يعاشر بها الناس فيحبه الله تبارك وتعالى.

فهذا التنوع في القناعات والاختلاف في أداء الأعمال الموصلة إلى الله تعالى رحمة بالعباد كما في الحديث النبوي الشريف (اختلاف أمتي رحمة)، وهنا شقشقة أريد أن أبوح بها لأن مجتمعنا مبتل بها في جميع البلدان وليست خاصة ببلد فقد بلغني أنها موجودة هنا في المملكة وإيران والبحرين ولبنان كما هي موجودة عندنا في العراق وهي عدم التعاطي مع هذا التنوع بإيجابية، بل بحساسية مفرطة وسوء ظن تصل إلى حد التقاطع وتبادل الاتهامات والتسقيط وربما التكفير في بعض الحالات والعياذ بالله، وهذه حالة مرفوضة ولا مبرر لها من سيرة أهل البيت (عليهم السلام) وتعاليمهم وتوقع أصحابها في الكباثر. مع ما فيها من حرمان للأمة

من طاقات فاعلة وحركات مؤثرة.

لقد شبّه رسول الله (ﷺ) أمته بالسفينة التي تتحرك بحركة واحدة نحو ساحل الأمان ولو شاء أحد أن ينفرد برأيه ويخرج من حركة الأمة ويقلع خشبته من السفينة فإن الأمة تغرق فلا بد من حركة تكاملية لعناصر المجتمع يتمم بعضهم دور بعض ويشكل كل واحد المساحة التي يستطيع التحرك فيها، وليست حركة تقاطعية عدائية، أجازنا الله تعالى وإياكم من مضلات الفتن.

## القبس القرآني

١٠٠

## (١) (ولتنظر نفس ما قدمت لغد)

[الحشر: ١٨]

## لنراجع أنفسنا:

قال الله تبارك وتعالى في كتابه العزيز: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ  
وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ، وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ  
نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ [الحشر: ١٨-١٩].

(ولتنظر نفس ما قدمت لغد) هذا الغد ليس يوماً واحداً وإنما هو زمان واسع  
فسيح يبدأ من موت الإنسان ولا ينتهي عند عرصات القيامة والحساب بل هم فيها  
خالدون: فريق في الجنة وفريق في السعير نعوذ بالله.

فالله تبارك وتعالى يدعونا في هذه الآية إلى أن نراجع أنفسنا وننظر ماذا  
قدمنا لهذا الغد المجهول العصيب الذي فيه أهوال وصعوبات لا يعلمها إلا هو

(١) في يوم الجمعة ٢٧/ذو القعدة/١٤٣١ هـ الموافق ٢٠١٠/١١/٥ م أقدم سماحة الشيخ (دام ظله  
الشريف) على خطوة تاريخية مباركة وغير مسبقة -على الأقل في العقود القريبة المنصرمة-  
فقد أقام سماحته أول صلاة جمعة في مكة المكرمة في مقر إقامته، وقد ألقى سماحته خطبتي  
صلاة الجمعة مرتدياً ثوب إحرامه حيث أعاد إلى الأذهان تلك الأجواء التي عاشها المؤمنون في  
العراق أيام إقامة صلاة الجمعة في مسجد الكوفة المعظم من قبل السيد الشهيد الصدر الثاني  
(قَلْبِي) وبكى فيها (دام ظله) وأبكى العيون لأكثر من مرة لما تضمنته الخطبة من مواعظ. وما في  
المتن الخطبة الأولى منها.

تبارك وتعالى، لا نعرف نحن عنه شيئاً ولا نعرف ما معنى أن ننظر لهذا الغد حتى نستعد له ونهيب له ما يناسبه، لكن الله تبارك وتعالى هو ولي هذا الغد وملك هذا الغد وخالق هذا الغد بين لنا ما ينفعنا في تلك الحياة وحاشا لله تبارك وتعالى الرحيم الرؤوف بعباده المحسن إليهم أن يتركهم سدى، قال تعالى [وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَآتَقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ] (البقرة: ١٩٧).

### سفر الآخرة:

خذوا مثلاً: سفركم هذا إلى الحج وهو سفر قصير لا تتجاوز مدته الشهر ومعكم إداء يرشدونكم ومتعهدون يتولون إدارة شؤونكم ورفقة وإخوان وجهات توفر لكم الخدمة والمنزل والطعام ومع ذلك فإن أحدكم يستعد له منذ مدة طويلة ويتحسب لكل احتمال ويُعدّ كل ما يحتاجه من دقائق الأمور ويعيد النظر في جهازه خشية أن يكون قد نسي شيئاً.

فكيف بسفر الآخرة الذي لا أمد له ولا مُعين ولا رفيق ولا زاد إلا عملك فإنه قرينك صالحاً كان أو سيئاً والعياذ بالله تعالى وزادك التقوى التي يطلبها الإمام الحسين (عليه السلام) في دعاء يوم عرفة (اللهم اجعلني أخشاك كأني أراك وأسعدني بتقواك ولا تشقني بمعصيتك)<sup>(١)</sup>.

وهذا المستوى الذي يطلبه الإمام الحسين (عليه السلام) ويحثّ على الوصول إليه هو مستوى [اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ] وهو لا يتيسر إلا لعباد الله المخلصين ولكن لا مانع من طلبه والسعي لتحصيله من خلال تطبيق الآية الأخرى [اتَّقُوا اللَّهَ مَا

(١) مفاتيح الجنان: ص ٤١٣.

اَسْتَطَعْتُمْ] فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى تَكْفُلُ لِمَنْ يَعْمَلُ بِمَا يَتَّبِعُ لَهُ أَنْ يُوَفِّقَهُ مَا لَمْ يَكُنْ يَسْتَطِيعُهُ بِلَطْفِهِ وَكَرَمِهِ.

### التقوى حركات وسكنات:

وهذه الفريضة الإلهية التي وفقكم الله تعالى إليها فدعاكم لضيافته والوفود إلى بيته الآمن المحرم هي من أعظم مصاديق التقوى و أوثق الأسباب لتحصيلها بل أن آية [وتزودوا] وردت في سياقها قال تعالى [الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ] (البقرة: ١٩٧).

والتقوى عنوان يتحلل إلى الكثير من الحركات والسكنات: الحركات باتجاه الأعمال الصالحة سواء كانت على نحو الواجبات أو المستحبات وهي أضعاف الأولى، والسكنات أي التوقف إزاء الأعمال غير الصالحة سواء كانت على نحو المحرمات أو المكروهات، وقد حفلت الكتب بتسجيلها جميعاً حتى دقائقها ولا يستطيع أحد استقصائها.

### من حكمة الله تعالى تنوع القابليات:

ومن حكمة الله تعالى ورحمته بعباده أنه نوّع القابليات والقدرات والمؤهلات عند خلقه لتُغطّي كل مساحات عمل الخير ولكي لا يحرم أحد منها، فأعطى للبعض ثروة مالية فهو يتصدق منها ويساعد الفقراء والمحتاجين ويزوج الشباب المعسرين ويحج ويزور ويني المساجد ويشيد المشاريع الخيرية وآخر لم يعطه مالا لكنه أعطاه علماً نافعاً فهو يرشد الناس ويهديهم ويصلح ما فسد من

أمور دينهم وديانهم ويوجههم ويعلمهم أمور دينهم. وآخر لم يُعطَ مالا ولا علماً لكنه أعطى أخلاقاً حسنة فهو يعاشر الناس بالمعروف ويفشي السلام ويتصدق بالكلمات الطيبة، كما ورد في قول النبي (ﷺ) وسلم) لعمه العباس: (يا بني عبد المطلب إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم)<sup>(١)</sup>.

ففرص الطاعة والتقرب إلى الله تعالى متكافئة للجميع لكنها منوعة بحسبهم، روي أن مجموعة من النسوة شكّت إلى رسول الله (ﷺ) تفضيل الرجال عليهن بإعطائهم فرصة الجهاد الذي هو (باب من أبواب الجنة فتحه الله لخاصة أوليائه)<sup>(٢)</sup> - كما وصفه أمير المؤمنين - وسقط عنهن، فأجاب النبي (ﷺ) بأن (جهاد المرأة - حسن التبعل)<sup>(٣)</sup> فالتساوي في فرص التكامل مكفولة للجميع. وكذلك فرصة الحج التي منحت للمستطيعين لم يُحرم منها الفقراء فورد فيهم (صلاة الجمعة حج المساكين)<sup>(٤)</sup>.

وهذه من عدالة الله تبارك وتعالى ومن حكمته لتُملاً كل مساحات عمل الخير بحسب اختلاف إمكانيات الناس وتوجهاتهم، وإذا قال أحد أنه لم يعطني الله شيئاً فليراجع نفسه وسيجد ما يتقرب به وتلقي ما ورد في الحديث الشريف (ما عُبد الله بشيء كالفرائض)<sup>(٥)</sup>.

ونعود إلى ما بدأنا به من قوله تعالى (ولتنظر نفس ما قدمت لغد).

(١) بحار الأنوار: ١٦٩/٧١.

(٢) نهج البلاغة: خطبة ٢٧.

(٣) بحار الأنوار: ١٠٧/١٨.

(٤) بحار الأنوار: ١٩٩/٨٦.

(٥) تحف العقول: ٢٨٦ وفيه (ولا طاعة كأداء الفرائض).

## القبس القرآني

١٠١

(لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا) <sup>(١)</sup> [الملك : ٢]  
تمام حسن العمل بإتقانه والمداومة عليه

## العمل وحده لا يكفي:

أن الأعمال التي يتقرب بها إلى الله تعالى لها مدى واسع يستوعب الخلق كلهم، وهنا نقول أن القيام بالعمل الصالح وحده لا يكفي بل يوجد ما يتممه ويعطيه قيمته وهو أهم من العمل نفسه لأنه بدونه يبقى عملاً فارغاً وشكلياً لا قيمة له، كما ورد في بعض الروايات إن صلاة بعض الناس تُلَف في خرقة يوم القيامة وترمى بها في وجهه، وإنه (كم من صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والظمأ، وكم من قارئ للقرآن والقرآن يلعنه) <sup>(٢)</sup> وما ورد في الحج أن أحد أصحاب الأئمة أعجب بكثرة الحجيج وارتفاع أصواتهم بالتلبية والتكبير والحمد لله تعالى فقال له الإمام (عَلَيْهِ السَّلَامُ): ما أكثر الضجيج وأقل الحجيج.

فالعمل وحده لا يكفي لنيل رضا الله تبارك وتعالى والفوز عنده، بل قد يكون وبالأعلى صاحبه كما ورد في دعاء الإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) في يوم عرفة (إلهي كم طاعة بنيتها، وحالة شيدتها هدم اعتمادادي عليها عدلك بل أقالني منها

(١) الخطبة الثانية لصلاة الجمعة التي أقامها سماحة الشيخ المرجع في مكة المكرمة في يوم الجمعة ٢٧/ذو القعدة ١٤٣١ هـ الموافق ٢٠١٠/١١/٥ م.

(٢) نهج البلاغة: ٤/ من حكمه (عَلَيْهِ السَّلَامُ) الحكمة رقم (١٤٥) وفيه (وكم من قائم ليس له من قيامه إلا السهر والعناء، حبذا نوم الأكياس وإفطارهم).

فضلك<sup>(١)</sup> فقد كنت أتصور أن ميزاني ثقيل بالأعمال الصالحة التي قدّمتها وعوّلت عليها لكنها لما عُرضت على الموازين القسط ليوم القيامة وإذا بها لا قيمة لها، بل صرت أهرب وأتبرأ منها وأطلب الإقالة والعفو عنها.

### لنضرب لكم مثالا:

وقد تستغرب ذلك لكنني أقربُ القضية بمثال: فلو أن ملكاً دعا شخصاً حقيراً للقاءه وضيافته فلبى الدعوة وكان الملك مقبلاً عليه وهياً له كل أسباب التكريم والجوائز الثمينة لكن المدعو كان مُعرضاً عنه ولا يلتفت إليه ومتشاغلاً بأمور أخرى، ألا تعد هذه إساءة في الأدب مع الملك ويعاقب عليها؟ فالصلاة دعوة للقاء الله تبارك وتعالى ومناجاة معه فإذا كان المصلي مشغولاً عن ربه وشارد الذهن عن صلاته فهو كهذا الشخص مع حقارة قدره أمام ملك الملوك فماذا سيكون جزاؤه؟ فهذا هو حال صلاتنا التي هي أهم العبادات وعمود الدين فكيف نرجوا الثواب عليها؟ إلا بلطف الله تعالى وكرمه وفضله وصفحه.

### اقتران العمل بتحسينه:

فلا بد أن يقترن العمل بأمرين لينتج الغرض المطلوب وهما:  
الأول: تحسين العمل، قال تعالى [الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيُبْلُوَكُمْ  
أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا] (الملك: ٢) فليس المهم كثرة العمل وإنما حسنه، وقد حثت آيات كثيرة على حُسن العمل وإن القبول بحسب الإحسان في العمل. قال تعالى

(١) البحار: ج ٩٥ ص ٢٢٥.

[إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ] (الأعراف: ٥٦) [إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا] (الكهف: ٣٠).

## كيف يمكن تحسن العمل؟

وإحسان العمل يتحقق بجملة أمور:

منها: إخلاص النية لله تبارك وتعالى والإتيان بالعمل لنيل رضاه وليس لأي هدف آخر، فهذا الحج قد يأتي به شخص للمباهاة أو للرياء وليقال له (حاج فلان) أو للسياحة والاطلاع على تلك المشاهد المقدسة وغيرها من النوايا غير المخلصة، فهذا لا يكون عملاً مقرباً إلى الله تعالى وإن كان الحاج لا يحرم الأجر مطلقاً مهما كانت نيته لكن قد يكون أجره في الدنيا كما ورد في بعض الروايات. ومنها: إتقان الأحكام الشرعية للعمل وحفظ حدوده، فللحج أحكام وتفصيل لا بد من معرفتها وأداء العمل بشروطه لأن الإخلال بها إخلال بالعمل نفسه وقد يقع باطلاً، لذا لا بد من اختيار المرشدين العارفين الورعين والآخذ منهم ومتابعتهم وسؤالهم عن دقائق الأمور، فالعمل التام لا بد أن يقترن بالعلم والإخلاص، ورد في الحديث الشريف (الناس كلهم هلكى إلا العالمون، والعالمون كلهم هلكى إلا العاملون، والعالمون كلهم هلكى إلا المخلصون، والمخلصون على خطرٍ عظيم)<sup>(١)</sup>.

ومنها: الالتفات إلى أسرار العمل ومعانيه وحقائقه، فإن وراء هذه الأعمال الجوارحية حقائق هي المطلوبة من العمل وليس هذه الحركات الشكلية،

(١) جامع السعادات: ٢٢٠/١.

كالأمثال التي تُضرب وتراد منها الحقيقة التي صورت على شكل هذا المثل،  
وكالرؤيا الصادقة في المنام التي لها حقيقة تؤول إليها الرؤيا وترجع إليها لذا  
سميت تأويل الأحلام فمثلاً ملك مصر رأى في المنام سبع بقرات سمان يأكلهن  
سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وآخر يابسات وكانت حقيقة هذه الرؤيا ما  
فسرها به يوسف الصديق (عليه السلام).

فيحسن التعرف إلى الأسرار المعنوية لمناسك الحج والأغراض المقصودة  
من حر كاته وأفعاله وهي على مستويات وتحتاج إلى بحث مفصّل كالذي ورد في  
رواية الإمام السجاد (عليه السلام) مع الشبلي<sup>(١)</sup>.

### المداممة على العمل:

الثاني: المداومة على العمل وحفظه ومواصلته، ولا نعني بهذا الأمر تكرار  
الحج لأن هذا غير متيسّر إلا نادراً فللمداومة أنحاء عديدة ربما نتعرض لشرحها  
في خطبة مستقلة بإذن الله تعالى<sup>(٢)</sup>.

لكننا نريد الإشارة هنا إلى أن الإنسان قد يوفّق في مثل هذه المواسم  
الروحية الخالصة إلى أعمال إضافية لم يكن معتاداً عليها فيؤديها بسبب ارتفاع  
الهمة للطاعة والأجواء المشجّعة ومصاحبة المؤمنين الصالحين والتعلم منهم  
كصلاة الليل أو تلاوة القرآن (الذي يستحب ختمه في رحلة الحج) أو صلاة

(١) راجعها في رسالة مناسك الحج لسماحة الشيخ، صفحة ٢٤٤ الطبعة الثالثة.

(٢) تجد الخطبة في كتاب خطاب المرحلة ج ٥ ص ٤٠٦، بعنوان: كيفية إدامة حالة الطاعة

جعفر الطيار التي كان السلف الصالح يهتم بها ويواظب عليها، أو الصلاة في أوقاتها ومنها صلاة الصبح وصلاة الجماعة والاستماع إلى التوجيهات الدينية وغيرها، فالمطلوب منه أن يستمر على هذا التقدم ويحافظ على هذا الانتصار الذي حققه على النفس الأمارة بالسوء فيواظب على هذه الأعمال التي وُقِّق إليها وذاق حلاوة أدائها.

وهكذا ينبغي للمؤمن أن يحافظ على كل المكاسب التي يحققها في جهاده مع نفسه مما يُوقِّق له في الأزمنة الشريفة - كشهر رمضان - أو الأمانة الشريفة أو المواسم المباركة كالحج.

لاحظوا ما ورد في من حفظ سورة من القرآن الكريم أو آية ثم نسيها وهي عدة روايات معتبرة منها صحيحة أبي بصير قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): (من نسي سورة من القرآن الكريم مثلت له في صورة حسنة ودرجة رفيعة في الجنة فإذا رآها قال: ما أنتِ فما أحسنك ليتك لي؟ فتقول: أما تعرفني أنا سورة كذا وكذا ولو لم تنسني رفعتك إلى هذا)<sup>(١)</sup>.

ومن المداومة على العمل إدامه آثاره كالانتهاء عن الفحشاء والمنكر بالنسبة للصلاة قال تعالى [إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ] (العنكبوت: ٤٥) فيجعل المؤمن صلاته نصب عينيه ويتذكرها دائماً لتردعه عن الهم بأي معصية أو منكر، فهذه مداومة على الصلاة، وقد وعد الله تعالى بأن (الحاج لا يزال عليه نور الحج ما لم يلمّ بذنب)<sup>(٢)</sup>.

(١) أصول الكافي: كتاب فضل القرآن، باب (من حفظ القرآن ثم نسيه).

(٢) وسائل الشيعة: كتاب الحج، أبواب وجوب الحج وشرائطه، باب ٣٨، ح ١٤.

(وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة)<sup>(١)</sup> [يونس : ٦١]

### لنستشعر الرقابة الإلهية

غالباً ما يدفع الشعور بالمراقبة من قبل الغير بالإنسان إلى سلوك معين مختلف عن سلوكه لو لم يكن يشعر بكونه مراقباً، وهذا أمر واضح وله عدة أمثلة وتطبيقات في الواقع، فالإنسان يفعل في السر أموراً يخشى ويخجل من فعلها في العلن، ولو علم حينها أنه مراقب لما فعلها بكل تأكيد، فسائق السيارة مثلاً حين يواجه إشارة المرور في طريقه ولا يجد أثراً لشرطي المرور فإنه يتجاوز الإشارة الحمراء دون تردد، لكنه لو كان يعلم بأن هناك كاميرات خفية تقوم برصده وأن هناك من يراقبه لما أقدم على تجاوز حدوده في الشارع، وهكذا كثير من أفعال الإنسان التي يقوم بها في السر وهو في غفلة عن يراقبه فيها.

وأوضح مصاديق ذلك وأشدها غفلة وخسارة هي عدم الشعور بكون الله تعالى رقيباً عليه، فتجد الإنسان قد يؤمن نظرياً بأن الله تبارك وتعالى يراه [وَمَا يَعزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مَّثَقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ] (يونس: ٦١) لكن من حيث التطبيق لا تجد هذا الاعتقاد منعكساً على أفعاله،

(١) يوم الاثنين ٢/ذو الحجة الموافق ٢٠١٠/١١/٨ زار وفد من إحدى حملات الكرازة الشريفة في بغداد مقر بعثة سماحة الشيخ (دام ظله) في مدينة مكة المكرمة، وألقى مرشد الحملة كلمة بهذه المناسبة وطلب من سماحة الشيخ كلمة إرشادية فاستجاب (دام ظله) لطلبهم وألقى هذه الكلمة فيهم.

وهو علامة على أن إيمانه لم يكن واقعياً، وإلا لو كان كذلك لظهر أثر واقعية الإيمان في فعله.

وقد أشارت بعض نصوص الأدعية الشريفة إلى هذه المفارقة، فمن ذلك قول الإمام الحسين (عليه السلام) يوم عرفة: (يا من سترني من الآباء والأمهات أن يزجروني، ومن العشائر والإخوان أن يعيروني، ومن السلاطين أن يعاقبوني، ولو اطلعوا يا مولاي على ما اطلعت عليه مني إذن ما أنظروني، ولرفضوني وقطعوني)<sup>(١)</sup>.

ومنه قول الإمام السجاد (عليه السلام) في دعاء أبي حمزة: (فلو اطلع اليوم على ذنبي أحد غيري ما فعلته، ولو خفت تعجيل العقوبة لاجتنبته، لا لأنك أهون الناظرين إلي وأخف المطلعين عليّ، بل لأنك يا رب خير الساترين وأحكم الحاكمين، وأكرم الأكرمين، ستار العيوب، غفار الذنوب، علام الغيوب، تستر الذنب بكرمك، وتؤخر العقوبة بحلمك، فلك الحمد على حلمك بعد علمك، وعلى عفوك بعد قدرتك)<sup>(٢)</sup>.

### من مصاديق الغفلة:

ومن مصاديق ذلك أيضاً الغفلة عن الموت مع الاعتقاد به يقيناً، حتى قال أمير المؤمنين (عليه السلام): (ما رأيت يقيناً أشبه بشك من الموت)<sup>(٣)</sup>، فنحن نؤمن بأن

(١) مفاتيح الجنان: ص ٣١١

(٢) السابق: ص ٢٢٤

(٣) بحار الأنوار: ٢٤٦/٧٥.

الموت حق، وأنه لا بد أن يختطفنا في أية لحظة من لحظات العمر، ولكن كم واحد منا يؤمن بذلك عملياً، بمعنى أنه استعد له وتهيأ وأدى ما عليه واجتنب كل ما حرم الله عز وجل، والحال أنك تجد العكس من ذلك، فالكثير منا يعمل وكأنه سيظل خالداً في هذه الدنيا.

### الغفلة عن إمام الزمان (عجل الله فرجه):

ومن مصاديق الغفلة والتصرف بخلاف وجود المراقبة ما ذكرته الرواية الشريفة: (والله إن صاحب هذا الأمر ليحضر الموسم كل سنة يرى الناس ويعرفهم ويرونه ولا يعرفونه)<sup>(١)</sup> وهي رواية موجودة وصحيحة، إذن نحن بمرأى من الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف، فمن يستشعر الخجل والحياء من فعل أمر أمام الناس علناً في حين يفعله في السر، مثل هذا الإنسان كيف به إذا اعتقد أن إمامه يراه دائماً، بالتأكيد إن ذلك سيدفعه إلى أن يكون أكثر مراقبة لنفسه في تعاملاته وتصرفاته، وبطبيعة الحال إن مثل هذه الأحاديث حين يمر بها الإنسان ويستشعر كل هذه الكاميرات التي تراقبه فإنه لن يتعامل مع الآخرين وكأنه في مغالبة على الدنيا، وسعي إلى الحصول على الغنائم والمكاسب الدنيوية، بل يستشعر مسؤوليته أكثر، ويحاسب نفسه أكثر، لأننا لن نُترك سدىً وليس الأمر منتهياً، صحيح أن حلم الله تبارك وتعالى طويل لكنه يؤجلهم إلى يوم [لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا] (الكهف: ٤٩).

نسأل الله تبارك وتعالى أن يعيننا على طاعته وأن ينقذنا من الغفلة وأن نكون

ذاكرين لله تبارك وتعالى ولإمامنا عليه السلام الشريف، والحمد لله رب العالمين وصلى  
الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

## (فاعلم أنه لا إله إلا الله) (١)

### نبذ الآلهة من دون الله تعالى

[محمد : ١٩]

بسم الله الرحمن الرحيم

### ما المراد من رمي الجمرات؟

من مناسك الحج رمي الجمرات الثلاث في منى بالحصى، وقد ورد في الروايات عن أصلها بأن خليل الرحمن إبراهيم (عليه السلام) لما أخذ ولده إسماعيل لذبحه امتثالاً لأمر الله تبارك وتعالى اعترضه إبليس في الموضع الأول ليرده ويخذله ويحرك عواطفه حتى يتراجع عن تنفيذ ما أمر الله تعالى فرماه إبراهيم (عليه السلام) بالحصى فانهزم اللعين، ثم تمثل له مرة أخرى في الموضع الثاني والثالث وكان رد إبراهيم (عليه السلام) الحازم هو هو فتحوّل إلى منسك يؤديه الموحدون لرمي الشياطين.

وقد يثار هنا إشكال حاصله إن رمي الجمرات في الإسلام تعبير عن نبذ أصنام الجاهلية ورفض عبادتها، وقد كان هذا العمل مبرراً وله وجه في صدر الإسلام حيث كانوا حديثي عهد بالجاهلية فأراد لهم الشارع المقدس قلع عبادة الأصنام بالكلية من داخل نفوسهم وترسيخ رفضها، أما اليوم حيث لم تعد توجد

(( ١ ) أقام سماحة الشيخ (دام ظله) صلاة الجمعة الثانية في مقر إقامته في مكة المكرمة يوم ٦/ذو

الحجة/١٤٣١ المصادف ١٢/١١/٢٠١٠، وما في المتن هو الخطبة الثانية منها.

أصنام تُعبد من دون الله تعالى فلا يبقى معنى لأداء هذا المنسك. وأجوبة هذا الإشكال عديدة نريد أن نجعل واحداً منها محور خطبتنا.

### الاصنام التي تعبد من دون الله تعالى:

وهو أن الأصنام والآلهة التي تُعبد من دون الله تعالى عديدة ومتنوعة وباقية ما بقي البشر إلا أن يملأ الله تبارك وتعالى الأرض قسطاً وعدلاً ويبسط كلمة التوحيد على أرجاء الأرض، ولئن زال أحد أشكالها وهي الأصنام والأوثان التي تُصنع من الحجر والخشب وربما التمر ثم تعبد من دون الله وتقدس وتقدم لها النذور والقرابين، فإن أشكالاً أخرى من الأصنام تعبد وتقدس وهي أشد وطناً على الإنسان وأكثر إذلالاً للبشرية وتكلف الناس أضعاف ما كانت تكلفهم تلك الأصنام، وأولها هوى النفس وشهواتها وأطماعها وغرائزها التي يطيعها الإنسان ويسعى لتنفيذ إرادتها ويخضع لسلطانها وإن كان في ذلك معصية الله تبارك وتعالى، فأصبح الهوى إلهاً يعبد من دون الله تعالى لأن معنى العبادة هي الطاعة والانقياد والاستسلام بحيث ورد عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: (من أصغى إلى ناطق فقد عبده فإن كان الناطق يؤدي عن الله عز وجل فقد عبد الله وإن كان الناطق يؤدي عن الشيطان فقد عبد الشيطان)<sup>(١)</sup>، وقد سمي الله تبارك وتعالى الهوى إلهاً في قوله تعالى [أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ...] (الجاثية: ٢٣)، كم من تاجر تعرض له معاملة مشبوهة ينهى عنها الشرع المقدس لكن ربحها يسيل لعبه ويشير طمعه فيرتكبها؟ وكم من امرأة تعلم أن السفور حرام وإن إبداء

(١) الكافي: ج ٦ ص ٤٣٤.

مفاتها أمام الرجل الأجنبي معصية فتفعله إرضاءً لغرائزها؟ وكم من شاب يعلم أن الصلاة واجبة عليه وأنها عمود الدين وهوية المسلم لكنه يتركها كسلاً وحباً للراحة والدعة؟ أليس كل هؤلاء وأمثالهم قد نصبوا من أهوائهم وأنفسهم الأمانة بالسوء أصناماً وآلهة يعبدونها ويطيعونها من دون الله تبارك وتعالى؟

### التشريعات البشرية:

وثاني الآلهة التشريعات التي تُسنُّها عقول الناس القاصرة وبحسب ما يقدرونها من مصالح بنظرهم الضيق ويتعبدون بها ويلتزمون بها ويعاقبون على مخالفتها من دون الرجوع إلى شريعة الله تبارك وتعالى تحت عناوين مختلفة كالديمقراطية والحرية وحقوق الإنسان وحاكمة الشعب والقوانين والدساتير الوضعية وغيرها، وهذا الوضع قائم حتى في الدول التي تصف نفسها بأنها إسلامية، وقد ذكر الله تبارك وتعالى هذه الآلهة وهذه الأرباب في قوله تعالى: [اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ] (التوبة: ٣١) وورد في تفسيرها عن الإمام الصادق (عليه السلام) قوله: (أما والله ما دعوهم إلى عبادة أنفسهم، ولو دعوهم ما أجابوهم، ولكن أحلوا لهم حراماً، وحرّموا عليهم حلالاً فعبدوهم من حيث لا يشعرون)<sup>(١)</sup> فانطبق عليهم اتخاذهم أرباباً من دون الله تعالى لأنهم شرّعوا لهم من أنفسهم قوانين تحكّمهم من دون الرجوع إلى الشريعة الإلهية.

(١) الكافي: ج ٦ ص ٤٣٤.

وهذه الرواية تنطبق على كثير مما يجري في مجتمعاتنا كـبعض القوانين التي يسنّها البرلمان، والسنينة العشائرية التي يضعها ناس جاهلون بأحكام الشريعة وتفصيلها فتأتي مليئة بالمظالم والفساد والانحراف.

### آلهة الأعراف والتقاليد غير الصحيحة:

ومن الآلهة الأخرى الأعراف والتقاليد الاجتماعية التي يضعها الناس ثم يعطونها قداسة وأهمية بحيث لا يستطيع الفرد الخروج عنها خشية العار والفضيحة والضغط الاجتماعي ونحوها.

فبعض السادة التزموا بعدم تزوج بناتهم العلويات إلا من سادة ولو أدى ذلك إلى عنوستهن وحرمانهن من هذا الحق المقدس رغم إقدام الشباب الأكفاء على خطبتهن، أو إلزامهن التزويج من أبن العم فلو نهى عليها ابن عمها فلا يحق لأي أحدٍ خطبتها ولو أعرض عنها ابن العم ولم يتزوجها.

أو المغالاة في المهور الذي حرم الكثير من الشباب عن التفكير في الزواج لعدم قدرته على هذه التكاليف الباهظة، وكل هذه الأعراف والتقاليد مخالفة للشريعة ولوصايا النبي (ﷺ) الذي روي عنه: (إن جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفسادٌ كبير) <sup>(١)</sup> وقوله (ﷺ): (النكاح سنتي فمن لم يعمل بسنتي فليس مني) <sup>(٢)</sup> ومثلهم بعض النساء اللواتي يلزمن أزواجهن بتوفير احتياجات باهظة كلبس بدلة جديدة في كل مناسبة أو

(١) عوالي اللئالي: ج ٣ ص ٣٤٠.

(٢) كنز العمال: ج ١٦ ص ٢٧٢.

تغيير أثاث بيت في كل سنة أو موسم مما يكلف الزوج كثيراً وقد يضطر إلى الإغماض عن مصدر الأموال الواردة إليه ليلبي رغبة امرأته، فهؤلاء يعبدون هذه الأعراف والتقاليد ويقدمونها من دون الله تعالى.

### الحكام والطواغيت:

ومن تلك الآلهة الحكام والطواغيت الذين يريدون من شعوبهم الاستسلام لهم وتنفيذ أطماعهم ونزواتهم والتضحية من أجل إدامة حكمهم وتقديم الشعب كله قرابين لهم، وهكذا سائر النظم الاقتصادية والسياسية والقوانين الوضعية المتبعة في المحاكم والكيانات المتنفة كالمصارف وغيرها مما صنعه البشر من دون الرجوع إلى حكم الله تعالى [آللهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ] (يونس: ٥٩).

### كونوا موحدين:

هذه نماذج من الآلهة التي تُعبد وتطاع من دون الله تعالى ومن الأصنام التي لا تملك لنفسها ضراً ولا نفعاً ولكنها تُقدّس وتُتخذ أرباباً للبشر الذين يصنعونها بأيديهم ويعلمون أنها زائفة [يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاستَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لَا يَسْتَفِيدُوهُ مِنْهُ ضَعْفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ] (الحج: ٧٣)، يسخر الناس اليوم من عقول أسلافهم في الجاهلية ويسخفونهم حيث اتخذوا آلهة من أصنام يصنعونها بأيديهم وهامهم اليوم يفعلون فعلتهم وينقادون لأصنام وآلهة من صنعهم وإن كان من نوع آخر.

هذه الحقيقة التي يدعها الله تبارك وتعالى بها الناس في قوله تعالى: [وَمَا

يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ [يوسف: ١٠٦].

### موعظة الشيخ جعفر الشوشتري:

نُقل عن الواعظ الشهير الشيخ جعفر الشوشتري (توفي عام ١٣٠٣ هجرية) صاحب كتاب الخصائص الحسينية وقد كان له منبر وعظ في الصحن الحيدري الشريف يحضره المجتهدون والعلماء والفضلاء وعامة الناس، نُقل عنه أنه قال يوماً: أيها الناس أن مئة وأربع وعشرين ألف نبي بعثهم الله تعالى كلهم يقولون للناس: (كونوا موحدين وأنا أقول كونوا مشركين) فتعجب الناس من كلامه ولم يفهموا مرامه فأمهلهم حتى قال لهم: (إنكم أصبحتم كلكم للدنيا وأنا أدعوكم إلى أن تجعلوا لله نصيباً من حياتكم فأشركوه في أعمالكم).

### خسرت صفقة عبد لم تجعل له من حبك نصيباً:

وستجدون في دعاء الإمام الحسين (عليه السلام) يوم عرفة: (إلهي عميت عينٌ لا تراك عليها رقيباً، وخسرت صفقة عبد لم تجعل له من حبك نصيباً)<sup>(١)</sup> وهذه هي الخسارة الحقيقية أن لا يخلص الإنسان عمله لله تبارك وتعالى ويوحّد هدفه في هذه الحياة ليحمله رضا الله تبارك وتعالى، ولا يُثبت على الصراط المستقيم وبيته يمنة ويسرة بين هذه الآلهة والأرباب المصطنعة.

إن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بُعث ليحرّر الإنسان من هذه التبعية المقيتة التي تُكبّله بقيود وأغلال وآصار تعيقه عن التكامل ونيل رضوان الله تبارك وتعالى

[الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ  
وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ  
عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ  
وَعَزَّزُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ]  
(الأعراف: ١٥٧)، فلا يحق للإنسان الحر أن يعيد إلى عنقه تلك الأغلال ويحيط  
نفسه بتلك القيود.

وهذه بعض معاني رمي الجمرات أن نرفض كل الآلهة التي تُعبد وتُطاع  
والأرباب التي تتخذ من دون الله تبارك وتعالى.

## القبس القرآني

١٠٤

(أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمناً وهم لا يفتنون)<sup>(١)</sup>  
أسباب البلاء

[العنكبوت : ٢]

يوم العيد من أيام الله تعالى التي جاء فيها قوله تعالى [وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ] (إبراهيم: ٥) وهي من أيام قادة الإسلام العظام رسول الله (ﷺ) وسلم) والأئمة الطاهرين (عليهم السلام)؛ لذا كان من أعمال الأعياد قراءة دعاء الندبة الذي يستذكر الأنبياء والرسول والأئمة ثم يكرس الجزء الأكبر لإمام العصر بقية الله الأعظم (عجل الله فرجه) لئذ كرنا بأن العيد الحقيقي إنما هو حينما تملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً [وَيَوْمَئِذٍ يُفْرِحُ الْمُؤْمِنُونَ، بَنَصْرَ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ] (الروم: ٤-٥).

وليدكرنا أيضاً أن لا فرح ولا سرور والمصائب تتوالى على أولياء الله تبارك وتعالى وأهل طاعته والتمسكين بحبل الله المتين، وها نحن في العراق نعيش عنناً وشدة وكوارث يندر أن يمر بها شعب آخر من قطع الرؤوس والتمثيل بالأجساد وقتل النساء والأطفال وتدمير دور العبادة والمدارس وتخريب البلاد وكل مظاهر الحياة المتحضرة.

لذا يحسن بالمؤمنين أن يستذكروا إمامهم المنتظر دوماً وخصوصاً بالعيد،

(١) خطبتنا صلاة عيد الفطر المبارك لعام ١٤٢٧ الموافق ٢٤/١٠/٢٠٠٦ وقد اعتاد سماحته إقامتها

وتحدث اليوم عن واحدة من أطافه ورعايته للأمة وهو دفع البلاء عنهم وتخفيف آلامهم وحمايتهم، روى أبو نصر الخادم قال: دخلت على صاحب الزمان وهو في المهد فقال: أتعرفني؟ قلت: نعم، أنت سيدي وابن سيدي. فقال: ليس عن هذا سألتك. فقلت: فسّر لي قال: أنا خاتم الأوصياء وبي يرفع الله البلاء عن أهلي وشيعتي<sup>(١)</sup>.

وورد في رسالته الشريفة إلى الشيخ المفيد (قَدِّسَ سِرُّهُ): (نحن وإن كنا ناوين بمكاننا النائي عن مساكن الظالمين، حسب الذي أرانا الله تعالى لنا من الصلاح ولشيعتنا المؤمنين في ذلك ما دامت دولة الدنيا للفاسقين، فإننا نحيط علماً بأنبائكم ولا يعزب عنا شيء من أخباركم) (إنا غيرُ مهملين لمراعاتكم ولا ناسين لذكركم، ولولا ذلك لنزل بكم اللاؤاء واصطلمكم الأعداء)<sup>(٢)</sup>.

### السبب الأول للبلاء :

وحيثما نتساءل عن سبب كل هذا البلاء الذي يحل بالشعب العراقي فسيكون بعضها عائداً إلى نفس الناس.

روي عن أبي عبد الله (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قال (أما أنه ليس من عرقٍ يضرب ولا نكبة ولا صداع ولا مرضٍ إلا بذنب، وذلك قول الله عز وجل في كتابه [وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ] (الشورى: ٣٠) ثم قال: وما يعفو الله أكثر مما يأخذ به) وعن علي بن الحسين (عَلَيْهِمَا السَّلَامُ) قال: (نعم الوجع الحمى يعطي

((١) الخرائج والجرائح: ج ١/ ص ٤٥٨.

((٢) الاحتجاج للطبرسي: ج ٢/ ص ٣٢٣.

كل عضو قسطه من البلاء ولا خير فيمن لا يتلى<sup>(١)</sup>.

وقد يشاهد الناس صنوفاً من البلاءات لم يكن يعهدوها من قبل وهذا ما يشرحه الحديث المروي عن الإمام الرضا (عليه السلام) قال (كلما أحدث العباد من الذنوب ما لم يكونوا يعملون، أحدث لهم من البلاء ما لم يكونوا يعرفون)<sup>(٢)</sup>. وهذا الأمر يتطلب مراجعة مستمرة للذات ومراقبة للعمل وعرضاً متواصلاً للسلوك على الشريعة لتجنب الخطأ والزلل فنزيل أصل البلاء وسبب استحقاقه، وفي ذلك قال أمير المؤمنين (أن الله يتلى عباده عند الأعمال السيئة بنقص الثمرات وحبس البركات وإغلاق خزائن الخيرات ليتوب تائب ويقلع مقلع ويتذكر متذكر ويزدجر مزدجر)

وليقدر الإنسان النعم الإلهية فيعرف قدرها حينما يفقدها ليحاول استغلالها في المستقبل فيما فيه رضا الله سبحانه، لكن الله يخبر عن غالب البشر أنهم حينما تعود إليهم حالة الرخاء والدعة فإنهم ينسون حالة الحاجة والاضطرار [فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ] (العنكبوت: ٦٥) وقال تعالى [وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ، فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ، فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ، أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ]

((١) مكارم الأخلاق: للطبرسي: ص ٣٥٧

((٢) الآمال للشيخ الطوسي: ص ٢٢٨

(التوبة: ٧٥-٧٨).

وحينئذٍ إذا كانت النعمة سبباً لشقاء الإنسان سيكون من المناسب بحال الإنسان الرضا بحياة البلاء والمشقة وبهذا نفسر كلام الإمام الصادق (عليه السلام) (لن تكونوا مؤمنين حتى تكونوا مؤتمنين وحتى تعدوا نعمة الرخاء مصيبة، وذلك أن الصبر على البلاء أفضل من الغفلة عند الرخاء)<sup>(١)</sup> وورد (إذا رأيت ربك يوالي عليك البلاء فاشكره) وورد (إذا رأيت الله يتابع عليك البلاء فقد أيقظك) لكن الأحاديث الشريفة دعتنا إلى عدم تمني البلاء وأن نسال الله العافية ففي الحديث (سلوا الله العافية من جهد البلاء، فإن في جهد البلاء ذهاب الدين)<sup>(٢)</sup>.

ويلفت الإمام المهدي (عليه السلام) نظرنا إلى بعض هذه الأسباب، ويعطينا الوصفات العلاجية الدقيقة في رسالته إلى الشيخ المفيد (قلبي) ومما جاء فيها عن سبب الذل والهوان (ولا يعزب عنا شيء من أخباركم، ومعرفتنا بالذل الذي أصابكم مذجح كثير منكم إلى ما كان السلف الصالح عنه شاسعاً، ونبذوا العهد المأخوذ وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون) (ولو أن أشياءنا وفقهم الله لطاعته على اجتماع من القلوب في الوفاء بالعهد عليهم لما تأخر عنهم اليمن بلقائنا، ولتعجلت لهم السعادة بمشاهدتنا على حق المعرفة وصدقها منهم بنا، فما يحبسنا عنهم إلا ما يتصل بنا مما نكرهه ولا نؤثره منهم).

ومن الحلول التي وردت في كلام الإمام (عليه السلام) (فاتقوا الله جل جلاله

((١) صفات الشيعة: ص ٢٤))

((٢) عيون الحكم والمواعظ: ١٣٥-١٧٥.

وظاهرونا على انتياشكم من فتنة قد أنافت عليكم) (اعتصموا بالتقية من شب نار الجاهلية) ولا تعني التقية الانزواء والانكماش وترك العمل، وإنما تعني العمل بالممكن حتى تفتح فرص الأزيد (فليعمل كل امرئ منكم بما يقربُ به من محبتنا، ويتجنب ما يدينه من كراهتنا وسخطنا، فإن أمرنا بغتة فجأة حين لا تنفعه توبة ولا ينجيه من عقابنا ندم على حوبة) (إنه من اتقى ربه من إخوانك في الدين واخرج مما عليه إلى مستحقه، كان آمناً من الفتنة المبطلّة ومحنها المظلمة المضلة، ومن بخل منهم بما أعاده الله من نعمته على من أمره الله بصلته، فإنه يكون خاسراً بذلك لأولاه وآخرته).

ولولا لطف الإمام ورعايته لكانت المحنة اشد ولما بقيت لأتباع أهل البيت باقية قال (عليه السلام) (لأننا من وراء حفظهم بالدعاء الذي لا يحجب عن ملك الأرض والسماء، فليطمئن بذلك من أوليائنا القلوب، وليثقوا بالكفاية منه، وان راعتهم بهم الخطوب، والعاقبة بجميل صنع الله سبحانه تكون حميدة لهم ما اجتنبوا المنهي عنه من الذنوب)<sup>(١)</sup>.

### السبب الثاني للبلاء:

وهذا الجواب ليس كافياً طبعاً لمثل المعصومين (عليهم السلام) لذا فهناك سبب آخر للبلاء، روي عن حمران بن أعين انه قال للإمام الباقر (عليه السلام) (جُعِلْتُ فداك، قول الله عز وجل [وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ] أَرَأَيْتَ مَا أَصَابَ النَّبِيَّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وأمير المؤمنين (عليه السلام) وأهل بيته من المصائب بذنب؟ قال: يا

(١) الاحتجاج: ج ٢/ص ٣٢٣-٣٢٥.

حمران أصابهم ما أصابهم من غير ذنب، ولكن يطول عليهم بالمصائب ليأجرهم عليها من غير ذنب<sup>(١)</sup> وهذا النوع من البلاء يشمل شيعتهم أيضاً روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) قوله (بنا يبدأ البلاء ثم بكم وبنا يبدأ الرخاء ثم بكم)<sup>(٢)</sup> وعن النبي (صلى الله عليه وسلم) (ما أكرم الله رجلاً إلا زاد عليه البلاء)<sup>(٣)</sup>.

وعن الإمام الصادق (عليه السلام) قال (سئل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من أشد الناس بلاءاً في الدنيا؟ فقال: النبيون ثم الأمثل فالأمثل، وبيتلى المؤمن بعد على قدر إيمانه وحسن أعماله فمن صحَّ إيمانه وحسن عمله اشتد بلاؤه، ومن سخط إيمانه وضعف عمله قل بلاؤه)<sup>(٤)</sup>.

وهذا البلاء على أهل البيت سلام الله عليهم وشيعتهم منصبٌ عليهم منذ وفاة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حيث جمع أهل بيته وقال لهم (أنتم المستضعفون بعدي) وازداد البلاء بعد استشهاد أمير المؤمنين (عليه السلام)، فتنقل كتب التاريخ أنه اشتد البلاء في الأمصار كلها على شيعة علي وأهل بيته (عليه السلام) وكان أشد الناس بلية أهل الكوفة لكثرة من بها من الشيعة، واستعمل (معاوية) عليهم زياداً الذي ألحقه بنسبه وضم إليه البصرة والكوفة وجميع العراقيين، وكان يتتبع الشيعة وهو بهم عالم لأنه كان منهم فقتلهم تحت كل كوكب وحجر ومدبر، وأجلاهم وأخافهم وقطع الأيدي والأرجل منهم وصلبهم على جذوع النخل وسمل أعينهم

(١) مشكاة الأنوار للطبرسي: ٥٠٩.

(٢) الآمالي للشيخ المفيد: ٣٠١.

(٣) النوادر لقطب الدين الراوندي: ١٦٥.

(٤) مشكاة الأنوار: ٥١٥.

وطردهم وشردهم حتى انتزعوا عن العراق، فلم يبق بالعراق أحد مشهور إلا مقتول أو مطلوب أو طريد أو هارب، وكتب معاوية إلى قضاته وولاته في جميع الأرضين والأمصار: (أن لا تجيزا لأحد من شيعة علي بن أبي طالب ولا من أهل بيته ولا من أهل ولايته الذين يرون فضله ويتحدثون بمناقبه شهادة)<sup>(١)</sup>.

ولما حبس المنصور بني الحسن (عليه السلام) وفيهم عبد الله المحض والد محمد النفس الزكية وإبراهيم الذين ثارا على المنصور العباسي في المدينة والعراق للضغط عليهم حتى يسلموهما حبسهم أبو جعفر في محبس ستين ليلة ما يدرون بالليل هم أم بالنهار ولا يعرفون وقت الصلاة إلا بتسبيح علي بن الحسن والد الحسين بن علي صاحب فخ، فضجر عبد الله ضجرةً فقال: يا علي ألا ترى ما نحن فيه من البلاء؟ ألا تطلب إلى ربك عز وجل أن يخرجنا من هذا الضيق والبلاء؟ فسكت عنه طويلاً ثم قال: يا عم إن لنا في الجنة درجة لم نكن لنبلغها إلا بهذه البلية أو بما هو أعظم منها، وإن لأبي جعفر (يقصد المنصور العباسي) في النار موضعاً لم يكن ليبلغه حتى ليبلغ منا مثل هذه البلية أو أعظم منها فإن تشأ أن تصبر فما أوشك فيما أصبنا أن نموت فنستريح من هذا الغم كأن لم يكن منه شيء وإن تشأ أن ندعوا ربنا عز وجل أن يخرجك من هذا الغم ويقصر بأبي جعفر غايته التي له في النار فعلنا؟ قال: لا بل أصبر)<sup>(٢)</sup>.

أيها الأحبة:

(١) كتاب سليم بن قيس: ٣١٦.

(٢) مقاتل الطالبين: ١٣١.

إن ولاية أمير المؤمنين مرتبة شريفة لا تنال إلا بالجهد والبلاء وضبط النفس وتطهير القلب، قال رجل للإمام الباقر (عليه السلام): (والله إنني لأحبكم أهل البيت. قال (عليه السلام): فاتخذ للبلاء جلباباً فوالله إنه لأسرع إلينا وإلى شيعتنا من السيل في الوادي<sup>(١)</sup>). وشرحها بعضهم فقال: جلباباً من العمل الصالح والتقوى تكون لك جنة من الفقر يوم القيامة وقال آخرون- في معنى فليتخذ للبلاء جلباباً-: فليرفض الدنيا وليزهد فيها وليصبر على الفقر، ويدل عليه قول أمير المؤمنين: ومالي لا أرى منهم سيماء الشيعة! فقيل: وما سيماء الشيعة يا أمير المؤمنين؟ قال: خُصصُ البطون من الطوى، يُبسُّ الشفاه من الظمأ، عُمشُ العيون من البكا.

لأن شيعة علي (عليه السلام) أتقياء أنقياء بررة صالحون ولا بد من اختبارات لتكشف معادتهم [أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ، وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ] (العنكبوت: ٢-٣) فإذا اجتازوا هذه الامتحانات بنجاح استحقوا ما أعد الله تعالى لهم في دار الكرامة من فضله التي أشار إليها الله تبارك وتعالى بقوله سبحانه [إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ، جَزَاءُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ] (البينة: ٧-٨) وروى جابر الأنصاري عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) (أن خير البرية هم علي وشيعته) بمعنى التشيع الذي نشير إليه وذكرته الآية في ذيلها.

قال رجل للحسن بن علي (عليه السلام) (إنني من شيعتكم، فقال الحسن بن علي

(١) الآمال للشيخ الطوسي: ١٥٤.

(عَلِيٌّ): يا عبد الله إن كنت لنا في أوامرنا وزواجنا مطيعاً فقد صدقت، وإن كنت بخلاف ذلك فلا تزدد في ذنوبك بدعواك مرتبة شريفة لست من أهلها، لا تقل أنا من شيعتكم ولكن قل أنا من مواليكم ومحبيكم ومعادي أعدائكم وأنت في خير والى خير<sup>(١)</sup>.

وقال رجل للحسين بن علي (عَلِيٌّ): يا ابن رسول الله أنا من شيعتكم قال (عَلِيٌّ): (اتق الله ولا تدعين شيئاً يقول الله لك: كذبت وفجرت في دعواك، إن شيعتنا من سلمت قلوبهم من كل غش ودغل، ولكن قل: أنا من مواليكم ومحبيكم)<sup>(٢)</sup>.

وقد عرف أصحاب الأئمة (عَلِيٌّ) هذه المرتبة الشريفة لولاية أمير المؤمنين (عَلِيٌّ) فبدلوا جهدهم ليكونوا أهلاً لها وكانوا يبكون إذا نسبوا إلى التشيع خشية أن لا يكونوا من أهل هذا الشرف كما حصل لأبي كهمس وابن أبي يعفور وفضيل بن سكرة<sup>(٣)</sup>.

قيل للصادق (عَلِيٌّ): إن عمار الدهني<sup>(٤)</sup> شهد اليوم عند قاضي الكوفة بشهادة فقال له القاضي: قم يا عمار فقد عرفناك، لا تُقبل شهادتك لأنك رافضي، فقام عمار وقد ارتعدت فرائصه واستفرغه البكاء فقال ابن أبي ليلى (القاضي):

(١) مجموعة ورام: ج ٢/ص ١٠٦.

(٢) المصدر السابق.

(٣) معجم رجال الحديث للسيد الخوئي: ج ١٢ / ص ٢٧٦.

(٤) أبو معاوية بن عمار البجلي، وُصف بأنه وجه وكان ثقة في العامة أي عند العامة (معجم

رجال الحديث: ج ١٢: ص ٢٧٤).

أنت رجل من أهل العلم والحديث إن كان يسوؤك أن يقال لك رافضي فتبرأ من  
الرفض وأنت من إخواننا فقال له عمار: يا هذا ما ذهبت والله إلى حيث ذهبت،  
ولكني بكيت عليك وعليّ، أما بكائي على نفسي فنسبني إلى رتبة شريفة لستُ  
من أهلها، زعمتَ أنني رافضي، ويحك حدثني الصادق (عَلَيْهِ السَّلَامُ) أن أول من سمي  
الرافضة السحرة الذين لما شاهدوا آية موسى (عَلَيْهِ السَّلَامُ) في عصاه آمنوا به واتبعوه  
ورفضوا أمر فرعون واستسلموا لكل ما نزل بهم فسامهم فرعون الرافضة لَمَّا  
رفضوا دينه، فالرافضي من رفض كل ما كرهه الله وفعل كل ما أمره الله، وأين في  
الزمان مثل هذا، فإنما بكيت على نفسي خشية أن يطّلع الله على قلبي وقد تقبلت  
هذا الاسم الشريف على نفسي فيعاتبني ربي عز وجل ويقول: يا عمار أكنت  
رافضاً للأباطيل عاملاً للطاعات كما قال لك فيكون ذلك مقصراً بي في الدرجات  
إن سامحني، موجباً لشديد العقاب علي أن ناقشني إلا أن يتداركني مواليّ  
بشفاعتهم، وأما بكائي عليك فلعظم كذبك في تسميتي بغير اسمي وشفقتي  
الشديدة عليك من عذاب الله: أن صرفتَ خير الأسماء الحسان وجعلته من  
أرذلها<sup>(١)</sup>.

وفي ضوء هذا كان أهل المعرفة بحقيقة ولاية أمير المؤمنين ليس فقط  
يصبرون على البلاء وإنما يعتبرونه نعمة تستحق الشكر وقد تقدم في الحديث  
الشريف: (لن تكونوا مؤمنين حتى تعدوا البلاء نعمة والرخاء مصيبة وذلك أن  
الصبر عند البلاء أفضل من الغفلة عند الرخاء).

((١) مجموعة ورام: ج ٢/ص ١٠٦.

وورد فيما أوحى الله تعالى إلى موسى بن عمران (عليه السلام): (يا موسى ما خلقت خلقاً أحب إلي من عبدي المؤمن، وإني إنما أبتليه لما هو خير له، وأعافيه لما هو خير له، وأزوي عنه لما هو خير له، وأعطيه لما هو خير له، وأنا أعلم بما يصلح عليه عبدي، فليصبر على بلائي وليشكر نعمائي، وليرض بقضائي، أكتبه في الصديقين عندي إذا عمل برضاي وأطاع أمري)<sup>(١)</sup>.

وروي أن عيسى (عليه السلام) مر برجل أعمى أبرص مقعد مضروب الجنين بالفالج، وقد تناثر لحمه من الجذام وهو يقول: الحمد لله الذي عافاني مما ابتلى به كثيراً من خلقه، فقال له عيسى (عليه السلام): (يا هذا، وأي شيء من البلاء أراه مصروفاً عنك؟) فقال: يا روح الله، أنا خير ممن لم يجعل الله في قلبه من معرفته، فقال له (صدقت، هات يدك) فناوله يده، فإذا هو أحسن الناس وجهاً، وأفضلهم هيئة، وقد أذهب الله عنه ما كان به، فصحب عيسى (عليه السلام) وتعبد معه<sup>(٢)</sup>.

ومما نسب إلى الإمام الصادق (عليه السلام): فمن صبر كرهاً ولم يشك إلى الخلق أو لم يجزع بهتك ستره فهو من العام ونصيبه ما قال الله عز وجل (وبشر الصابرين) أي بالجنة والمغفرة ومن استقبل البلاء بالرحب وصبر على سكينته ووقار فهو من الخاص ونصيبه قال الله تعالى: [إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ]<sup>(٣)</sup>.

((١) مشكاة الأنوار للطبرسي: ٥١٥

((٢) مسكن الفؤاد للشهيد الثاني: ص ٨٧

((٣) مصباح الشريعة: ص ١٨٥.

### السبب الثالث للبلاء:

وهذا الذي ذكرناه عام لكن هناك مناشئ للبلاء خاصة بالشعب العراقي ومنها أن هذا البلد سيكون قاعدة انطلاق الإمام المهدي (عجل الله فرجه) في حركته العالمية لنشر الحق والعدل وان أهله الكنوز التي هي ليست من الذهب والفضة كما ورد في الحديث، وهم الطليعة الذين سيفتح بهم العالم وهذا الدور العظيم لا يتأهلون له إلا باجتياز عدد من الصعوبات والشدائد ونجاحهم فيها استعداد لأداء تلك الوظيفة الإلهية [أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرَ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ] (البقرة: ٢١٤).

### السبب الرابع للبلاء:

إن ما شهده العراق من تحولات وتغيرات بعد سقوط الصنم الصدامي والانطلاقة المباركة للشيعة في هذا البلد وعلو صوت أهل البيت (عليهم السلام) بعد أن خنقه الطغاة طيلة أربعة عشر قرناً دفع الحاسدين والحاquدين على هذا البيت الطاهر إلى محاولة إسكاته من جديد [أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا] (النساء: ٥٤) وهؤلاء الطغاة يدركون عناصر القوة في صوت الحق إذا انطلق من العراق ويخشون تساقط عروشهم والزائفة.

ومما زاد في تخوفهم حياة الحرية وممارسة الأمة لدورها للتعبير عن آرائها في قياداتها واختيار من تشاء لحكمها مما يعصف بأنظمتهم المستبدة والدكتاتورية

التي تصدر رأي الأمة وتفرض سلطتها بالحديد والنار، فاندفعت القوى الإقليمية لتصدير الإرهاب والسلاح والتكفير إلى هذا البلد الكريم ليخربوه وليكسروا إرادة الأمة ويثنوها عن ممارسة دورها الطبيعي، ودعموا ذلك بإعلام مضلل يشوه الحقائق ويعرضها بشكل مزيف ليُفشلوا هذا النموذج الذي وإن كثرت تحفظاتنا على تفاصيله وعلى الناس الذين تصدوا لقيادته في هذه المرحلة، إلا أن المشروع سائر في الطريق الصحيح وكل ما يحتاجه شيء من الترميم وتصحيح الاغوجاج في السير وهمة المخلصين لممارسة دورهم في إصلاح الخلل والفساد وإفشال مشاريع التخريب بإذن الله تعالى.

لا أريد أن أطيل أكثر من هذا وإن كان الموضوع يستحق لأن خطاباتي وكلماتي المستمرة تبين الكثير من تفاصيل هذا الحديث.  
بارك الله لكم في عيدكم وجعلكم ممن رضي عنهم في شهر رمضان وأعتقه من النار وكتب لهم الفوز بالجنة انه ولي النعم.

## (يوم الفرقان) (١) [الأنفال: ٤١]

### يوم بدر كان فرقانا بين الحق والباطل:

وصف الله تبارك وتعالى يوم بدر بالفرقان في قوله تعالى: [وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّمَيِّزِ الْجَمْعَانِ] (الأنفال: ٤١)؛ لأن النصر الذي من الله به تبارك وتعالى على عباده المؤمنين في معركة بدر كان فيصلاً فرق بين الحق والباطل: الحق المتمثل بعقيدة الإسلام والانقياد لله تبارك وتعالى فيما يأمر وينهى وإقامة نظام الحياة على أساس شريعته المباركة، والباطل المتمثل بعبادة الأهواء وطاعة الطواغيت والانسحاق وراء الشهوات واتخاذ بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله تبارك وتعالى. فأعز الله تبارك وتعالى الحق وجنده ونصرهم وأخزى الباطل وجنده وخذلهم.

ليس ذلك فحسب وإنما كان يوم بدر فرقاناً في تاريخ الإسلام والمسلمين فانتقلوا من مرحلة الخوف والاستضعاف والتشتت إلى مرحلة القوة والعزة والمنعة والدولة وانطلق المسلمون بعدها لينبؤ حضارة البشرية كلها.

وكان فرقاناً مميّز أصحاب رسول الله (ﷺ) وسلم) بين من حمل الإيمان في

(١) المقطع الأول من الخطاب الذي ألقاه سماحة آية الله العظمى الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) على عشرات الآلاف من المؤمنين الذين تجمّعوا لإحياء ذكرى استشهاد الزهراء (عليها السلام) في

قلبه واطمأنت به جوانحه وثبتت عليه جوارحه فصدقوا ما عاهدوا الله عليه، وبين من كان الإيمان عنده لقلقة لسان وطقوس سطحية يؤديها فإذا محصوا بالبلاء قل الديانون.

وكان فرقاناً بين فهمين للعوامل الحقيقية للنصر فبعد أن كان الاعتقاد بان الفوز حليف الكثرة العددية و القوى المادية المتنوعة حتى قال قائلهم [إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ] (الأنفال: ٤٩)، أصبح معيار النصر هو الإيمان والصبر والثبات على الحق فتهاوى جبروت قريش وعددها وعدتها بين إقدام المسلمين المعدمين إلا من النزر اليسير قال تعالى: [وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ] (آل عمران: ١٢٣).

هكذا كان يوم بدر يوم فرقان على جميع الصُّعَد في معركة العقيدة، معركة تنزيل القران أي على مستوى الإيمان به والتصديق بما انزل الله تبارك وتعالى على نبيه (ﷺ) وسلم) وكان الرسول الأكرم (ﷺ) وسلم) هو قائد هذه المعركة.

### معركة التأويل:

ثم كانت حاجة لمعركة أخرى تلتها على مستوى السلوك والتطبيق لهذه التعاليم هي معركة التأويل أي الالتزام بحقيقة ما أنزل على رسول الله (ﷺ) وسلم) وعدم تحريفه عن حدوده والتصرف في الشريعة تبعاً للأهواء والمصالح والاستحسانات، وكان قائد هذه المعركة أمير المؤمنين (عليه السلام) إذ قال فيه رسول الله (ﷺ) وسلم) (وإنه المقاتل على التأويل إذا تركت سنتي ونبتت، وحُرِّف

كتاب الله، وتكلم في الدين من ليس له ذلك، فيقاتلهم علي (عليه السلام) على إحياء دين الله عز وجل<sup>(١)</sup> وروي عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) أنه ذكر الذين حاربهم علي (عليه السلام) فقال: (أما إنهم أعظم جرماً ممن حارب رسول الله (صلى الله عليه وسلم))، قيل له: وكيف ذلك يا ابن رسول الله؟ قال: أولئك كانوا جاهلية وهؤلاء قرأوا القرآن، وعرفوا أهل الفضل فأتوا ما أتوا بعد البصيرة<sup>(٢)</sup> ولما سأل علي (عليه السلام) فقال: يا رسول الله على ما أقاتل القوم؟ قال: على الإحداث في الدين).

فلم تكن هذه المعركة تنفك عن تلك بل أن علياً لو لم يقاتل على التأويل لما بقي التنزيل ولحرف الدين وانتهى كل شيء كما كانت نتيجة الديانات السابقة لأن كلمات التنزيل تبقى مجملة وعرضة للتلاعب والتحريف إذا لم توضع النقاط على الحروف فكان علي (عليه السلام) تلك النقطة التي تحركت على حروف كلمات التنزيل فأوضحت معانيها وثبتت حدودها وصانته من عبث وتحريف أهل الأهواء والمصالح، لذا قال أمير المؤمنين في حرب صفين (والله ما وجدت من القتال بُدأً أو الكفر بما أنزل على محمد (صلى الله عليه وسلم))<sup>(٣)</sup>.

وكان في حرب التأويل يوم فرقان كيوم بدر ذلك هو يوم الزهراء (سلام الله عليها) حيث وقفت (سلام الله عليها) في مسجد أبيها (صلى الله عليه وسلم)، وأصحابه منصتون وهي تثبت الحق وتعيده إلى نصابه بحجج بالغة وتدفع عنه

(١) الإرشاد للمفيد: ١٢٤/١.

(٢) مناقب آل أبي طالب: ١٩/٣.

(٣) مناقب آل أبي طالب: ١٨/٣.

التأويل والالتفاف على النصوص المباركة.

### يوم الدفاع عن الإمامة:

كان يوم الزهراء فرقاناً أوضح معالم وصفات الإمام الحقّ وميّزته عن المتقمص لها ومن كلماتها سلام الله عليها (وما الذي نقموا من أبي الحسن عليه السلام؟! نقموا والله نكير سيفه، وقله مبالاته لحتفه، وشدة وطأته، ونكال وقعته، وتنمره (أي غضبه) في ذات الله، والله لو ما لوا عن المحجة اللائحة، وزالوا عن قبول الحجة الواضحة لردّهم إليها، وحملهم عليها، ولسار بهم سيراً سُجْحاً (أي سهلاً) لا يكلم حشاشه، ولا يكلُّ سائره، ولا يملُّ راكمه، ولأوردهم منهلاً نميراً، صافياً، رويّاً، تطفح ضفتاه ولا يترنق جانباه ولأصدرهم بطاناً، ونصح لهم سرّاً وإعلاناً، ولم يكن يتحلى من الدنيا بطائل، ولا يحظى منها بنائل، غير ريّ الناهل، وشبعة الكافل، ولبان لهم: الزاهد من الراغب والصادق من الكاذب [وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ] (الأعراف: ٩٦). [فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتٌ مَّا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِن هَؤُلَاءِ سَيَّصِبُهُمْ سَيِّئَاتٌ مَّا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ] (الزمر: ٥١))<sup>(١)</sup>.

### الزهراء (عليها السلام) الفرقان الحقيقي:

وكان يوم الزهراء (عليها السلام) فرقاناً لتمييز المنقلبين على الرسالة من الثابتين عليها الشاكرين من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) [وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ

(١) البحار: ج ٤٣ ص ١٥٩.

خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ [آل عمران: ١٤٤].

ومن ذلك اليوم تميّز في تاريخ الإسلام خطان الأول مستقيم [فاستقيم كما أمرت ومن تاب معك] (هود: ١١٢)، يمثل نقاوة الإسلام وأصالته، وخط انحرف عن جادة الصواب، وكلما طال الزمن ازداد الانحراف والابتعاد عن الخط الأصل حتى صار خلفاء المسلمين كما يسمّونهم يشربون الخمر على منابرهم هذا ولا زال أصحاب رسول الله (ﷺ) وسلم) أحياء.

وكانت فاطمة فرقاناً يميّز الحق عن الباطل إذ قال فيها رسول الله (ﷺ) (ﷺ) وسلم) (فاطمة يرضى الله لرضاها ويغضب لغضبها) فما رضيت عنه فاطمة فهو حق وما غضبت عليه فهو باطل لأنها معصومة وممن عرفت الله تبارك وتعالى فعرفت ما يرضيه وما يسخطه وما يصدر منها إلا ما يوافق رضا الله تبارك وتعالى.

وما أحوجنا اليوم إلى هذا الفرقان ليميّز لنا الحق من الباطل، والهدى من الضلال في كل عقيدة أو دعوة أو فكرة.

وما أحوجنا إلى هذا الفرقان ليفرّق لنا بين الصحيح والخطأ في آرائنا وتصوراتنا.

وما أحوجنا إلى هذا الفرقان ليميّز لنا السلوك والتصرف الذي يرضي الله تبارك وتعالى من الذي يسخطه حيث اختلطت الأوراق وكثر المدعون واشتبهت الأمور.

## اجعلوا الزهراء (عَلَيْهَا السَّلَامُ) نصب أعينكم:

فاجعلوا الزهراء (عَلَيْهَا السَّلَامُ) نصب أعينكم فيما يصدر منكم من فعل أو قول أو موقف أو فكرة تعتقدونها في عقولكم أو ضميمة تضمرونها في قلوبكم، واسألوا أنفسكم عن كل ذلك فحينما لا تلتزم المرأة بحجابها أو لا يؤدي الشاب الصلاة لربه أو لا يدفع التاجر خمس أمواله، أو يقصر المسؤولون في خدمة شعبهم أو يقوم أحد بتصرف من دون الرجوع إلى المرجعية الرشيدة، فاجعلوا الزهراء (عَلَيْهَا السَّلَامُ) حكما عليكم في خلواتكم هل ترضى بذلك أم تسخط فإن رضاها رضا الله تبارك وتعالى وسخطها سخط الله تبارك وتعالى.

## التقوى فرقان القلب:

وإذا سألتكم كيف ندرك ذلك؟ وكيف ينبثق نور الفرقان هذا في قلوبنا حتى نستطيع به هذا التمييز، فإن الله تبارك وتعالى يجيبكم من قبل أن تسأله تفضلاً منه وكرماً، قال تبارك وتعالى: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ] (الأنفال: ٢٩)، إنها تقوى الله تبارك وتعالى التي تفجر ينابيع المعرفة في القلب، لأن التقوى تزيل تأثير الهوى الذي يصد عن الحق ويحجب القلب عن رؤيته بما يجعل من الحجب فتعمى القلوب التي في الصدور، قال أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلَامُ): (إن أخوف ما أخاف على أمتي الهوى وطول الأمل، أما الهوى فإنه يصد عن الحق، وأما طول الأمل فينسي الآخرة، وهذه الدنيا قد ارتحلت مدبرة، وهذه الآخرة قد ارتحلت مقبلة، ولكل واحدة منهما بنون، فإن استطعتم أن تكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من

أبناء الدنيا فافعلوا، فإنكم اليوم في دار عمل ولا حساب وانتم غداً في دار حساب ولا عمل<sup>(١)</sup>.

إن القلب ما لم يعمر بالتقوى وينفض عنه غبار الهوى وأغلال الشهوات لا يمكن أن يهتدي إلى الحق ولو أقمت له ألف دليل [وَلَكِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُوا قِبَلَتَكَ] (البقرة: ١٤٥)؛ لأن الدليل مهما كان مفحماً ومسكناً فانه لا يكون مؤثراً إذا لم تسكن إليه النفس ويطمئن به القلب.

إن من لا يمتلك هذا الفرقان يتخبط ويسير على غير هدى ويضل نفسه والآخرين ولا يميز بين ما يضره وما ينفعه ولا بين العدو وغيره كالثور المستعمل في حلبات مصارعة الثيران يجعل همه في نطح قطعة القماش الحمراء غافلاً عن عدوه المصارع الذي يطعنه بالخناجر حتى يصيب مقتله.

(١) (وَقَفَّوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ) [الصفات : ٢٤]  
المسؤوليات الثابتة والمتحركة

لكي نؤدي مسؤوليتنا:

قال الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم [وَقَفَّوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ] (الصفات: ٢٤)؛ فمسؤولية الإنسان إذن لا تنتهي بالموت، بل لا بد من وقوفه في يومٍ للسؤال عن كل ما صدر منه صغيراً كان أو كبيراً [فِي كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى] (طه: ٥٢) وسيقف الإنسان يومئذٍ مبهوراً متعجباً مستسلماً [وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا] (الكهف: ٤٩).

ولو أنا إذا متنا تركنا      لكان الموت غاية كل حيٍّ  
ولكننا إذا متنا بعثنا      ونسأل بعدها عن كل شيءٍ

فعلى الإنسان أن يستعد ليوم السؤال وأن يحضر أجوبته عن كل أفعاله ومعتقداته لكي لا يُفاجأ بصحائف أعماله ويجد فيها ما جنت يده ولا يستطيع التدارك فلا ينفعه الندم [وَلَاتَ حِينَ مَنَاصِرٍ] (ص: ٣) وأن يعي مسؤولياته أي ما سيُسأل عنه -لأن المسؤولية اسم شيء مشتق مما يُسأل عنه- لكي يؤديها بالشكل

(١) خطبتنا صلاة عيد الأضحى المبارك التي أقامها سماحة الشيخ يعقوبي في داره يوم

الصحيح.

### أصناف المسؤوليات:

والمسؤوليات على صنفين: ثابتة ومتغيرة؛ ولا نعني بالمتغيرة: أن حكمها يتغير لأن (حلال محمد حلال إلى يوم القيامة، وحرام محمد حرام إلى يوم القيامة) وإنما نعني حصول التغير في الموضوع والعناوين فيتغير الحكم تبعاً لها، فالخمر حرام لكن إذا عولجت وانقلبت خلاً صارت حلالاً لتغير الموضوع، والميتة حرام ولكن لمن اضطر غير باغٍ ولا عادٍ تكون حلالاً لظروء عنوان ثانوي عليها وهو الاضطرار، فالتغير ليس في أصل الأحكام وإنما في تطبيقاتها.

والتكاليف الثابتة معلومة على مستوى العقائد كالإيمان بوجود الله تبارك وتعالى ووحدانيته وصفاته الحسنی والأنبياء والرسل والأئمة سلام الله عليهم، وعلى مستوى الأحكام كوجوب الصلاة والصوم والخمس وحرمة شرب الخمر والزنا والغيبة وغيرها أو على مستوى الأخلاق كمحبوبة الصدق والكرم والحلم ومبغوضية الحسد والأنانية والتهور وغيرها.

أما المتغيرة فيمكن أن تتأثر بعناصر عديدة:

### التأثر بالموقع:

منها: الموقع؛ فإن الإنسان العادي مسؤول عن نفسه وأهله وما يرتبط به، وحينما يكون وزيراً مثلاً فإنه مسؤول عن مؤسسات كاملة وإدارة كل الشؤون المرتبطة بوزارته ورعاية مصالح جميع الناس بما يرتبط بوظيفته، وحينما

يكون إماماً في مسجد فإنه يكون مسؤولاً عن أبناء تلك المنطقة فيتقدمهم ويصلهم ويقضي حوائجهم ويساعدهم ويهديهم ويصلح شأنهم، فإذا أصبح قائداً أو مرجعاً دينياً شملت مسؤوليته الملايين من الناس في شرق الأرض وغربها؛ ولذا نجد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) يقول وهو بالكوفة (ولعلَّ بالحجاز أو اليمامة من لا طمع له في القرص ولا عهد له بالشعب)، ويروي التاريخ أن المعتصم العباسي وصلته استغاثة امرأة في عمورية من بلاد الروم نادت: وامعتصماه؛ فقاد جيشاً كبيراً وخرج بنفسه لتأديب الروم وإغاثة المرأة.

وقد ورد في الحديث عن الإمام الصادق (عليه السلام) (من أصبح لا يهتم بأمور المسلمين فليس منهم ومن سمع رجلاً ينادي: يا للمسلمين فلم يجبه فليس بمسلم)<sup>(١)</sup>.

وكم من فقير وجائع ومكروب ومهجّر ومريض ومسجون بغير حقٍ ينادي اليوم: يا للمسلمين، يا للحكومات، يا لعلماء الدين، يا للمرجعيات.

فليعلم كل واحدٍ مسؤوليته وإذا عجز عن حل المشكلة وقضاء الحاجة فلا أقل من التفاعل مع القضايا ونصرة أصحابها بالكلمة والموقف؛ عن الإمام الباقر (عليه السلام) قال: (إن المؤمن لترد عليه الحاجة لأخيه فلا تكون عنده فيهتمّ بها قلبه فيدخله الله تبارك وتعالى بهمه الجنة)<sup>(٢)</sup>، أما الذين في موقع يسعهم قضاء حوائج

(١) وسائل الشيعة: كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أبواب فعل المعروف، باب ١٨،

الناس ويقدرّون عليها فلا يهتمون ويقصرون في إنجازها فقد خرجوا من ولاية الله تبارك وتعالى، ففي الحديث عن موسى بن جعفر (عليه السلام) (من قصد إليه رجل من إخوانه مستجيراً به في بعض أحواله فلم يُجره بعد أن يقدر عليه فقد قطع ولاية الله عز وجل)<sup>(١)</sup>، وعن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (لم يدع رجلٌ معونة أخيه المسلم حتى يسعى فيها ويواسيه إلا ابتلي بمعونة من يأثم ولا يؤجر)<sup>(٢)</sup>.

### تأثير المسؤولية بالظروف المحيطة:

ومنها: الظروف المحيطة به؛ فنحن في العراق نعيش حالة احتلال وصراع سياسي وفقر وحرمان وقتل وتهجير واختطاف وفساد إداري وسرقة للمال العام واعتقال للأبرياء وغيرها من القضايا التي تحتم اتخاذ مواقف بإزائها لم نكن مكلفين بها قبل وجودها، ولا يعذر الإنسان حين يصم آذانه عن كل هذه القضايا من دون أن يقوم بواجبه تجاهها، كما لا تعذر الحكومة حين تصم آذانها عن مطالبة عوائل الأبرياء المعتقلين للإفراج عنهم أو تصم آذانها عن سماع الشعب العراقي المحروم الذي يطالب بتوفير مفردات البطاقة التموينية وتحسينها فتفعل الحكومة العكس وتعلن عزمها على تقليل المفردات إلى النصف.

### تأثير المسؤولية بالبلد:

ومنها: البلد الذي يؤثر في نوع المسؤولية، فالشخص الذي يسكن

(١) المصدر السابق، باب ٣٧، ح ٤.

(٢) المصدر السابق: ح ٥.

العراق له تكاليف تختلف عن الذي يسكن في بلاد الغرب مثلاً فهذا تبرز عنده وظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأنه يعيش في وسط مجتمع مسلم فوظيفته تقويم الانحراف داخل المجتمع المسلم بهذه الوظيفة، أما المقيم في الغرب فتبرز عنده وظيفة الدعوة إلى الإسلام لأنه يحاور غير المسلمين. ويؤثر في حجم المسؤولية ومقدارها وجربتم لو أن مجموعة من الطلبة الجامعيين ينتمون إلى محافظات متعددة صدر منهم تصرف معين فإن الطالب النجفي يحاسب أكثر من غيره، ومعدّريته أقل.

### تأثير المسؤولية بالعلم:

ومنها: العلم؛ فكلما ازداد الإنسان علماً ازدادت مسؤوليته بكلا شقيها أي من حيث الثواب على الإحسان والعقاب على الإساءة لذا ورد في الحديث أن الجاهل يغفر له سبعون ذنباً قبل أن يغفر للعالم ذنب واحد.

### تأثير المسؤولية بالمعرفة الإلهية:

ومنها: المعرفة بالله تبارك وتعالى؛ فكلما ازدادت معرفته ازدادت مسؤوليته، فقد تكون حالة مباحة وليست في دائرة المسؤولية ضمن مستوى معين ولكنها تكون ضمن دائرة المسؤولية في المستوى الآخر، لذا ورد في الحديث الشريف (حسنات الأبرار سيئات المقرّبين) فهي ليست سيئات بالمعنى المتعارف وإلا لما أصبحت حسنات بالنسبة للأبرار، فهي سيئات بالمعنى المناسب للمقرّبين. مثلاً يستغفر البعض لأنه غفل فلبس الحذاء الأيسر قبل الأيمن على خلاف الاستحباب، وروي عن بعض العلماء أنه كان يبكي لما دنت منه الوفاة رغم أنه

أنفق كل ما عنده لقضاء حوائج الناس لكنه يبكي لأنه كان يستطيع أن يستعمل جاهه لخدمة مزيد من الناس.

روى سيدنا الشهيد الصدر (قُلَيْبٌ) أنه صلى ركعتي استغفار ذات مرة لأنه التقى بشخص لم يره منذ مدة فقال له: مشتاقين. ولما عاد إلى نفسه خشي أن لا يكون صادقاً.

ومستويات الناس من هذه الناحية متباينة جداً ومتفاوتة بدرجات لا تنتهي لأن الكمال لا ينتهي، وقد ورد ما يدل على ذلك في حديث عن الأمام علي بن الحسين (عليه السلام) أنه جاء إليه رجل فسأله (فقال له: ما الزهد؟ فقال: الزهد عشرة أجزاء فأعلى درجات الزهد أدنى درجات الورع، وأعلى درجات الورع أدنى درجات اليقين، وأعلى درجات اليقين أدنى درجات الرضا، وإن الزهد في آية من كتاب الله عز وجل [لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ] (١).

### الإيمان عشر درجات:

وقد ورد عن المعصومين (عليهم السلام) عدم جواز استعلاء صاحب الدرجة الأرقى على من هو دونه والاستخفاف به أو عدم مراعاة حاله، ففي كتاب الخصال للشيخ الصدوق (رضوان الله عليه) عن الإمام الصادق (عليه السلام) قوله لأحد أصحابه واسمه عبد العزيز: (يا عبد العزيز الإيمان عشر درجات بمنزلة السلم له عشر مراقبي وترتقي منه مرقاة بعد مرقاة فلا يقولن صاحب الواحدة لصاحب الثانية لست على شيء، ولا يقولن صاحب الثانية لصاحب الثالثة لست على شيء ... حتى انتهى إلى

(١) الخصال للشيخ الصدوق، باب العشرة، ص ٤٣٧.

العاشرة، قال: وكان سلمان في العاشرة، وأبو ذر في التاسعة، والمقداد في الثامنة، يا عبد العزيز لا تسقط من هو دونك فيسقطك من هو فوقك، إذا رأيت الذي هو دونك فقدرت أن ترفعه إلى درجتك رفعاً رقيقاً فافعل، ولا تحملنَّ عليه ما لا يطيقه فتكسره فإنه من كسر مؤمناً فعليه جبره<sup>(١)</sup>.

### قصة للجد الشيخ يعقوبي مع الميرزا النائيني:

وروى<sup>(٢)</sup> السيد الصدر (قده) أن جدي يعقوبي كان يقيم مجالس العزاء الحسيني في دار الميرزا النائيني (قده) المرجع الديني في عشرينيات وثلاثينيات القرن الماضي فإذا أنهى المجلس قال الناس: أحسنت وأمثالها إلا النائيني فكان يقول: غفر الله لك، فسأله الشيخ يعقوبي عن سرِّ ذلك فقال له النائيني (قده): لأنك تأتي في كلامك بروايات لم تثبت صحتها فأطلب لك المغفرة لذلك، فالتزم الشيخ يعقوبي (قده) في اليوم التالي بالتحقيق في سند الروايات وعدم ذكر إلا ما يصحّ منها فلم يؤثر في الجالسين ولم تتحرك عواطفهم ولم يتفاعلوا مع المصيبة فأذن له الشيخ النائيني (قده) بالعودة إلى طريقة التسامح في الروايات أي ما يسمى بقاعدة التسامح في أدلة السنن والمستحبات، وعلّق السيد الصدر (قده) بأن (حال) يعقوبي أو درجته هي (من بكى أو أبكى أو تباكى كان له كذا من الأجر) وحال الشيخ النائيني (قده) [مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ] فتكليفهما مختلف.

(١) الخصال للشيخ الصدوق، أبواب العشرة، ص ٤٤٨.

(٢) قناديل العارفين: ص ٩٢.

## تأثير المسؤولية بالانتماء:

ومنها: الانتماء؛ فالذي يوالي أمير المؤمنين (عليه السلام) وأهل البيت (عليهم السلام) عليه مسؤوليات أكثر من غيره من المسلمين والذي ينتمي إلى المرجعية الناطقة الحركية يشعر بالمسؤولية عن دينه ومجتمعه أكثر ممن ينتمي إلى المرجعيات التقليدية الساكنة لذا تجد الحيوية والاندفاع والسبق إلى تنفيذ المشاريع التي تعلي كلمة الله تبارك وتعالى وترفع راية الإسلام في أتباع المرجعية الأولى أكثر.

## مسؤولية الإيمان بالإمام المهدي (عليه السلام):

ولعل من أهم المسؤوليات التي يتحملها من ينتمي إلى مدرسة أهل البيت (سلام الله عليهم) هو الإيمان بالإمام المهدي (عليه السلام) والتفاعل مع قضيته واستشعار مراقبته ورعايته واطلاعه على أعمال العباد والعمل على تعجيل ظهوره الشريف وإقامة دولته المباركة.

## ما الذي نفهمه من دعاء الفرج؟

وأشير هنا إلى واحدة من تلك المسؤوليات وهي ما ورد في الدعاء الشريف (اللهم كُنْ لَوْلِيَّكَ الْحِجَّةَ بْنِ الْحَسَنِ صَلَواتُكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آبائِهِ) إلى أن يقول (حتى تُسَكِّنَهُ أَرْضِكَ طَوْعاً) أي طواعية وسلاماً من دون قتال أو صعوبات أو معوقات. والدعاء عند أهل البيت ليس فقط كلمات تتلى للثواب وإنما هو وسيلة لإلقاء العلوم والمعارف إلى شيعتهم.

ويمكن أن نفهم هذه الفقرة بعدة أشكال:

١- الطلب من الله تبارك وتعالى أن يذلل للإمام (سلام الله عليه)

السموات والأرض والبحار فتكون في أوضاع مناسبة لحرركته المباركة وأن توظف لخدمته وتكون عوامل مساعدة لعمله المبارك كما نصر الله تبارك وتعالى رسول الله (ﷺ) وسلم) في معركة بدر بألفٍ من الملائكة والنعاس والمطر والرعب في قلوب الكفار؛ قال تعالى [إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ، وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ، إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنزِلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيَطَّهَّرَكُم بِهِ وَيُدْهَبَ عَنْكُم رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ، إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأَلْتَنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرَّعْبَ فَأَضْرَبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرَبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ] (الأنفال: ٩-١٢) وكيف أرسل الله تبارك وتعالى الرياح العاتية على الأحزاب فقلعت خيامهم وهزمتهم حتى انسحبوا [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا] (الأحزاب: ٩).

٢- أن يمكن المؤمنين من الوصول إلى مواقع النفوذ والسلطة والحكم في البلاد التي ينطلق منها الإمام (ﷺ) لتأسيس دولته الكريمة وهؤلاء يهيئون تسليم الحكم للإمام (ﷺ) بكل طاعة وولاء أما إذا كانت بأيدي المنافقين والكفار والمعادين فإن الإمام سيبدل كثيراً من الجهد والتضحيات لفتح هذه البلاد، وقد وردت روايات تسمي فيها بعض القيادات الصالحة التي تلتحق بالإمام (ﷺ) مع قواتها سلماً وتسلم له القيادة في العراق في حين تحاربه جيوش

من بعض الدول المجاورة وبعض المنافقين في هذه البلاد.

٣- إن البشرية ستكون قريباً من الظهور مستعدة لاستقبال المصلح الموعود بسبب الأزمات الخائفة التي تعجز عن حلها سواء كانت سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية أو بيئية أو صحية أو عسكرية وغيرها فحينما تبلغهم دعوة الإمام (عَلَيْهِ السَّلَام) لإقامة الحق والعدل وسعادة البشرية وإنصاف المظلومين والمحرومين واجتثاث أصول الفساد فسيتقادون إليه ويؤمنون به، ويساهم السيد المسيح (عَلَيْهِ السَّلَام) بدور فاعل في إذعان الأمم المسيحية للإمام المهدي (عَلَيْهِ السَّلَام)، بحسب ما ورد في الروايات.

### تكاليفنا تجاه أحداث الظهور:

فكل من هذه المحاور يوجب تكليفاً بإزائه، فالشكل الأول يدعو إلى ديمومة الدعاء للإمام (عَلَيْهِ السَّلَام)، والشكل الثاني يدعو شيعة الإمام (عَلَيْهِ السَّلَام) التواقين لظهوره الميمون أن يزيدوا من خبرتهم في الإدارة والحكم وينظموا صفوفهم ويعبئوا طاقاتهم للوصول إلى هذه المواقع وبذل الوسع في النجاح في أداء مهامهم حتى يتمكنوا في الأرض وينجحوا ثم يسلّموا مقاليد الأمور إلى بقية الله الأعظم (عَلَيْهِ السَّلَام).

والشكل الثالث يقضي بأن لا يقصّر المؤمنون في عرض الإسلام النقي الأصيل كما ورد عن النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وآله الطاهرين (عَلَيْهِمُ السَّلَام) على شعوب العالم وأن يبينوا لهم محاسنه ويرغبوهم بالدخول فيه ويشوقونهم إلى اليوم الذي تسود فيه مبادئ الإسلام -التي هي مبادئ الإنسانية- الأرض كلها مستفيدين من

وسائل الإعلام والاتصالات التي بلغت حداً عظيماً، ويشرحون لهم الحال المزرية التي أوصلتهم إليها أنظمتهم التي وضعها البشر بجهله وغروره من أمراض فتاكة كالآيدز ومن قلق ورعب ومستقبل مجهول وتفكك اجتماعي وضياع وأزمات اقتصادية وتلوث بيئة وغيرها من المشاكل المستعصية.

### لا تكونوا من المطففين:

إن كل العناصر السابقة كولاية أهل البيت (عليهم السلام) أو الكون في موقع مهم يمكن أن تكون سبباً لامتيازات يحصل عليها الإنسان في الدنيا والآخرة، ومقتضى العدالة والإنصاف أن يفي بالمسؤوليات التي تقابلها وإلا كان من المطففين الذين يأخذون أكثر مما يعطون فهددهم الله تبارك وتعالى بالويل [بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. وَيَلُّ لِلْمُطَفِّفِينَ، الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ، وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ، أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ، لِيَوْمٍ عَظِيمٍ، يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ] (المطففين: ١-٦).

روي أن الإمام الحسين (عليه السلام) كان يذهب إلى مكة ماشياً على قدميه وإن النجائب المعدّة للركوب تُقاد بين يديه تعظيماً لله تبارك وتعالى، ولكنه كان يتنكب عن الطريق العام فقيل له في ذلك، فقال (عليه السلام): (أخشى أن أخذ من رسول الله أكثر مما أعطيه) فالحسين (عليه السلام) صاحب أعظم عطاء في البشرية يستقل ما يقدم إزاء ما يأخذ من امتيازات كالتقديس والحب والتبرك وغيرها.

## لنحاسب أنفسنا على ما أدينا من مسؤوليات:

أيها الأحبة:

أمام هذه المديات الواسعة والتنوع الكبير والتباين الهائل في المسؤوليات والاستحقاقات والامتيازات ينبغي للإنسان أن يراجع نفسه ويقيم أعماله ويجري محاسبة يومية انطلاقاً من الأحاديث الشريفة كقول الإمام الكاظم (عليه السلام): (ليس منا من لم يحاسب نفسه في كل يوم، فإن عمل سيئاً استغفر الله منه وتاب إليه)<sup>(١)</sup> وقول الإمام الصادق (عليه السلام) (فحاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا عليها، فإن للقيامة خمسين موقفاً كل موقف مقداره ألف سنة، ثم تلا قوله تعالى [فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ])<sup>(٢)</sup>، ولا أقل من استغلال الأيام الشريفة لهذه المراجعة والتأمل فيما قدّم وأخر كيوم عرفة يوم التوبة العالمي والاستغفار والإنابة إلى الله تعالى وفي يوم العيد الذي يعني العود والرجوع إلى الله تبارك وتعالى، وكان من المعالم البارزة لإحياء هذه الشعائر الحشد الكبير الذي غصّ بهم الصحن الحسيني المطهرّ أمس لتلاوة دعاء الإمام الحسين (عليه السلام) يوم عرفة وهم يكون ويتضرعون ونقلته لنا بعض الفضائيات، ومثل هذا الاجتماع المبارك سبب مهم لرفع البلاء عن هذه الأمة.

## ما الذي يقتضيه الشعور بالمسؤولية؟

إن الشعور بهذه المسؤوليات والالتفات إليها يقتضي عملين:

الأول: رفع التقصير عما لم يقدّم به الإنسان والندم عليه وتداركه.

(١) و (٢) وسائل الشيعة: ج ١١، كتاب الجهاد، أبواب جهاد النفس، باب ٦٩، ح ١، ٢.

الثاني: شحذ الهمة والعزيمة ورفع مستوى الطموح ليبلغ أعلى هذه الدرجات ويستوعب أكبر مساحة من المسؤوليات ليحظى بأعلى الامتيازات عند الله تبارك وتعالى [وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ] (التوبة: ٧٢) [قُلْ أَوْبَيْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَلِكَ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ، الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ، الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ] (آل عمران: ١٥-١٧).

(واعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا) <sup>(١)</sup> [آل عمران: ١٠٣]

### أساس وحدة المسلمين

السلام عليكم أيها الحفل الكريم ورحمة الله وبركاته..

يتحدث المسلمون بجميع طوائفهم عن ضرورة الوحدة ونبذ الخلاف ويعقدون المؤتمرات و الندوات والحوارات تحت هذا العنوان وتصرف الأموال الضخمة في هذا السبيل دون أن يتحقق تقدّم يذكر وربما ازدادوا بعداً عن بعضهم، فأين الخلل ولماذا هذا العجز عن الوصول إلى الحل؟

يدلنا القرآن الكريم على ما تتحقق به الوحدة بين المسلمين فانه يقول:  
[وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ] [آل عمران: ١٠٣].

وقد وردت الروايات في تفسير الآية بأن حبل الله هو القرآن الكريم وولاية علي بن أبي طالب والأئمة المعصومين (سلام الله عليهم) من ذريته، وتشهد نفس الآية على هذا التفسير، لأنها ذكرت أن العرب كانوا أعداء متباغضين فوحدهم الله تبارك وتعالى وجمع كلمتهم بنعمة الإسلام، وقد أشارت آية أخرى إلى أن تمام

(١) كلمة سماحة الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) التي ألقيت في الحفل الذي أقامته ممثلة المرجعية الرشيدة في العاصمة الألمانية برلين بمناسبة عيد الغدير الأغر لسنة ١٤٢٨ المصادف

هذه النعمة ونظام عقدها ولاية أمير المؤمنين (عليه السلام)، قال تعالى: [اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا] (المائدة: ٣) وقد روى المفسرون من الطائفتين أنها نزلت بعد تنصيب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لأخيه وابن عمه علي بن أبي طالب (عليه السلام) خليفة وولياً وهادياً للأمة بعده يوم الغدير بعد حجة الوداع.

وإلى هذا أشارت الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء في خطبتها في مسجد أبيها (صلى الله عليه وسلم) (فجعل إمامتنا نظاماً للملة، وطاعتنا أماناً من الفرقة). وولاية أمير المؤمنين (عليه السلام) ليست قضية عاطفية تجاه شخصيته العظيمة ولا عقيدة نظرية تؤمن بها وإنما هي باب يفتح منه ألف باب من الاعتقادات والأحكام والآداب تكون برنامجاً كاملاً في المعتقد والسلوك على صعيد الفرد والأمة.

والأمة لم تقع فيما وقعت فيه من التخبط والصراع والفتن المضلّة التي تسببت في إزهاق أرواح الأجيال بعد الأجيال من الأبرياء وخراب البلاد وانهيار الحضارة وعدم الاهتمام إلى الحق إلا بسبب عدم تمسكها بحبل الله المتين وصراطه المستقيم وعروته الوثقى التي لا انفصام لها. وهذا ما دعا عبد الله بن العباس وغيره من الصحابة العارفين يتأوه إلى نهاية عمره مما حصل في رزية يوم الخميس التي سبقت وفاة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بأيام، ويقول عن مسألة (العول) أي النقص في فرائض الميراث التي قال بها من لم يأخذ العلم من نبيهم الصافي وفندّها أمير المؤمنين (عليه السلام) والأئمة من بعده (سلام الله عليهم) وفيها يقول عبد

الله بن العباس بعد أن اثبت بطلان القول بالعلو في رواية طويلة: قال (وأيمُ الله لو قدّم من قدّم الله وآخر من آخر الله ما عالت فريضة)<sup>(١)</sup> وهو يقصد بحسب الظاهر التقديم والتأخير في استحقاق الميراث لكنه كان يريد معنى أعمق من ذلك بأن الأمة لو قدّمت لولاية أمرها من قدّمه الله تبارك وتعالى واختاره لخلافة رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) لما نقصت فريضة أو عُطّلت سنة.

إن استحقاق أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) للخلافة بعد رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) كان سابقاً على يوم الغدير، أما الاحتفال الذي أقامه رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) في غدير خم في طريق عودته إلى المدينة بعد حجة الوداع ودعا المسلمين إلى مبايعة علي بن أبي طالب (عَلَيْهِ السَّلَامُ) بالولاية والإمامة بعده (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) تلبية لأمر الجليل تبارك وتعالى حيث انزل الآية الكريمة [يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ]، أقول أما هذا الاحتفال فكان كاشفاً عن هذا الاستحقاق وإعلاناً رسمياً للتصويب، وقد كان الكثير من الصحابة الأجلاء (رضوان الله تعالى عليهم) يعلمون أحقية أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وبولايته وعرفوا بتشيعهم له في وقت مبكر من حياة رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ).

فالنقاش إذن في دلالة قول النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يوم الغدير (من كنت مولاه فهذا علي مولاه) أو المناقشة في نزول الآية في قضية الغدير لا يقدر ولا يؤخر وهي شبهة مقابل البديهة - كما يقول العلماء - لأن حق أمير المؤمنين في خلافة

(١) وسائل الشيعة، كتاب الميراث، أبواب موجبات الإرث باب ١٧ ح ٦.

رسول الله (ﷺ) وسلم) لم يكتسبه من ذلك اليوم بل استحقه بما يحمل من صفات تؤهله لهذا المقام الشريف وقد أعلن رسول الله (ﷺ) وسلم) هذا الاستحقاق في مناسبات عديدة سبقت قضية الغدير بسنين وكان بعضها- كحديث الدار- في وقت مبكر من البعثة في مكة المكرمة وفي حياة أبيه أبي طالب (رضي الله عنه) حتى تهكم بعض مشركي قريش من أبي طالب وقال له أن محمداً يدعوك إلى طاعة ولدك الصغير عليّ.

أيها الأحبة من كل طوائف المسلمين.

إنني أريد بهذا الكلام أن أقول أن الوحدة بين المسلمين تتحقق بالعودة إلى كتاب الله تبارك وتعالى وسنته الشريفة الصحيحة بعد تنقيحها من التلاعب والتزوير والدس الذي قام به المنافقون، وحينئذ سيلتقي جميع المسلمين عند الحقائق التي يعلمها الله تبارك وتعالى.

والوصول إلى الحقيقة وكشفها للناس وظيفه العلماء الأجلاء، ولا نصل إلى الحقيقة إلا بتحرير العقول من التقليد والتعصب والتحجر وذلك بفتح باب الاجتهاد ودعوة العلماء الذين حصلوا العلوم التي تؤهل لممارسة عملية استنباط الحكم الشرعي من مصادره الأصلية إلى عدم الوقوف على المذاهب المعروفة وتطبيق فتاوى أئمة المذاهب على الحالات التي تعرض عليهم وإنما يرتقون بمداركهم إلى استنباط الحكم الشرعي من الكتاب والسنة، وسيجد علماء المسلمين جميعاً أنفسهم عند تلك القمة السامقة متفقين متوحدين ينهلون من معين واحد ولا يختلفون إلا بالمقدار الطبيعي الذي يحصل بين علماء أي حقل

من حقول العلم والمعرفة.

وقد وجدتُ خلال بحثي الفقهي الاستدلالي أن كثيراً من الروايات التي يستند إليها الفقهاء السنة و الشيعة في استنباط الحكم الشرعي متطابقة الألفاظ فضلاً عن المعاني، ويعود الفضل في ذلك إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) والأئمة من بنيهِ الطاهرين حيث بثوا عدداً ممن حملوا جملة من أحكامهم ومعارفهم ولا يجد المسلمون من غير أتباع أهل البيت حزاة في الأخذ عنهم كعبد الله بن العباس ونقل هؤلاء إلى عموم المسلمين علوم الشريعة من معدنها الصافي، وهذا نابع من رحمتهم وحبهم للناس جميعاً حتى وإن أعرضت الأمة عن إعطائهم المكانة التي يستحقونها.

أرجو أن يساهم السادة الحضور وكل من يسمع هذا النداء المخلص لتفعيل هذه الدعوة المباركة في أروقة حواضر العلم صانها الله تبارك وتعالى في بلاد المسلمين.

وأسأل الله تعالى أن يأخذ بأيديكم لما فيه الصلاح والإصلاح وأن يثبت لكم قدم صدق عند مليك مقتدر، إنه ولي النعم.  
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته...

(١) **لا خير في كثير من نجواهم** [النساء: ١١٤]

## أهمية الكلمة وتأثيرها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلق الإنسان علّمه البيان وصلى الله على سيد خلقه المبعوث رحمة للعالمين محمد وآله الطيبين الطاهرين.

(الكلمة) من أوسع القنوات الموصلة إلى رضا الله تبارك وتعالى فمن خلالها تكون النصيحة وبها تتم الموعدة وتجري الهداية ويتحقق الإصلاح وينتشر العلم والمعرفة وتبنى الحضارة وتتقدم الإنسانية وتتكامل التربية فهي وعاء لهذه الطاعات العظيمة وغيرها.

لذلك جاء رجل إلى الإمام (عليه السلام) وسأله: هل الكلام أفضل أم السكوت؟ ففهم الإمام من حاله انه واقع في شبهة أن السكوت واعتزال الناس ومقاطعتهم أفضل لما بلغه من الأحاديث الشريفة التي تحث على السكوت وقلة الكلام فبين له الإمام (عليه السلام) أن الكلام إذا كان خالياً من السوء والفحشاء فهو أفضل بالتأكيد وقال له: وهل بُعث الأنبياء إلا بالكلام، قال تعالى: [لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس] (النساء: ١١٤) حتى عُدت

(١) كلمة سماحة الشيخ محمد اليعقوبي التي ألقى نيابة عنه في احتفال أقيم يوم ٤ رجب ١٤٢٦ المصادف ٢٠٠٥/٨/١٠ في وزارة الثقافة بمناسبة مرور عام على افتتاح إذاعة البلاد وقد أضاف سماحته عليها مقاطع مهمة.

(الكلمة الطيبة صدقة)<sup>(١)</sup> في بعض الأحاديث.

وفي المقابل فإن الكلمة السيئة لها ضرر بليغ ومدّمّر وإن كثيراً من الكبائر التي وعد الله بها النار مرتبطة بالكلمة كالغيبة والنميمة والبهتان والكذب والافتراء والسب والشتم والإيذاء وإشاعة الفاحشة وغيرها لذا ورد في الحديث (وهل يكب الناس على مناخرهم في النار إلا حصائد ألسنتهم)<sup>(٢)</sup> وألف العلماء والمربّون والأخلاقون كتباً في (آفات اللسان).

لذلك خصص المشرع الأقدس حصة كبيرة من تعاليمه لتهديب هذه الكلمة وتوجيهها لتكون نافعة ببناء فرس ملامح الكلمة الطيبة [كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ، تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا] (إبراهيم: ٢٤-٢٥) وحذر من ضرر الكلمة الخبيثة [وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ] (إبراهيم: ٢٦) وحذر من مغبة الكلمة الضارة.

فمثلاً اعتبر من يقول ولو شطر كلمة في المشرق فقتل بها شخص في المغرب اعتبره قاتلاً، كما يفعل اليوم صنّاع ثقافة التكفير والقتل والظلم والعدوان فيطيعهم وينخدع بضلالاتهم شخص في المشرق أو المغرب ويقوم بعملية إجرامية يكون وزرها الأول على صنّاع هذه الثقافة.

ويوجد بهذا الصدد حديث شريف مهم ويشكل ضربة قاضية لهؤلاء الذين يروّجون صناعة القتل والرعب لمجرد الاختلاف في الرأي أو تضرر المصالح

(١) وسائل الشيعة: كتاب الصلاة، أبواب حكام المساجد، باب ٢٧، ح ٣.

(٢) الكافي: ج ٢ ص ١١٥.

فقد روى الإمام الصادق (عَلَيْهِ السَّلَامُ) عن جده رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أنه قال "يعذبُ اللهُ اللسانَ بعذابٍ لا يعذبُ به شيئاً من الجوارح فيقول: أي ربُّ عذبتني بعذابٍ لم تعذبُ به شيئاً، فيقال له: خرجت عنك كلمة فبلغت مشارق الأرض ومغاربها فسفك بها الدم الحرام وعزّيتي لأعذبنك بعذابٍ لا أعذبُ به شيئاً من جوارحك" (١).

فإذا استشعرنا هذه الأهمية فإن هذا الشعور سينظّم برامج التعامل مع الكلمة وسيراقبها ويتحكم بها، فإن الكلمة في وثاقتك وتحت سيطرتك ما دمت لم تطلقها فإذا أطلقتها فستكون أنت في وثاقها وتتحمل تبعاتها ومسؤوليتها، وكم شخص ذهب ضحية الكلمة سواء في الدنيا أو في الآخرة كقاضي القضاة للمعتصم العباسي الذي وشى بالإمام الجواد (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وهو يعلم أن ذلك سيخلّده في النار كما قال هو نفسه.

ونحن اليوم نشهد ثورة معلومانية هائلة وتكنولوجيا اتصالات عظيمة لم تحلم بها البشرية من قبل، تفتح لنا الأبواب الواسعة لإيصال خطاب السلام والسعادة للبشرية، ولم يعد الطغاة قادرين على حبس الكلمة ومنع وصولها إلى الناس كما كانوا يفعلون عبر التاريخ ولسانهم واحد [مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى] (غافر: ٢٩)، واضطر الإسلام لحمل السيف في وجوه هؤلاء الطغاة ليحرّر شعوبهم من عبادتهم ويترك لهم الخيار في اعتناق العقيدة التي يقتنعون بها تحت شعار [لا إكراه في الدين] و[لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ] (الأنفال: ٤٢) و[فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ] (الكهف: ٢٩) و[إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا

(١) وسائل الشيعة، مج ٨، كتاب القضاء، أبواب صفات القاضي، باب ٤، ح ٤.

وَأَمَّا كَفُورًا] (الإنسان: ٣) وشجّع الحوار وثقافة الرأي الآخر [قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ] (البقرة: ١١١) [وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ] (العنكبوت: ٤٦) [ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ] (النحل: ١٢٥).

كما أننا نعيش بفضل الله تبارك وتعالى فرصة عظيمة لإيصال الكلمة الطيبة إلى مسامع العالم التواق للسلام والسعادة والخير، بعد أن فشلت أمامه كل الأيديولوجيات وبعد أن فشل غير اتباع أهل البيت (عليهم السلام) في عرض الإسلام بشكله الصحيح مما اوجب نفوراً وارتداداً لدى معتنقيه، فالعالم كله ينتظر منكم يا اتباع أهل البيت (عليهم السلام) أن تعكسوا لهم الصورة النقية الناصعة للإسلام المملوءة بالرحمة وحب الخير والسلام والطمأنينة لكل البشر.

وقد مرّت علينا عقود من سنيّ الكبت وسلب الحرّيات والحجر على الكلام، وقد أزاله الله تعالى ليلبوتنا أنشكر ونؤدي حق هذه النعمة، أم نكفر والعياذ بالله ونسيء استخدام هذه الحرية.

فهذه عوامل ثلاثة:

- ١- وسائل الاتصالات المتطورة.
- ٢- فشل الأيديولوجيات في تحقيق السعادة للبشرية وتوفير الأمن والسلام والطمأنينة لها.
- ٣- توفر الحرية الكاملة لممارسة الدعوة إلى الله تبارك وتعالى والحق والهداية والصالح.

تضاعف علينا مسؤولية استثمار (الكلمة) في أداء الرسالة التي ائتمنا الله تبارك وتعالى وقبلنا حملها بعد أن اعتذرت السماوات والأرض وسائر المخلوقات عن حملها (إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً).

واعتقد أن (إذاعة البلاد) من المؤسسات التي تعمل على نشر الكلمة الطيبة وأمامها مجال واسع لترسيخ مبادئ الإنسانية ومثلها العليا فبوركت جهودكم وشكر الله سعيكم.

## (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله)<sup>(١)</sup> (الحديد : ١٦)

الذي أريد أن أعرضه هنا هو كيف نحول إيماننا بالله تعالى من مستوى النظرية إلى مستوى التطبيق، يعني إذا كنا نعلم أن هذا التصرف خطأ فلماذا نفعله؟ وإذا كنا نعلم أن هذا التصرف صحيح فلماذا لا نفعله؟ كيف نولد في أنفسنا الدواعي والدوافع نحو التطبيق بحيث نتعامل مع الله تبارك وتعالى كأننا نراه فإن لم نكن نراه فإنه يرانا؟ وهذا مما لا يشك فيه مؤمن.

فهذه المرأة التي لا تلتزم بالحجاب، وهذا الشاب الذي لا يصلي، وهذا الشخص الذي يلعب الطاوالي والدومينو والمؤذن ينادي حيّ على الصلاة، وهؤلاء الذين يغشون في السوق ويأكلون المال بالباطل متذرعين بالحيل الشرعية، وهذا الذين يخون الأمانة، وهذه العشائر التي تحكم بغير ما أنزل الله وتتقاتل فتسفك الدماء وتُتيم الأطفال من أجل الأمور التافهة، وهؤلاء الشباب والشابات الذين يكونون علاقات غير مشروعة تحت عناوين مختلفة كالزمانة ونحوها، كل هؤلاء وغيرهم ألا يعلمون أنّ هذه أفعال محرمة لا يرضاها الله تبارك وتعالى؟ لا بد أنهم يعلمون! فما الذي يُجرّتهم على الله؟! ألا يعلم هؤلاء أن أمامنا عقبةً كؤوداً هي الموت، وما بعد الموت أعظم وأدهى؟ أليس هؤلاء مسلمين ويؤمنون بالله - ولو

(١) من خطبة ألقى في صلاة الظهرين يوم عيد الأضحى المبارك ١٤٢٢هـ الموافق ٢٣/٢/٢٠٠٢م في جامع حي الغدير في النجف الأشرف. وتجد بقيتها في كتاب خطاب المرحلة: ج ٢ ص ١٢٦.

نظرياً على الأقل - ويؤمنون بالآخرة والمعاد والحساب، فلماذا لا ينعكس هذا الإيمان على تصرفاتهم؟ أين الخلل؟

وهنا تذكرت كلمة أمير المؤمنين (عليه السلام): (ما رأيت يقيناً أشبه بشكٍّ مثل الموت)، فإنه يقين مائة بالمائة على مستوى النظرية، لكنك لا تجد من يؤمن به عملياً، بمعنى أنه يستعد له الاستعداد الكامل، وكأنه كتبَ على غيره، فترى الإنسان إذا عزم على سفر قد لا يطول شهراً يُعدُّ كل ما يحتاجه أو يُحتمل أنه يحتاج إليه، ويهيئ جميع أموره حتى الحقير منها، فلماذا لا يستعد بنفس الاستعداد لسفر الآخرة ويحضر زاده لهذا السفر الذي بينه القرآن الكريم: **وَتَزَوَّدُوا فَإِنْ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ** [البقرة: ١٩٧]، وقال الإمام الحسين (عليه السلام): (وحصل زادك قبل حلول أجلك).

فكيف نرجع إلى الله تعالى ونعود إليه خصوصاً بمناسبة العيد الذي قلنا أن معناه العود إلى الله تبارك وتعالى؟ وكيف نجلب الإيمان إلى نفوسنا وقلوبنا استجابة للعتاب الرقيق الرحيم الذي يوجهه الله تبارك وتعالى إلينا نحن المؤمنين: **أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ** [الحديد: ١٦]، ثم يضرب لنا مثلاً لهذه القلوب التي تقسو بسبب الخوض في أمور الدنيا، لكنها ترقق وتحيى بعد أن يزهر فيها الإيمان وتعمر بذكر الله تعالى، فيقول في الآية التالية: **اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ** [الحديد: ١٦-١٧]، بل قد وصف في آية أخرى

إعمار القلب بالإيمان وذكر الله بالحياة، فقال الله تعالى: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ] (الأنفال: ٢٤)، ونحن هنا نثير بعض المحفزات النفسية والعقلية والقلبية التي تحثنا نحو التطبيق:

١- إن من شأن كل عاقل أن يرد الجميل بالجميل ويجازي الإحسان بالإحسان [هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ] (الرحمن: ٦٠) [وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ] (القصص: ٧٧)، ونعم الله تعالى علينا كثيرة سواء على صعيد أبداننا التي هي عبارة عن معامل ومصانع كثيرة تعمل بدقة وإتقان، وأبسط مراجعة لكتاب (الطب محراب الإيمان)<sup>(١)</sup> تنبئك عن هذا مما يوقف شعر رأسك، أو على صعيد الحياة حولنا من كون متناسق وأرض طيبة معطاء ونعم لا تعد وتحصى [وإن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا] (إبراهيم: ٣٤)، وجزاء الإحسان إحسان مثله، ولما كان الله غنياً عن عباده ولا يمكن أن يصل إليه نفع من أحد، فردَّ الإحسان بالنسبة إليه طاعته، ومن أشكال شكر النعم أن تطيع المنعم بها، أمّا عصيانه مع نعمه الوفيرة فهذا مما لا يرضاه عاقل.

٢- إنَّ كل واحد منا يحب أن تزيد النعم عليه، وهي بيد الله سبحانه المنعم الحقيقي، وقد وعدنا سبحانه: [لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ] (إبراهيم: ٧)، وفي الحديث: (بالشكر تدوم النعم)، فعلى من يريد زيادة النعم كالمال والبنين والجاه والصحة وغيرها فعليه أن يطيع الله ويشكره ليزيده الله من النعم [وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ] (الأعراف: ٩٦).

(١) تأليف: الدكتور السوري خالص جليبي، وهي رسالة دكتوراه في كلية الطب.

٣- إنه إذا أخبرنا إنسان ثقة بأن حيواناً مفترساً في هذه الجهة، فإننا سنهرب بالاتجاه المعاكس، ونحذر منه ونتخذ الإجراءات الواقية من الوقوع في الخطر، فإذا أكد هذا الخبر ثقة آخر ازداد استعدادنا لذلك وكنا أكثر حزمًا، وقد أخبرنا مائة وأربعة وعشرون ألف نبي ومثلهم من الأوصياء والعلماء أنه سيكون هناك يوم قيامة يثاب فيه المطيع على طاعته ويعاقب العاصي على عصيانه بنارٍ وقودها الناس والحجارة، أفلا يوجب هذا البيان المؤكد الحذر والابتعاد عن كل ما يورطنا في هذه النار المتأججة، وقد وصفها القرآن الكريم بمشاهد مرعبة، وأخبرنا أنّ معصية الله سبحانه توقعنا فيها، وأنّ طاعته تورثنا جنة عرضها السماوات والأرض فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر [فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ] (السجدة: ١٧)؟.

٤- أن نسأل أنفسنا سؤالاً: ماذا يخسر الإنسان لو أطاع الله سبحانه واستقام على الشريعة؟! لا يخسر شيئاً، بل هو يعيش ويتمتع بالحياة كما يفعل البعيد عن الله سبحانه، وفوق ذلك له المكاسب الدنيوية والأخروية التي يحققها له الإيمان بالله سبحانه والسير على شريعته، قال الله تعالى: [وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ] (النساء: ١٠٤)، وقد اتبع هذا الأسلوب الإمام الصادق (عليه السلام) حين قال لأحدهم: (يا هذا إن كان ما تقول أنت - بأنه لا جنة ولا نار ولا حساب حق - فنحن وأنتم سواء، فإننا نأكل كما تأكلون وننكح كما تنكحون، وإن كان الأمر كما نقول هلكتم ونجوناً)<sup>(١)</sup> وهو أسلوب لا يستطيع أن يرفضه أي عاقل.

٥- أن نلتفت إلى أن الله تعالى مطلع علينا ولا تخفى عليه خافية في السماوات والأرض، وهو أقرب إلينا من حبل الوريد، وقد جعل على كل واحد منّا ملائكة يحصون الأعمال في كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة، وجعل الشهود على ذلك من أعضائنا التي نمارس بها حياتنا [شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ، وَقَالُوا لَجُلُودِهِمْ لَمْ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ، وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ، وَذَلِكَ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ] (فصلت: ٢٠-٢٣)، فإذا التفتنا إلى هذه الحقائق فسنكون دقيقين في تصرفاتنا، وسنحسب ألف حساب قبل أن نورط أنفسنا في المعصية.

٦- إن الإنسان الذي يمتنع عن إعطاء شيء من نفسه أو ماله لطاعة الله تعالى فإنه سيدفع أكثر منها في معصية الله وهو راغم، وستكون عليه حسرة يوم القيامة، فلا يدفع الحقوق الشرعية في أمواله لكنه يدفع أموالاً كثيرة في أمور تافهة تجرّ عليه حسرة يوم القيامة، أو يقصر في العبادة أو يتكاسل عن قضاء حوائج المؤمنين فيبتليه الله بمشاغل كان يمكن أن يدفعها الله عنه لو لم يقصر في طاعة الله فيفوز بالآخرة ويكفيه الله مؤونة الدنيا وتعبها.

٧- إن من يطيع الله سبحانه ويتجنب معصيته يعيش لذة الانتصار على أعدى أعدائه، وهي النفس الأمارة بالسوء كما وصفها الحديث الشريف، وكلّما كان تمرد النفس على الترك قوياً كان الفعل أكثر لذة، مثلاً: تعرض أمامك امرأة

متبرجة قد أظهرت مفاتنها أو طالبة جامعية أو زميلة في دائرة تبرعت بإنشاء علاقة عاطفية معك فتنتصر أنت على نفسك الطموحة إلى ذلك، فتعيش لذة الانتصار، وهو ما أشار إليه الحديث الشريف: (النظرة سهم مسموم من سهام إبليس، فمن تركها لله تعالى أبدله الله نوراً وإيماناً يجد حلاوته في قلبه)، أو يغيبك شخص ويسيء إليك وأنت قادر على رد إساءته، فتتركها لله تعالى وتنتصر على نفسك التي ترغب بالشففي والانتقام، وهذا معنى الحديث: (ما جرعة أحبُّ إليَّ من جرعة غيظ لا أكافي بها صاحبها)<sup>(١)</sup>.

وتوجد نقاط كثيرة لا أعتقد أن الوقت يسع لها. ولكن نلفت<sup>(٢)</sup> النظر إلى أمرين مهمين يدعوان الإنسان إلى الالتزام بالشرعية والعمل بالقوانين الإلهية:

### الأمر الأول:

إن التكاليف الشرعية ليست طوقاً في عنق الإنسان ثقيلاً يريد أن يتحرر منه، بل هو تشريف له. وأضرب لك مثلاً لو أن الملك دعي إلى مأدبة فأناج إنساناً بدلا عنه، كم سيكون هذا الإنسان محظوظاً أن ينال شرف النيابة عن الملك ويتحدث باسمه، فكذلك الإنسان اختاره الله سبحانه ليكون خليفته في هذه الأرض [إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً] (البقرة: ٣٠) والله ملك الملوك ورب الملوك فكم تكون عظمة النعمة أن يستخلف أحداً ويسخر له كل ما في الأرض [هُوَ الَّذِي

(١) الكافي: ١٠٩/٢.

(٢) هذه الاضافة من بيان مفصل صدر بمناسبة حلول شهر رمضان في تلك الفترة ألحقنا منه هنا ما يرتبط بالموضوع.

خَلَقَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا [البقرة: ٢٩] وينقل عن شخص عارف انه احتفل يوم بلوغه سن التكليف الشرعي لأنه يوم تشريفه بأعظم النعم.

### الأمر الثاني :

إن الشريعة الإلهية إنما وضعها الله سبحانه لتنظيم حياة البشر وهدايتهم إلى ما فيه صلاحهم؛ لأنه خالقهم وهو العارف بما يصلحهم، فإن أي جهاز يعطل نرجع إلى الشركة المصنعة للجهاز فتعرف عيبه وطريقة إصلاحه، والله هو خالق الإنسان وصانعه فهو العارف بمناشئ انحرافه وطرق علاجها، ومن القبيح والمستهجن أن نرجع إلى نفس الإنسان التائه الضال ليرسم لنا طريق الصلاح، وقد جربت البشرية كل النظم الوضعية فزادتها سوءاً على سوء وظلماً على ظلم، وما زالت تتجرع ويلات تلك النظم البشرية، والنتيجة أن الالتزام بالتعاليم الإلهية هو الطريق الوحيد الذي يضمن للبشرية سعادتها واستقرارها وطمانيتها، وأنت ترى بعينك وتحس سعادة المؤمن واستقراره الروحي في مقابل شقاء الكافر الفاسق وصراعه النفسي وانحرافاته [وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى] (طه: ١٢٤).

فعلى الأخوة المؤمنين أن يلتفتوا إلى هذه النقاط التي ذكرناها ويعملوا على تحقيقها دائماً، ولا يغرنكم بالله الغرور وهو الشيطان الذي يريد أن يخرجكم من الجنة، أي جنة طاعة الله سبحانه ورضوانه، قال تعالى: [وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ] (التوبة: ٧٢) [كَمَا أَخْرَجَ أَبُوَيْكُمْ مِّنَ الْجَنَّةِ يَتَزَعُ مِنْهُمَا لِبَاسَهُمَا] (الأعراف: ٢٧) وهو تقوى الله سبحانه، قال تعالى: [وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَلِكَ خَيْرٌ]

(الأعراف: ٢٦) ليريهما سوءاتهما وعورتهما، وأساء العورات هو الانحراف عن طاعة الله سبحانه، والانغماس في طاعة الهوى والنفس الأمارة بالسوء. قال تعالى: [إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ] (الأعراف: ٢٦).

فما أشد العدو الذي يرانا ولا نراه، ولكن الله تعالى أعاننا عليه ونبهنا إلى خدعه وغروره وشراكه وفخوخه، وما علينا إلا أن نكون على حذر وملفتين، ولا تأخذنا الغفلة فإنه ليس له سلطة على البشر إلا التزيين والغواية، ويبقى اتخاذ القرار بإرادة الإنسان واختياره [وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقُّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلْمُزُونِي وَلَوْ مَوْأَنْفُسِكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِحِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِحِي إِنْ كَفَرْتُمْ بِمَا أَشْرَكْتُمُونَ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ] (إبراهيم: ٢٢) فليس لنا أن نتسامح وننتهون في أمر الله سبحانه فنخسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين. إننا جميعا مطالبون بالعودة إلى الله سبحانه والرجوع إليه لأنه هو الغاية وهو

المنتهى [إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى] (العلق: ٨) [وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى] (النجم: ٤٢) قال تعالى: [قُلْ إِنَّمَا أَعْظُمُ بَواحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَشَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا] (سبأ: ٤٦)، فلنغسل قلوبنا مما علق بها من أدران المعاصي ولنتوجه إلى الله ضارعين تائبين عازمين على عدم العود لمعصيته، وإن الله ليفرح بعودة عبده إليه أكثر من فرح شخص تائه في الصحراء قد فقد دابته وعليها كل متاعه وما يحتاج إليه من مؤنه، ثم عثر عليها فأوصلته إلى غايته، وقد قال تعالى [إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ] (البقرة: ٢٢٢)، أما يريد أحدكم أن يكون ممن أحبه الله

سبحانه؟! ولك أن تجرّب عندما يحبك مدير دائرتك أو رئيسك أو مرجعك كم تشعر بالنشوة، فكيف إذا أحبك رب العالمين وخالق الكون وما فيه؟!.

أسأل الله سبحانه لنا جميعاً الهداية والتوفيق خصوصاً في الفرص العظيمة التي أعدها الله سبحانه ليزيد فضله على عباده فيها وليضاعف النعم عليهم، سواء على صعيد الزمان كشهر رمضان والليالي والأيام الشريفة العظيمة، أو المكان كالمساجد والعتبات المقدسة في مجالس ذكر أهل البيت (عليهم السلام) والاحتفال بمناسباتهم، فاغتنموا هذه الفرصة إن إضاعة الفرصة غصة، وأختم كلامي بوصية رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لأبي ذر: ((يا أبا ذر اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك)).

ومن أعظم الأسباب التوسل بأولياء الله العظام وخصوصاً بقية الله الأعظم الذي نعيش برعايته وبركاته وأنظاره الشريفة، جعلنا الله من أهل خاصته وذوي الخطوة لديه وما ذلك على الله بعبير..

أسأل الله تعالى أن يوفقنا لطاعته، فتكون أيامنا كلها أعياداً، والعيد الأكبر حين نلقاه تبارك وتعالى وهو راضٍ عنا [وَرَضُواْنَ مِّنَ اللّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ] (التوبة: ٧٢).

## مقامات القرآن الكريم وصنوه أهل البيت (عليهم السلام)

بمناسبة ميلاد السيّدة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السلام) نحاول أن نتعرّف على بعض مقاماتها وملامح عظمتها من خلال استقراء الآيات الكريمة وبمعونة الأحاديث الشريفة وهي كثيرة نعجز عن استقصائها، ونفس أسمائها وألقابها كاشفة عن مقاماتها (الطاهرة، المعصومة، الراضية، المرضيّة، أمّ أبيها، سيّدة نساء العالمين، الكوثر، المحدثّة، البتول) وغيرها.

### التلازم بين القرآن وأهل البيت (عليهم السلام):

لكنّا نشير اليوم باختصار إلى مقاماتها (سلام الله عليها) التي نتعرّف عليها من خلال الاقتران والتلازم بين القرآن الكريم وأهل البيت (عليهم السلام) - وهي منهم -، هذا التلازم الذي أفاده حديث الثقلين الذي أجمع الفريقان <sup>(٢)</sup> على صحّته وصدوره عن النبي (صلى الله عليه وآله)، ففي مسند أحمد بن حنبل (١٨١/٥ ح ٢١٠٦٨) بسنده عن زيد بن ثابت قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) (إني تارك فيكم خليفتين كتاب الله حبل مدود ما بين السماء والأرض - أو ما بين السماء إلى الأرض - وعترتي أهل

(١) كلمة سجّلها سماحة الشيخ يعقوبي (دامت ظلّه) لقناة النعيم الفضائية بمناسبة ذكرى ميلاد السيّدة

فاطمة الزهراء (عليها السلام) يوم ٢٠/٢/١٤٣٤ الذي وافق ٢٠١٣/٥/١.

(٢) لمعرفة مصادره من كتب العامّة راجع (فضائل الخمسة من الصحاح الستة: ٥٢/٢).

بيتي، وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض) ورووه عن جمع غفير من الصحابة.

### لا يرتاب مسلم في معنى أهل البيت (عليهم السلام):

وقد بين النبي (ﷺ) بالقول وبالفعل المقصود من أهل البيت في مواطن كثيرة وهم علي وفاطمة والحسن والحسين (صلوات الله عليهم أجمعين)، ففي مستدرك الصحيحين روى بسنده عن أم سلمة أنها قالت: في بيتي نزلت هذه الآية (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً) (الأحزاب/ ٣٣) قالت: فأرسل رسول الله (ﷺ) إلى علي وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام) فقال: (اللهم هؤلاء أهل بيتي) قالت أم سلمة: يا رسول الله ما أنا من أهل البيت؟ قال: إنك إلى خير. وهؤلاء أهل بيتي اللهم أهل بيتي أحق).<sup>(١)</sup>

ولا حاجة بعد هذا للدخول في مناقشات لغوية في معنى أهل البيت ومن هو المشمول بها بعد أن حدّد النبي (ﷺ) بنفسه المراد بهذا العنوان.

### الزهراء (عليها السلام) عدل القرآن الكريم:

فالسيدة فاطمة الزهراء من أهل البيت (عليهم السلام) الذين هم -بموجب حديث الثقلين- صنو القرآن وعدل القرآن ولا يفترقان حتى يردا الحوض يوم القيامة، ومن هذا الاقتران والملازمة نستنتج خصائص كثيرة ومقامات رفيعة لأهل البيت (عليهم السلام) وللصديقة الطاهرة (عليها السلام) ولأمير المؤمنين (عليه السلام) لتضاف إلى الأدلة

(١) راجع مصادر الحديث في المصدر السابق: ٢٦٩ / ١.

على إمامته وتقدمه على الخلق أجمعين بعد رسول الله (ﷺ) منها:

١- مقام العصمة، لأن القرآن (لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ) (فصلت/٤٢) وكذلك السيدة الزهراء (عليها السلام) معصومة بغض النظر عن الأدلة الأخرى على عصمتها كآية التطهير وغيرها.

٢- مقام العلم والإحاطة بكل شيء مما علمهم الله تبارك وتعالى فقد وصف الله تعالى كتابه الكريم بقوله (وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ) (النحل/٨٩) وقال تعالى (مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ) (الأنعام/٣٨) فالسيدة الزهراء (عليها السلام) لها هذا المقام من العلم والإحاطة بمعرفة كل شيء وهو فضل الله يؤتیه من يشاء من عباده، قال تعالى (وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ) (البقرة/٢٥٥).

٣- والقرآن له مقام الإمامة والقيادة والحجة ولزوم الطاعة على الخلق أجمعين (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا) (الحشر/٧) وقال تعالى (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ \* إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ) (النجم/٣-٤) وللقرآن مقام الإمامة، قال رسول الله (ﷺ): (عليكم بالقرآن فاتخذوه إماماً وقائداً) فكذلك السيدة الزهراء (عليها السلام) لها مقام الإمامة والقيادة ولزوم الطاعة على الخلق أجمعين، لذا روي عن الإمام العسكري قوله (نحن حجج الله على خلقه وجدتنا فاطمة حجة الله علينا).<sup>(١)</sup>

٤- والقرآن هو الحق والحق معه (هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ)

(الجاثية ٢٩) (فَوَرَبُّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقُّ مِثْلَ مَا أَنْتُمْ تَنْطِقُونَ)

(الذاريات ٢٣) وهكذا السيدة الزهراء (عليها السلام) فإن الحق يدور معها حيث دارت.

٥- وللقرآن القيمومة<sup>(١)</sup> العليا المطلقة على الخلق قال تعالى: (الْحَمْدُ لِلَّهِ

الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا \* قِيمًا) (الكهف/١-٢) كما أن

القيّم على الأسرة أو المجتمع له الولاية عليهم يقودهم ويدلّهم على ما يصلحهم

ويسعدهم، فكذلك الزهراء (عليها السلام) لها القيمومة على الناس ومنهجها هو المنهج

القيّم والمستعلي على المناهج كلّها، وقد علّلت الآية علة القيمومة بأن لا عِوَجَ له.

٦- والقرآن مبارك (وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ) (الأنعام/٩٢) (كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ

إِلَيْكَ مُبَارَكٌ) (ص/٢٩) فهو كثير البركة والخير والعطاء ومبارك في آثاره على

النفس والمجتمع لأنه مصدر الهداية والإرشاد والسعادة والحياة المطمئنة للبشرية

ومصدر العلوم كلّها، وهكذا الزهراء (عليها السلام) كثيرة البركة وعطائها لا ينفد، حتى

أن الله تعالى سمّاها الكوثر الذي يعني الخير الكثير.

٧- والقرآن عصمة للأمة من التفرّق والتشتت والضياع (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ

اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ

فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا) (آل عمران/١٠٣) والقرآن وأهل البيت (عليهم السلام) هم الحبل

الممدود الذي يعصم الأمة، وفي هذا قالت السيدة الزهراء (عليها السلام) (وجعل إمامتنا

نظاماً للملّة وأماناً من الفرقة).

(١) شرحنا معاني هذه الصفات للقرآن في فصل (القرآن يصف نفسه) في القبس (١) من هذا

المجلد بعنوان (وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا).

٨- والقرآن عزيز يصعب مناله في كتابٍ مكنون لا يمسه إلا المطهرون، وعزيز لأنه قاهرٌ غالب على من خاصمه، وهو عزيز ينذر وجود مثله، وعزيز لأنه يمتنع عن النيل بسوء، وعزيز لأنه مطلوب وكلّ مفقودٍ مطلوب، وهكذا السيّدة الزهراء (عليها السلام) عزيزة بكل هذه المعاني.

٩- والقرآن موعظة وشفاء وهدى ورحمة للعالمين كما وصف نفسه وهكذا السيّدة الزهراء (عليها السلام).

١٠- وللقرآن مقام الشفاعة كما وصفه النبي (ﷺ) (فعلَيْكُمْ بالقرآن فإنّه شافعٌ مشفعٌ).<sup>(١)</sup>

وللزهراء (عليها السلام) الشفاعة يوم القيامة حتى ورد في الرواية أنها (عليها السلام) تلتقط مواليتها ومحبيها يوم المحشر كما يلتقط الطير الحبّ الجيد من الحبّ الرديء.

١١- والقرآن مخاصم لمن هجره وأعرض عنه ولم يعمل به وحجّته غالبية ومصدّقة من دون بيّنة أو دليل كما وصفه النبي (ﷺ) بأنه (ما حلّ مصدّق) أي مخاصم مصدّق فيما يقول وهكذا السيّدة الزهراء (عليها السلام) ستخاصم من ظلمها وأنكر حقّها وجحد ولايتها، وهي مصدّقة في دعواها.

١٢- والقرآن خالد محفوظ إلى يوم القيامة (إِنَّا نَحْنُ نُزَلِّمُ الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) (الحجر/٩) وهكذا الحجج من أهل البيت (عليهم السلام) باقون بقاء القرآن وهذا دليل على وجود الإمام المنتظر (عليه السلام) وذكر فاطمة وأهل البيت (عليهم السلام) باق

(١) ميزان الحكمة: ٢٣٨/٧ وكذا الأحاديث التالية في نفس المصدر.

إلى يوم القيامة ونورهم باقٍ مهما حاول الحاسدون والمنافقون والمبغضون إطفاءه والقضاء عليه وإزالته (يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ) (الصف/٨).

١٣- وفي التمسك بالقرآن النجاة من الفتن، عن النبي (ﷺ) قال: (إنها دار بلاء وابتلاء وانقطاع وفناء، فإذا التبست عليكم الأمور كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن، من جعله أمامه قاده إلى الجنة ومن جعله خلفه ساقه إلى النار)، فالتمسك بهدى الزهراء (عليها السلام) ينجي من الفتن ويقود إلى الهداية.

١٤- والقرآن يصف نفسه (إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ \* وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ) (الطارق/١٣-١٤) وهكذا كلمات فاطمة (عليها السلام) كلها فاصلة ليس فيها هزل لا محصل من ورائه أو هزيلة خالية من المعاني، وكان يومها يوم الفرقان<sup>(١)</sup>.

١٥- والقرآن أنيس، يقول الإمام زين العابدين (عليه السلام): (لومات من بين المشرق والمغرب لما استوحشت بعد أن يكون القرآن معي)<sup>(٢)</sup> وهكذا ذكر السيدة الزهراء وأهل البيت (عليهم السلام) فإنه أنيس للمحبين والموالين وبلسم لنفوسهم المتعبة).

١٦- والقرآن لا يبلى ولا يملُّ بكثرة التكرار، قال أمير المؤمنين (عليه السلام) لا تُخلقه كثرة الرد وولوج السمع) وهكذا ذكر الزهراء (عليها السلام) كلما يتكرر يزداد أقبالاً وبهجة حتى لو استمر طيلة أيام السنة وعلى مدى السنين.

((١) راجع القبس (يوم الفرقان) من المجلد الثاني.

((٢) الكافي: ٦٠٢/٢.

١٧-ولمن حمل القرآن وتعلّمه وعلمه أجر عظيم، روي عن رسول الله (ﷺ) قوله: (حملة القرآن هم المحفوفون برحمة الله، الملبسون بنور الله عز وجل) فلمن أحيا ذكر الزهراء (عليها السلام) ونشر فضائلها ومناقبها ومظلوميتها مثل هذا الأجر العظيم.

١٨-وإنّ على حامل القرآن أن يتّصف بالخير، روي عن رسول الله (ﷺ) قوله (إنّ أحقّ الناس بالتخشّع في السرّ والعلانية لحامل القرآن، وإنّ أحقّ الناس في السر والعلانية بالصلاة والصوم لحامل القرآن) فعلى الموالين للسيدة الزهراء (عليها السلام) ان يكونوا على مثل هذه الخصال الكريمة.

١٩-وللقرآن ارتباط وثيق بليلة القدر وكان نزوله فيها (إنّا أنزلناه في ليلة القدر) (القدر/١) (إنّا أنزلناه في ليلة مباركة إنّا كنا منذرين) (الدخان/٣) وللسيدة الزهراء (عليها السلام) ارتباط وثيق بليلة القدر؛ ورد في الحديث عن الإمام الصادق (عليه السلام) (فمن عرف فاطمة (عليها السلام) حق معرفتها فقد أدرك ليلة القدر)<sup>(١)</sup>، وقد شرحنا في بعض أحاديثنا<sup>(٢)</sup> وجوهاً لهذا الحديث.

٢٠-ومن آداب تلاوة القرآن أن يُقرأ بالحزن، عن رسول الله (ﷺ) قال (اقرأوا القرآن بالحزن فإنه نزل بالحزن)، وعنه (ﷺ) (اقرأوا القرآن وابكوا، فإن لم تبكوا فتباكوا)، ومن وصف أمير المؤمنين (عليه السلام) للمتقين (أمّا الليل فصافون أقدامهم، تالين لأجزاء القرآن يرتلونّها ترتيلاً يحزنون به أنفسهم ويستشيرون به

(١) راجع مصادره في الموسوعة الكبرى عن فاطمة الزهراء (عليها السلام): ٤٣٨/١٨.

(٢) راجع القبس من المجلد الثاني بعنوان (ليلة القدر خير من ألف شهر).

دواء دائهم) فكذلك السيّدة الزهراء (عليها السلام) لا تُذكر إلا ويفيض القلب حزناً لذكرها، فضلاً عما لو ذكرت مظلوميتها.

روي أن رجلاً دخل على الإمام الصادق (عليه السلام) وقد وُلدت له بنت فقال (عليه السلام) (ما سميتها؟ قال: فاطمة فقال (عليه السلام) (آه آه آه ثم وضع يده على جبهته - إلى أن قال - أما إذا سميتها فاطمة - فلا تسبها ولا تلعنها ولا تضربها).<sup>(١)</sup>

وهذه الخصائص التي ذكرناها للزهراء (عليها السلام) ثابتة للأئمة الأطهار (عليهم السلام) لكونهم من أهل البيت (عليهم السلام) وإنّما خصصنا السيّدة الزهراء (عليها السلام) بالذكر لأنّها صاحبة المناسبة.

إن ما قمنا به من بيان هذه المقامات لأهل البيت (عليهم السلام) فيه دعوة لإتباع هؤلاء السادة الهداة تلبية لدعوة الإمام (عليه السلام) (قال الرضا (عليه السلام): رحم الله عبداً أحيا أمرنا، فقيل له: وكيف يُحيي أمركم؟.. قال: يتعلّم علومنا ويعلمها الناس، فإنّ الناس لو علموا محاسن كلامنا لا تبعونا)<sup>(٢)</sup>.

(١) وسائل الشيعة كتاب النكاح، أبواب أحكام الأولاد، باب ٨٧

(٢) جواهر البحار، الجزء الثاني، كتاب العلم، عن كتاب: معاني الأخبار.

## القرآن الكريم يدعو الى التعامل مع الحياة بإيجابية(١)

### معنى أن نقول المؤمن خير:

قال الله تبارك وتعالى مخاطبا نبيه الكريم (ﷺ) ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء : ١٠٧] وقال تعالى ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكُوثَرَ﴾ [الكوثر : ١] والكوثر تعني الخير الكثير، وقال تعالى على لسان زكريا في دعائه لطلب الولد ﴿وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ [مريم : ٦] وقال على لسان عيسى بن مريم ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ﴾ [مريم : ٣١] أي كثير البركة و العطاء، ونحو ذلك من الآيات التي ضمت مجموعة من صفات الإنسان الصالح ويجمعها الوصف الذي نطلقه على المؤمن بانه (خير) وهي من صيغ المبالغة أي لا ترى منه إلا الخير، لذا وصفته بعض الاحاديث الشريفة بانه (الخير منه مأمول والشر منه مأمون).

### الحث على قضاء الحوائج وإدخال السرور:

ووردت احاديث كثيرة تدعوا إلى ان يكون الأنسان مصدر خير و عطاء وعنصرا مثمرا في المجتمع كالأحاديث التي تحث على السعي في قضاء حوائج

(١) حديث سماحة المرجع العنقوبي (رحمته الله) مع حشد كبير من الطلبة الجامعيين الذي أقاموا العشر الأواخر من شهر رمضان في النجف الأشرف ضمن برامج عبادي توعوي، والتقاهاهم سماحته يوم الاثنين ٢٧/رمضان/١٤٣٤هـ الموافق ٢٠١٣/٨/٥.

الناس ومساعدتهم وإدخال السرور<sup>(١)</sup> عليهم ورفع الأذى عنهم وفعل المعروف لجميع الناس بغضّ النظر عن الدين أو القومية أو النسب ونحو ذلك وتذكر لهذه الأعمال الإنسانية الصالحة ثوابا عظيما يفوق اكثر العبادات أهمية.

### العفو والصفح عن الإساءة:

وأكمل الشارع المقدس هذه الصورة الحسنة لسلوك المؤمن فطالبه بالعفو والصفح عن إساءة الآخرين، قال تعالى ﴿وَلْيَغْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [النور: ٢٢] وأمر بنسيان إساءة الآخرين وكأنها لم تقع وان يبقى دائما يتذكر إحسان الآخرين اليه بل دعا الى مقابلة السيئة بالحسنة ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤] ، كما امر بان يكون على عكس ذلك في العلاقة مع نفسه، وذلك بان يتذكر دائما أساءته للآخرين حتى يكون رادعا عن تكرارها، وان ينسى إحسانه للآخرين حتى لا يحصل عنده شعور بالعجب والمنّ والتفضّل عليهم فيمنعه ذلك من الاستمرار في فعل المعروف، ففي الحديث الشريف (انسى اثنين: إحسانك إلى الغير وإساءة الغير اليك، واذكر اثنين: أساءتك إلى الغير وإحسان الغير اليك).

### الحمل على الحسن:

وطلب الشارع المقدس أن تختار الأحسن والأفضل للآخرين عندما تكون

(١) اذكر حديثا واحدا عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: (فوالذي وسع سمعه الأصوات ، ما من احد أودع قلبا سرورا ألا وخلق الله له من ذلك السرور لطفًا، فاذا نزلت به نائبة جرى إليها كالماء في انحداره حتى يطردها عنه ، كما تطرد غريبة الابل) (نهج البلاغة/ الحكمة ٢٥٧).

بين خيارين أو بين موقفين أو سلوكين فأمر بان تحمل فعل أو قول أخيك على سبعين محملاً حسناً، وان كان ظاهره السوء، لكنه مادام يحتمل أن يكون حسناً فلا تقصّر في الأخذ بهذا الاحتمال ، حتى وان تجاوزت السبعين احتمالاً، وهو رقم يقال للتعبير عن الكثرة فلا يمنع من الأزيد .

وان يكون هذا هو منهج حياتك بان تفتش عن أحسن ما عند الآخرين فتنظر اليه على أساسه، وان تفتش عن أسوء ما في نفسك فتقيمها على أساسه لتكون بين هذا وذلك أنسانا صالحا يسعى نحو الكمال ويحب الخير للناس .

روي أن أخوة يوسف الصديق (عليه السلام) لما تعارفوا معه واعترفوا بجريمتهم تملكهم الحياء مما صنعوا به لكنه خفف عليهم واعتبرهم أصحاب فضل عليه لانهم عرفوه الى أهل مصر انه ابن الأنبياء الكرام وكان يُنظر اليه على انه عبد كنعاني أشتري من سوق النخاسين، فهل يوجد سمو في التعاطي مع الأمور مثل هذا؟

فيما روي من مواعظ النبي الكريم عيسى (عليه السلام) انه مرّ هو وأصحابه على جيفة كلب ميت فقال بعضهم ما انتن ريحه وقال الآخر ما اقبح منظره وهكذا، لكن النبي الكريم المتأدب بخلق الله تعالى قال ( ما اشدّ بياض أسنانه)<sup>(١)</sup>.

### بركة الانسجام مع الكون:

إن الإنسان حينما يسير وفق هذه الرؤية ويتبع هذا المنهج من التفكير

(١) حلية الأولياء لابي نعيم الأصبهاني.

يحصل على ثمرات عديدة، منها القرب إلى الله تعالى، وراحة البال، والسعادة<sup>(١)</sup> وحسن الذكر عند الناس مضافا الى شيء مهم يحسُن الالتفات اليه وهو انه ستتجاوب معه كل عناصر الخير في الكون لأنه محكوم بسنن الهية ثابتة فمن اخذ بها نال كل خيراتها وبركاتها، ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف : ٩٦].

وبذلك يكون قوله تعالى ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم : ٧] على القاعدة الطبيعية - كما يقال - وليس بالجعل التشريعي لزيادة النعم مقابل الشكر، وإنما هي حالة تكوينية طبيعية فان الإنسان الشاكر يكون جزءا منسجماً مع الكون فيحظى ببركات القوانين الإلهية التي تنظم حركة الكون .

وهذا ما يعترف به غير الموحدين أيضا فانهم يقولون إن الإنسان يجب أن يكون ممتنا شاكرا للكون - بحسب تعبيرهم لانهم لا يعتقدون بوجود الله سبحانه - على نعمه لكي يحصل الإنسان على المزيد من النعم وغيرها مما تستحق أن يسعى اليها الإنسان.

### أهمية التفكير الإيجابي في التنمية البشرية:

هذا المنهج والسلوك الذي أسس له الشارع المقدس اصبح اليوم من اهم قضايا علم الاجتماع والتنمية البشرية التي يهتم بها العالم المتحضر فتؤلف الكتب وتعد الندوات وتقدم البرامج التلفزيونية التي تتحدث عن (( أهمية التفكير

(١) واذكر حديثاً واحداً في ذلك باختصار وهو قول أمير المؤمنين (عليه السلام) (السرور يُسَطُّ النفس

ويثير النشاط، الغمّ يقبضُ النفس ويطوي الانبساط) (غرر الحكم: ٢٢٠٣ و٢٠٢٤).

الإيجابي)) وتوصلوا فيها إلى جملة من النتائج التي بيّنها الشارع المقدس .  
 ونُقل لي أنّ من الكتب الواسعة الانتشار في هذا المجال كتاب (السر) ومما  
 جاء فيه (( إن للأفكار قوة مغناطيسية ولها تردد وعندها قدرة على الأرسال و  
 الاستقبال مثل الموجات الكهرومغناطيسية ويتم إرسال الأفكار هذه إلى الكون  
 فتجذب لها مغناطيسياً كل الأشياء التي تشبهها ثم ترجع ثانياً إلى المصدر الذي  
 هو نفس الشخص، وان الإنسان اذا كان إيجابياً فانه يجذب كل خير اليه)).

### وبشّر الصّابرين:

إن الشارع المقدس علّم الإنسان أن يكون تفكيره إيجابياً في كل حالاته  
 حتى عندما يشتد عليه البلاء من خلال إعطائه ثقافة إيجابية توجه سلوكه فانه  
 وعده بالأجر العظيم اذا صبر واحتسب وأن هذا البلاء كفارة لذنوبه التي اجترحها  
 وبذلك يكون فرصة للإنسان حتى يراجع نفسه ويحاسبها ويصلح أخطاءه، ووعده  
 بالفرج وزوال البلاء مع ثبات الأجر، ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ \* الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ  
 مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥، ١٥٦]، ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ  
 لَهُ مَخْرَجًا \* وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢، ٣] وبذلك يكون الإنسان  
 سعيداً وهو في اشدّ حالات البلاء كالذي مرّ به الأنبياء و الأئمة صلوات الله عليهم  
 أجمعين .

### أمثلة من التفكير الإيجابي:

خذ مثلاً ما جرى في واقعة كربلاء التي مثلت اشرس جريمة عبر التاريخ  
 لكن أصحاب الأمام الحسين (عليه السلام) كانوا فرحين سعداء لانهم نظروا إلى صورتها

الأخرى المتمثلة فيما اعدَّ لهم من الكرامة والمقام المحمود عنده تبارك وتعالى والبركات العظيمة التي تثمرها إلى نهاية الدنيا.

وحينما حاول ابن زياد أن يظهر حقه وسمومه على عقائل النبوة وخاطب العقيلة زينب شامتاً (أرايت صنع الله بأخيك والعتاة المردة من أهل بيتك) قالت (عَلَيْكَ) (ما رأيت إلا جميلاً أولئك قوم كتب الله عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم وسيجمع الله بينك وبينهم فتحاج وتخاصم فانظر لمن الفلج يومئذ ثكلتك أمك يا بن مرجانة) فوصفت ما حصل بانه جميل .

والإمام الكاظم (عَلَيْكَ) في قعر السجون المظلمة والتعذيب وقيود الحديد لكنه كان يرى الجانب الآخر من الصورة ويقول في مناجاته (الهي طالما سألتك أن تفرغني لعبادتك وقد فعلت فلك الحمد) .

وهكذا النبي الكريم يوسف (عَلَيْكَ) يقول ﴿رَبِّ السَّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾ [يوسف : ٣٣] فالسجن مع عذابه ومشقته وضيقه يرى (عَلَيْكَ) فيه الصورة الأخرى وهي نجاته من مكائد النسوة وفخوخ الشيطان لإيقاعه في معصية الله تعالى والأمثلة كثيرة .

### نتيجة التفكير السلبي:

أما من يتعامل مع الأمور والأحداث بسلبية فانه يكون في شقاء وتعاسة ويكون عيشه منكداً ونحو الأسوأ من دون ان يغيّر في الواقع شيئاً لان الأحداث جارية شاء أم أبى عن أمير المؤمنين عليه (عَلَيْكَ) قال ( إنك إن صبرت جرت عليك

المقادير وأنت ماجور، وان جزعت جرت عليك المقادير وأنت مأزور<sup>(١)</sup>  
 حكي إن مكتشف الكهرباء اجري ٢٠٠٠ تجربة على نماذج المصباح  
 الكهربائي قبل أن يصل إلى مراده فسخروا منه وانك أتعبت نفسك وخسرت  
 الكثير في أجراء هذه التجارب الفاشلة فقال : ليس الأمر كذلك فقد استفدت  
 معلومة وهي أن هذه الألفي طريقة للعمل غير منتجة.

### مثال عن التفكير السلبي:

تقول احدى النساء أنها كانت أما لطفلين ثم حصلت مشاكل مع زوجها  
 وانفصلت عنه وكانت تشعر بضيق وحزن ومتعبة نفسيا وغاضبة على زوجها لأنه  
 تركها وترك مسؤولية إعالة الأطفال على عاتقها حيث كانت مسؤولة عن دفع  
 إيجار المنزل وفواتير الكهرباء والماء وغيرها وكانت الديون تتراكم عليها فبسبب  
 كل تلك الضغوط كانت تشعر بالحقد والكراهة الشديد تجاه زوجها وبسبب  
 الضغوط النفسية اصبح ذلك يؤثر على عملها فكانت ترتكب أخطاء في العمل  
 وتتأخر في إنجاز ما هو مطلوب منها في العمل لأنها محطمة ولا تستطيع العمل  
 بكفاءة عالية لإنجاز الأعمال المطلوب منها في وظيفتها ولكنها عندما قرأت كتاب  
 السر بدأت تغير طريقة تفكيرها وبدأت تنظر إلى الجوانب الإيجابية الموجودة في  
 حياتها حيث قالت إن الجانب الإيجابي الذي استفدته من زواجي هو الحصول  
 على طفلين جميلين وانها سعيدة بهم وبوجودهم بحياتها ولا تتحمل فكره فقدانهم  
 أو عدم وجودهم بحياتها فعندما بدأت تركز على الأمور الإيجابية والنعم

(١) ميزان الحكمة : ٢٦/٥.

الموجودة عندها في حياتها أصبحت أكثر راحة وأصبحت ممتنة لله وشاكرة لله على النعم الذي انعمها عليها وأصبحت مشاعرها إيجابية وبالتالي تركيزها وكفاءتها في عملها أصبح أفضل وإنتاجها في العمل أصبح أكثر وبالتالي بدء راتبها يزداد وبدأت تستطيع تسديد الفواتير....

### لكي تفكر بإيجابية:

ولكي يكون الإنسان معطاءً محباً للخير صبوراً عند الشدائد متفائلاً عليه ان يصلح عقائده وتصوراته ونظراته للحياة أولاً لأنها هي التي توجه سلوكه، لذا ينبغي ان يلتفت إلى أمور:

١- إن كل ما حوله هو خلق الله وان الناس عيال الله تعالى ، عن النبي ﷺ قال: (( الخلق كُلُّهم عيالُ الله عزَّ وجلَّ، فأحبُّ خلقه إليه أنفعهم لعِياله ))<sup>(١)</sup> وفي دعاء الإمام السجاد (عليه السلام) برواية أبي حمزة الثمالي ( والخلق كلهم عيالك ) فلا بد أن يكون كريماً معهم رحيماً بهم محباً لهم مهما كانوا.

٢- إن ما يجري هو بقضاء الله وقدره ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة : ٥١] وما دام الله مولانا وهو الذي يتولى أمورنا فلا يختار لنا إلا خيراً ولكننا قد لا نفهم ذلك ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ﴾ [البقرة : ٢١٦] فلا بد من التسليم له و الرضا به لان الاعتراض و السخط له عواقب وخيمة في الدنيا و

(١) أخرجه البزار (٢/٣٩٨) ح ١٩٤٩ - كشف الأستار - و البيهقي في شعب الإيمان (٦/٤٢٦) ح ٤٣-

الآخرة.

٣- إن الله تعالى يقول (انا عند ظن عبدي بي ان ظن خيرا فله، وان ظن شراً فله)<sup>(١)</sup> فمن يكون ظنه حسناً ويبحث عن الأمور الحسنة في الحياة فانه سيتحقق له ذلك بأذن الله تعالى

٤- إن الدنيا زائلة ولا يستحق أي شيء فيها أن يكون محط الاهتمام إلا ما يقرب إلى الله تعالى وينفع في الآخرة

٥- إن من ينظر إلى الجوانب الإيجابية الحسنة للأمور وان لم تكن كذلك حقيقة يكون سعيداً مرتاح البال وكفى بذلك ثمرة طيبة فالسعادة ليست في تحقيق كل ما تتمنى وتريد بل في كونك في طريق الوصول اليها وفي أجواء العمل من اجل تحقيقها.

٦- أما من ينظر إلى الأمور بسلبية فانه يكون في تعاسة وشقاء من دون أن يتغير حاله إلى الأفضل بل إلى الأسوأ.

(١) الترغيب والترهيب - صفحة او الرقم :٢١٥/٤.

(ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون) [الحجر: ٩٧]

## القرآن الكريم يخفف آلام العاملين الرساليين<sup>(١)</sup>

بسم الله الرحمن الرحيم

من السنن الجارية في الأمم عبر التاريخ تعرّض المصلحين والعاملين الرساليين وعلى رأسهم الأنبياء والرسل والأئمة المعصومون (صلوات الله عليهم أجمعين) إلى الإيذاء المادي والمعنوي من قبل المتسلطين والطواغيت وأصحاب النفوذ (الذين يسميهم القران بالملأ) وأتباعهم من الجهلة والمنتفعين والغوغاء [مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ] فصلت ٤٣ (وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا) [آل عمران: ١٨٦]، ويبيدي الله تبارك وتعالى على لسان أوليائه الحسرة والألم والتفجّع لهذا الموقف السلبي [يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ] (يس: ٣٠).

ويحكي القران الكريم فصلاً عديدة من هذه المواجهة تضمنت أقسى ألوان البطش والقسوة والانحطاط من قبل المعسكر الآخر وأسمى ألوان الصبر والمصابرة والجهاد والرحمة والشفقة من أولياء الله وعباده الصالحين، ورغم أن الإيذاء المادي المشتمل على القتل والتشريد والتعذيب الجسدي والسجن

(١) من حديث سماحة الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) مع بعض أتباعه يوم ١٥ ربيع الثاني ١٤٢٨ المصادف ٢٠٠٧/٥/٣ جواباً على شكواهم مما يتعرضون له من عدوان وتسقيط وحرمان من أبسط الحقوق من قبل إخوانهم.

والتجويع وغيرها كان قاسياً إلا أن ما يؤلم الصالحين أكثر هو الإيذاء المعنوي بالإعراض عن الاستماع إلى الحق وإتباعه وخلط الأوراق على الناس بالافتراء والكذب وقتل الشخصية بالتسقيط والتشويه لان الثاني هو الذي يحول دون نجاح مشروعاتهم الرسالي ويضع الحواجز بينهم \_ أي المصلحين \_ وبين الناس فيؤلمهم ابتعاد الناس وعدم اهتمامهم إلى الحق وتنعمهم بالرحمة التي جاؤوهم بها من ربهم [وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ] (الأنبياء: ١٠٧)، أما الأول فإنه يؤدي إلى التعاطف معه والالتفاف إليه واعتناق مبادئه ولو بعد حين للشعور بمظلوميته.

ومما يزيد في شدة وطأة الإيذاء المعنوي أن أتباع نفس الرسل والمصلحين يساهمون فيه عن علم وعمد أو عن جهل وغرور وأنانية بسوء تصرفهم وبعضياتهم وعدم الالتزام بتعاليم قادتهم وبضعفهم وتشتمهم والخلافات بينهم ونحوها، بينما لا يتوقع صدور النوع الأول من الأتباع والموالين.

وكان الإيذاء المعنوي أشد على قلب رسول الله (ﷺ) الذي وصفه الله تبارك وتعالى [لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ] (التوبة: ١٢٨)، لذا كان ربه الكريم الرحيم يسلي قلبه ويخفف عن آلامه ويطيب خاطره [وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ] (النحل: ١٢٧)، [وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ، فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ، وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ] (الحجر: ٩٧-٩٩).

بل إن سوراً كاملة نزلت لهذا الغرض كسورتي القصص ويوسف (ﷺ)، فالأولى تصف حالة الاستضعاف التي كان عليها قوم موسى (ﷺ) حيث كان

فرعون يقتل أبناءهم ويستحيي نساءهم وفي ذلك البلاء العظيم ولد موسى (ﷺ) فكان من لطف الله به وتدبيره له أن يأخذه فرعون الطاغية نفسه ويرعاه حتى أصبح رجلاً رافضاً لما عليه فرعون وقومه ثم غادر مصر خوفاً من القتل حتى ورد ماء مدين وتزوج هناك ثم عاد نبياً رسولاً كليماً لله تبارك وتعالى بمعجزة عظيمة يدعو فرعون إلى عبادة الله تبارك وتعالى واستطاع أن يهدي بمعاجزه سحرة فرعون وآمن به من آمن حتى عبأ له فرعون من الجيوش ما لا قبل لموسى والمؤمنين بهم ففلق الله تبارك وتعالى لموسى البحر وأنجاه ومن معه وأغرق فرعون وجنوده لينتصر موسى (ﷺ) ويقيم الحق والعدل وقد عبّر الله تبارك وتعالى عن هذا التدبير بتعبير رقيق [وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي] (طه: ٣٩)، أي لتُصنع هذه القيادة الفذة برعاية وتدبير مباشرين من الله تبارك وتعالى، وفي نهايتها تصل السورة إلى الهدف وهو تطيب قلب رسول الله (ﷺ) والتخفيف عن آلامه التي اشتدت في السنين الأخيرة من وجوده المبارك في مكة حيث حوَّصر ثلاث سنين في الشعب حتى فقد ناصرته خديجة وأبا طالب ثم أُمر بالهجرة ومغادرة مكة التي تعلق بها قلبه فوعده الله تبارك وتعالى بأنه عائدٌ إليها [إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَيْنَا] (القصص: ٨٥)، وما مرت إلا ثمان سنوات - وهي ليست كثيرة في عمر الزمن - حتى تحقق الوعد الإلهي بفتح مكة. وتحدث سورة يوسف عن ذلك الغلام الصغير الذي حسده أخوته فalcوه في الجب ليهلك ولم يكن هناك أمل بنجاته لكن التدبير الإلهي أتاه بقافلة لتستقي فخرج مع الدلو وباعوه في مصر إلى عزيزها الذي رباه واعتنى به ثم قرّبه لما وجد

عنده علماً وحكمة وتديراً وأمانة وصار بيد النبي الكريم مقاليد أمور الولاية بعد وفاة عزيزها وجاء نفس أخوته الذين كادوا له معترفين بجريمتهم طالبين العفو والصفح فتعامل معهم بسمو الأخلاق.

هكذا يلفظ الله تعالى بعباده وهكذا يصنع أوليائه ويدبر شؤونهم، وهكذا يخيب كيد الباغين والحاسدين والمنافقين والكافرين [وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ] (فاطر: ٤٣).

إن ما يمرّ بنا اليوم من بلاء وما مرّ بنا أيام صدام وغيره من الطواغيت لا يستحق أن يذكر في جنب ما أصاب أولياء الله الصالحين في الأمم السالفة حيث ورد في الروايات أنهم نشروا بالمنشير وقرضوا بالمقاريض وحفرت لهم أخاديد النار والقوا فيها ففضوا حرقاً (سورة البروج) والمتوقع من المتهاكين على السلطة وحب الدنيا أن يفعلوا ما هو أسوأ لولا لطف الله تبارك وتعالى، فخير ما يسليكم ويطمئن قلوبكم وينور بصائركم ويثبت أقدامكم هو القرآن الكريم فاتخذوه قائداً وهادياً. وقد عشت مثل هذه التجربة مع القرآن ولا زلت أعيش لذة الأيام التي قضيتها في كنفه في ثمانينات القرن الماضي حينما كنت حبساً في الدار لا ادري في أي لحظة يقبض عليّ الطغاة ويعدمونني الحياة.

وإن مما يخفف الآلام والمصاعب ويدفعنا إلى بذل المزيد من الجهود هو أن نلتفت إلى النعمة التي منحنا الله تبارك وتعالى إياها في هذا الزمن حيث تتوفر أعظم فرصة لبناء المستقبل الزاهر لامتنا وننفذ غبار السبات الذي أصابها منذ أكثر من ألف عام، ونمهّد لدولة الحق والعدل ببناء أنفسنا ومجتمعنا ومؤسساتنا

على أسس الإخلاص والتقوى والعمل الصالح بعيداً عن المتصارعين على الدنيا الفانية الزائلة. لقد كان أصحاب الإمام الحسين (عليه السلام) يتسابقون إلى الموت فرحين مسرورين لان الإمام (عليه السلام) كشف لهم عن بصائرهم فرأوا منازلهم في الجنة أي رأوا نتائج تضحياتهم والمستقبل العظيم لما يقومون به فصغر في أعينهم ما يلاقون من ألم الجراح وهذا التفسير منسجم مع ما نعتقده من تجسم الأعمال. وإذا كانت تلك التضحيات لإبقاء الحياة وجزوة الضمير في جسد الأمة فإن تضحيات اليوم ستؤدي إلى بعثها من جديد وحركتها نحو بناء دولة الحق والعدل.

## القبس القرآني

١١٣

(فاستخف قومه فأطاعوه إثمهم كانوا قوما فاسقين) [الزخرف/٥٤]  
 (١) قابلية الشعوب على الاستعباد

لو قرآنا الآية بمعزل عن السياق لكان ظاهرها ان فرعون أمر قومه ان يخفوا ويسرعوا لنصرته ويبادروا للخروج معه للقضاء على النبي موسى (ﷺ) واتباعه وهم أطاعوه واستجابوا لدعوته التي اشير اليها في قوله تعالى (فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ) (الشعراء/٥٣) وبهذا المعنى ورد في خطبة السيدة الزهراء (عليها السلام) في مسجد أبيها (ﷺ) (وأطلع الشيطان رأسه من مغرزه هاتفاً بكم، ثم استنهضكم فوجدكم خفافاً) (٢) بعكس الثاقل الذي يعني التباطؤ والتكاسل قال تعالى (مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنْتَقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ) (التوبة/٣٨).

لكننا لو قرآنا الآية ضمن سياقها فإنها تعني ان فرعون استخف بعقول قومه ووجدهم سلسي القياد طائشين نزقين لا حكمة لهم ولا رشد ولا وعي ولا بصيرة ينعقون مع كل ناعق فمضى في مشروعه الاستكباري والاستعلائي واستعباد الناس

(١) كلمة سماحة المرجع الشيخ اليعقوبي (دام ظله) في حشد كبير من الطلبة والشباب الذين شاركوا في المعاشة التي تنظم في النجف الاشرف في العشر الاواخر من شهر رمضان وتتضمن برامج دينية وتوعوية واخلاقية وقد زارهم سماحته في محل اقامتهم يوم الاحد ٢٧ رمضان ١٤٣٧هـ المصادف ٢٠١٦/٧/٣م.

(٢) الاحتجاج: ١٣٠/١

وتسييرهم وفق هواه، وهم صدّقوا ظنه فيهم حين أطاعوه ورضوا بحالة العبودية فهي هنا كما في قوله تعالى (فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يُسْتَخَفُّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ) (الروم/٦٠) أي لا يذهبن بحلمك وعقلك ما يفعله المشركون.

وتعلّل الآية الكريمة هذه الحالة عند قوم فرعون بأنهم كانوا فاسقين خارجين عن حدود العقل والفطرة ومجردين من الخصائص الإنسانية الكريمة، ورضوا لأنفسهم حياة الذل والهوان والعبودية، والفسق لغةً هو الخروج، وفي لغة العرب 'فسق الرطب' إذا خرج عن قشره، وفي المصطلح: الفسق هو الخروج عن حدود الشريعة والعقل والفطرة.

وهذا يعني انهم لو لم يكونوا فاسقين خارجين عن صراط الحق طائعين لأهوائهم لما استطاع فرعون ان يستعبدهم ويستخف بهم، فالمظالم والكبائر التي يرتكبها الطغاة ليسوا فقط هم المسؤولين عنها، وإنما تتحمل الشعوب جزءاً من المسؤولية إزاء ما يحلّ بها لأنها مكنتهم من ذلك بفسقها وانحرافها، واستسلموا لخداع ومكر الزعامات والمتسلطين، فأعانوا عدوهم - من شياطين الانس والجن - على أنفسهم، أما المؤمنون المتبعون للقيادة الحقّة فإنه يصعب خداعهم وسوقهم.

فالآية تقدّم لنا حقيقة سبق اليها القرآن الكريم وقرّرنا قبل ان يتوصل اليها علماء الاجتماع بعد قرون طويلة وهي ان الشعوب المستضعفة والمستعبدة من قبل الطواغيت او القوى الخارجية المحتملة لا تسقط في هذه الانتكاسة إلا لأنها تتوفر فيها قابلية الاستعباد، وعلى تعبير بعضهم قابلية الاستعمار، وعلى تعبير آخر: قابلية

الاستحمار لان الشعوب حينئذٍ تُقَادُ الى حيث يريد مستعدوها بلا بصيرة ولا وعي وإدراك لمصيرها البائس الذي تسير اليه بحيث تغفل هذه الشعوب عن أشد المظالم وأوضح الجرائم بحقها وتصرّ على السير خلف الظالمين المستبدين فيسوقونهم الى الموت ويسلبون أموالهم ويُسَخِرُونَهُمْ لتحقيق نزواتهم وهم يصقّقون لهم ويقدمونهم ويطيعونهم طاعة عمياء.

والتأمل في سلوك فرعون مع شعبه الذي حكته الآيات الشريفة السابقة يشير الى الأساليب التي يتبعها الطواغيت والمستكبرون لتدجين الشعوب واستخفافها وهي لا تختلف عن أساليب اليوم إلا من حيث الشكل والأدوات التي تتغير تبعاً للزمان وإلا فالحقيقة واحدة.

قال تعالى (وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ، أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَمْهُونٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ، فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسُورَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ، فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ) (الزخرف: ٥١-٥٤).

والأساليب هي:

١- سلب حالة الوعي والادراك والفتنة التي عبّر عنها القرآن الكريم بـ(البصيرة) وتكريس حالة الجهل والتخلف والانقطاع عن أسباب المعرفة الحقيقية والاهتمام بالقشور وقلب موازين التقييم من معنوية حقيقية جوهرية الى مادية سطحية زائفة وهكذا ضمن عملية غسل دماغ تسلب عقولهم ووعيهم ويتحولون الى قطع منفذ للأوامر، ولذا قال لهم (أَفَلَا تُبْصِرُونَ) فدعاهم الى النظر

الحسِّي ولم يدعوهم الى التأمل والتدبر والتفكر لئلا تظهر الحقائق ويُفتضح المخادع، والأمور التي دعاهم فرعون الى إبصارها قريبة محسوسة أما موسى (ﷺ) فيدعوهم الى الايمان بامورٍ غيبيةٍ بعيدة عن إدراك الناس الغافلين.

وتحاط عملية غسل الدماغ احياناً بالقدسية والخطوط الحمراء التي لا تقبل النقاش، وهنا يكون دور لعلماء الدين المحبين للعالم والواجبات المؤثرة في المجتمع (السحرة ومعبرو الاحلام في قوم فرعون) لإضفاء هذه القدسية وشرعنة ما يفعله الطغاة وإدامة سلطتهم وهيمنتهم وإحكام الطوق على الشعوب المستعبدة باسم الدين وشعائره، لكن أي دين؟ لقد وصفهم أمير المؤمنين (ﷺ) بأنهم (لبسوا الإسلام لبس الفرو مقلوباً)<sup>(١)</sup>.

وهذا ما يدفع الزعامات الحريصة على مواقعها الى استخدام كل أساليب البطش والقسوة المادية والمعنوية بحق المصلحين الواعين الذين ينهضون لإيقاظ الأمة وتبصرتها وترشيد سلوكها، وتحريرها من الاغلال والآصار التي تُحجّر على عقولهم وتلوث باطنهم وفطرتهم<sup>(٢)</sup>.

٢- استحقاق الآخر (فرداً او شعباً) والاستهزاء به لسحق شخصيته وإظهار عجزه وضعفه ليقنع بأنه مخلوق ليكون تابعاً لغيره فموسى (ﷺ) عند فرعون (مهين) لأنه من بني إسرائيل المستضعفين المواطنين من الدرجة الثانية الذين لا

(١) شرح نهج البلاغة ج ٧ ابن أبي الحديد ص ١٩١.

(٢) راجع خطاب المرحلة ج ٩ ص ٢٠٢ تحت عنوان (ويضع عنهم أصرهم والاعلال التي كانت عليهم).

يحق لهم العمل إلا في المجالات المتدنية كرعى الأغنام وخدمة الأغنياء والمترفين، وكان المظهر الخارجي لموسى (ﷺ) متواضعاً قال أمير المؤمنين في وصفه (وَلَقَدْ دَخَلَ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ وَمَعَهُ أَخُوهُ هَارُونُ ﷺ عَلَى فِرْعَوْنَ وَعَلَيْهِمَا مَدَارِعُ الصُّوفِ وَبِأَيْدِيهِمَا الْعِصِيُّ فَشَرَطَا لَهُ إِنْ أَسْلَمَ بَقَاءَ مُلْكِهِ وَدَوَامَ عِزِّهِ فَقَالَ أَلَا تَعْجِبُونَ مِنْ هَذَيْنِ يَشْرَطَانِ لِي دَوَامَ الْعِزِّ وَبَقَاءَ الْمُلْكِ وَهُمَا بِمَا تَرَوْنَ مِنْ حَالِ الْفَقْرِ وَالذُّلِّ فَهَلَا أَلْقِيَا عَلَيْهِمَا أَسَاوِرَةً مِنْ ذَهَبٍ إِعْظَاماً لِلذَّهَبِ وَجَمْعِهِ وَاحْتِقَاراً لِلصُّوفِ وَكُبْسِهِ)<sup>(١)</sup>.

ووصفه فرعون ثانية بأنه (ولا يكاد يبين) مستغلاً ما كان معروفاً عن موسى (ﷺ) قبل خروجه من مصر بأنه كانت له عقدة في لسانه فلا يكاد يبين ما يريد

(١) نهج البلاغة: الخطبة ١٩٢ ويشير الامام (عليه السلام) الى الحكمة في ذلك، وقال (عليه السلام) (وَلَوْ أَرَادَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِأَنْبِيَائِهِ حَيْثُ بَعَثَهُمْ أَنْ يَفْتَحَ لَهُمْ كُنُوزَ الذَّهَبِ وَمَعَادِنَ الْعِزِّ وَمَعَارِسَ الْجِنَانِ وَأَنْ يَحْشُرَ مَعَهُمْ طُيُورَ السَّمَاءِ وَوُحُوشَ الْأَرْضِينَ لَفَعَلَ وَكَوَفَعَلَ لَسَقَطَ الْبِنَاءُ وَبَطَلَ الْجَزَاءُ وَاضْمَحَلَّتِ الْأَنْبَاءُ وَكَمَا وَجَبَ لِلْقَائِلِينَ أَجُورُ الْمُتَبَلِّغِينَ وَكَأِ اسْتَحَقَّ الْمُؤْمِنُونَ ثَوَابَ الْمُحْسِنِينَ وَكَأِ لَزِمَتِ الْأَسْمَاءُ مَعَانِيهَا وَلَكِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ جَعَلَ رُسُلَهُ أُولِي قُوَّةٍ فِي عِزَائِهِمْ وَضَعَفَةً فِيمَا تَرَى الْأَعْيُنُ مِنْ حَالَاتِهِمْ مَعَ قَنَاعَةِ تَمَلُّ الْقُلُوبِ وَالْعُيُونَ غِنَى وَخِصَاصَةِ تَمَلُّ الْأَبْصَارِ وَالْأَسْمَاعِ أَذَى وَكَوَفَعَلَتْ الْأَنْبِيَاءُ أَهْلَ قُوَّةٍ لَا تُرَامُ وَعِزَّةٍ لَا تُضَامُ وَمُلْكٍ تَمُدُّ نَحْوَهُ أَعْنَاقُ الرِّجَالِ وَتَشْدُو إِلَيْهِ عَقْدُ الرِّحَالِ لَكَانَ ذَلِكَ أَهْوَنَ عَلَى الْخَلْقِ فِي الْإِعْتِبَارِ وَأَبْعَدَ لَهُمْ فِي الْإِسْتِكْبَارِ وَكَأَمَّنُوا عَنْ رَهْبَةِ قَاهِرَةٍ لَهُمْ أَوْ رَغْبَةِ مَائِلَةٍ بِهِمْ فَكَانَتِ النَّيَاتُ مُشْتَرَكَةً وَالْحَسَنَاتُ مُقْتَسَمَةً وَلَكِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ الْإِتْبَاعُ لِرُسُلِهِ وَالتَّصَدِيقُ بِكُتُبِهِ وَالْخُشُوعُ لَوَجْهِهِ وَالِاسْتِكَانَةُ لِأَمْرِهِ وَالِاسْتِسْلَامُ لِطَاعَتِهِ أُمُوراً لَهُ خَاصَةً لَا تَشُوبُهَا مِنْ غَيْرِهَا شَائِبَةٌ وَكُلَّمَا كَانَتِ الْبُلُوى وَالِاخْتِبَارُ أَعْظَمَ كَانَتِ الْمُتُوبَةُ وَالْجَزَاءُ أَجْزَلَ).

قوله بوضوح فخدعهم بهذه الحالة التي كانت قبل بعثه بالنبوة، فلما بعثه الله تعالى بها شكى حاجته (وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ) (الشعراء/١٣) (وأخي هَارُونَ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا) (القصص/٣٤) ودعا ربه بإطلاق لسانه (وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي، يَقْفَهُوا قَوْلِي) (طه/٢٧-٢٨) وقد استجاب الله تعالى دعاءه وأطلق لسانه (قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى) (طه/٣٦).

٣- إقناعهم بحاجتهم لهؤلاء المستكبرين وانهم لا يستطيعون الحياة بدونهم وخلق حالة رعب وقلق وخوف (فوييا) من البديل (وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ) كان نهر النيل والانهار والجداول المتفرعة عنه التي روي انها وصلت الى ٣٦٠ فرعاً مصدر حياة المصريين ورخائهم وازدهارهم وفخرهم وعزتهم، فصور لهم ان هذه الشبكة الإروائية تجري بأمره ووفق تدبيره وهي تحت سلطته وقدرته، وموسى (عَلَيْهِ السَّلَامُ) لا يملك شيئاً من هذا والذهب معه يحرمكم من هذه العزة والرخاء.

٤- خلق حالة الانبهار به لدى الطرف الآخر وجعله باهتاً امام هذه

الجبروت

والعظمة التي هي زائفة في الحقيقة فتأخذ بألباب الناس ومجامع قلوبهم وعقولهم ويكون غاية هم الناس أن ينالوا شيئاً من فتات دنياهم (قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي) (فَلَوْلَا أَلْقَيْ عَلَيْهِ أُسُورَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاء مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ) وحالة الانبهار تولد تبعية وانقياد لما أنبهر به: ولا يفكر المنبهرون حينئذٍ في الخروج عن طاعتهم فضلاً عن التفكير في إزالتهم وإقامة

## النظام البديل.

فالمستكبرون يوهمون الناس بأن من يتطلع الى القيادة والأمرة لابد ان يكون كالفراعنة متزينا بالذهب والفضة ويملك الثروة طائلة، وهذا غاية الاستخفاف بالناس أن يجعل دليل صدق النبوة والسفارة الإلهية وتبليغ رسالة الله تعالى حيازته للثروة والذهب والاعراض عن الآيات والبيئات التي جاءهم بها وهو نفس إشكال قريش في الآية (٣١) من سورة الزخرف (وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقُرَيْتَيْنِ عَظِيمٍ).

وكان سرد هذه الحكاية عن آل فرعون هو موعظة وتحذير لقريش من سلوك هذا المنهج الضال، ولا شك ان عملية الإصلاح في المجتمع المترف اقتصادياً والمستقر يكون أصعب ويواجه عقبات جمّة ورفضاً من عامة الناس فضلاً عن المتسلطين.

وكرر فرعون الاشكال الذي أثارته الأمم المكذّبة على انبيائها بأن الله تعالى لو شاء أن يبعث رسولاً لجعله ملكاً ولو اختاره انساناً فلا بد أن تأتي معه الملائكة (أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِيَنَا بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةَ قَبِيلًا) (الإسراء/٩٢).

ولم يغب عن فرعون إثارة النعرات والعصبيات الجاهلية بقوله (يا قوم) وهم الاقباط المتسيّدون قوم فرعون لعزل موسى ومن معه من بني اسرائيل.

وهنا يأتي قوله تعالى (فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَاطَاعُوهُ) وفيه إشارة الى ان فرعون كان يعرف انه مخادع وأن أدلته لا قيمة لها لكنه استخف بعقول قومه واستصغر

شأنهم واستعمل وسائل الخداع والمكر مع الاغراء والترهيب فوجدهم طائعين  
ومسلمين له.

هذا السلوك الفرعوني هو ديدن الطواغيت والمستكبرين والطامحين الى  
الزعامة والتسلط على رقاب الناس في كل زمان ومكان وأدواتها في تطور مستمر،  
لاحظ سلوك الحكومات الغربية تجاه شعوبنا الإسلامية من أجل السيطرة عليها  
وسلب خيراتها والتحكم في شؤونها مما يسمى بالاستعمار، فهم يسحقون شخصية  
هذه الشعوب ويشعرونها دائماً بالدونية وجعلهم مستهلكين غير قادرين على بناء  
حضارة متينة قادرة على البقاء والتقدم وإن كانوا من حيث المظاهر المادية في  
أرقى صورها - كدول الخليج مثلاً - فهم دائماً مرتهنون لأولئك المتحكمين.

كما استطاعوا أن يبهروا شعوب المنطقة بإبراز مظاهر التقدم العلمي  
والتكنولوجي وهذا الانبهار أدى الى الانسياق وراء كل ما يصدر عنه الينا من تقاليد  
وأفكار وسلوكيات كسرب الخمر والانحلال الخلقي تحت شتى العناوين وإشاعة  
الفاحشة باسم الفن او الرياضة او الحرية، والبحث عن اللهو والعبث واللعب  
وهكذا في سائر أنماط الحياة الاجتماعية والاقتصادية والفكرية، حتى سوقوا أكثر  
الجرائم انحطاطاً كزواج المثليين بقوانين رسمية تحت عنوان الحرية الشخصية  
وأمثالها والاعتداء على الإسلام ورسوله الكريم محمد (ﷺ) بذريعة حرية  
التعبير عن الرأي وأمثالها من الامور التي جعلوها مقدسة لا يجوز المساس بها ما  
دامت تصب في مصالحهم بينما يعاقبون بشدة من يتحدث بمضالمهم ويفضح  
ادعاءاتهم - كمعاداة السامية - ولا يشفع له حرية التعبير عن الرأي.

واستغلوا أنس الناس الغافلين بالماديات المحسوسة وسرعة التصديق بها لينكروا الغيبات وما وراء المادة، والناس لا تفرّق بين ما يدرك بالحواس المادية وما يدرك بالعقل والفطرة الإنسانية السليمة. ولجعل الشعوب في غفلة دائمة وإشغال فكرهم اعتمدوا سياسة الالهاء تارة بالسباقات الرياضية التي ما ان تنتهي واحدة حتى تبدأ الأخرى، وبالحرية الجنسية وبوسائل التواصل الاجتماعي وتقنيات وسائل الاعلام والمواقع الالكترونية وشبكة الانترنت التي تقدّم باستمرار الجديد والمثير والجذاب فينشغل الناس بهذه ولا يفكرون في مناقشة أوضاعهم الاجتماعية وإصلاحها ولا يبقى عندهم وقت للتأمل والتدبر قال تعالى (مَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ، لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السَّحَرَ وَأَنْتُمْ تَبْصُرُونَ) (الأنبياء/٢-٣).

خذ مثلاً تصويت أغلب البريطانيين قبل أيام لصالح انسحابهم من الاتحاد الأوروبي مع انه قرار ليس لصالحهم لكن الدوائر الاستكبارية التي تريد تمزيق الاتحاد الأوروبي نجحت في خداع هذه الاغلبية بالكاذب والمخاوف المفتعلة والغريب ان البريطانيين بعد أن صوتوا للخروج ذهبوا بالملايين الى المواقع الإلكترونية ليسألوا عن ماهية الاتحاد الأوروبي والفوائد التي تجنيها بريطانيا من بقاءها فيه، فكيف صوتوا وهم لا يعرفون شيئاً عن أصل الموضوع.

وفي الختام نشير الى ان علاج هذه الحالة -أي قابلية الاستعباد- التي تؤسس للانحطاط يبدأ باجتثاثها من عقل الانسان وقلبه ونفسه وقد اختصره أمير

المؤمنين (ﷺ) بقوله (لا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حراً)<sup>(١)</sup> أياً كان هذا الغير: أهواء النفس الأمارة بالسوء او الطواغيت والزعامات المصطنعة، أو شياطين الجن والانس.

---

(١) غرر الحكم / ح ١٠٣٧١.

## (يا أيها الناس إن وعد الله حق) (١)

[فاطر: ٥]

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّبَكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّبَكُمُ بِاللَّهِ الْغُرُورُ\* إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ) (فاطر ٥/٦).

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ) نداء لكل البشر وليس فقط الكافرين او الفاسقين او الذين اسلموا او الذين امنوا لان الناس كلهم معنيون بهذا النداء ومن المتعارف ان من يصيح يا أيها الناس فان الناس يلتفتون اليه ويصغون لما يقول لان مثل هذا النداء يتبعه امر مهم او تحذير من شيء خطير او نحو ذلك، فكيف اذا كان المنادي رب العزة والجلال على لسان مئة وأربعة وعشرين الف نبي ومرسل.

(إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ) هذه هي القضية المنادية بها وقد تكرر ذكرها في غير موضع من كتاب الله كقوله تعالى (إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّبَكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّبَكُمُ بِاللَّهِ الْغُرُورُ) (لقمان ٣٣) وحاصلها ان ما وعدكم الله به من انتهاء حياتكم الدنيا بالموت و وجود حياة بعد الموت يكافأ فيها المحسن على أساس احسانه ويعاقب المسيء على اساءته ولكل من المثوبة والعقوبة درجات ودرجات، كله حق لا بد ان يقع والا كان ظلماً (وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ) (آل

عمران/١٨٢) لانه يعني مساواة الظالم والمظلوم والجلاد والضحية والمسيء والمحسن وهذا باطل وخلاف الحكمة والعدالة (رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ) (آل عمران / ١٩١) (وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَآعِينَ) (الأنبياء / ١٦) .

وهذا الاعلان عن الوعد الحق فيه تحذير للعاصين والظالمين حتى یرتدعوا، وفيه تطمين المظلوم والمحروم بانه سيأتي اليوم الذي يعوضه الله تعالى فيه ويرد اليه الحق فيستقر ويهدأ.

ومادام الموت حق ومنكر ونكير حقاً والنشور حقاً والحساب حقاً والجنة والنار حقاً وكل ما اخبر به الأنبياء والرسل، اذن (فَلَا تُغْرِبْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا) فلا تخدعكم الدنيا بزينتها ومظاهرها الخلافة من مال وبنين وعشيرة وجاه وزعامة ومواقع في السلطة واي شيء اخر فأنها كلها تزول لذتها وتبقى تبعثها فالمظاهر الدنيوية التي تبعدكم عن الله تعالى عدو لكم فاحذروها وعليكم ان توظفوا ما حولكم الله تعالى به من أمور الدنيا للفوز بالأخرة واكتساب الجنان ( الدنيا مزرعة الاخرة)<sup>(١)</sup> .

(وَلَا يُغْرِبْكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ) وهذا هو العدو الآخر، أنه الشيطان (الْغُرُورُ) وهي صفة مشبهة او صيغة مبالغة من الغرور أي إن التغيرير بالآخرين صفته اللازمة لذاته ووظيفته التي لا يتوقف عنها، ويواجه الانسان مع هذين العدوين العدو الأول والاكبر وهي النفس الامارة بالسوء الميالة الى اللهو واللعب وارتكاب المعاصي

((١) غوالي اللاكي ١: ٢٦٧ / ح ٦٦.

والمليئة بالشهوات والغرائز النهمة التي لا تشبع في الحديث الشريف عن رسول الله ﷺ: (أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك)<sup>(١)</sup>، وكل ما يقوم به العدوان الاخران (الشیطان والدنيا) هو استثارة هذه الشهوات والغرائز وتزيينها والتعمية على العقل والفطرة بالخداع والتغريير وخلط الأوراق وتشبيه الباطل بالحق ونحو ذلك، أي انها كالعامل المساعد في علم الكيمياء الذي يساعد على التفاعل ويسرعه كوجود النفط او البنزين على الخشبة المحترقة ((وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقُّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِّنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلْمُزُونِي وَلَوْ مَوْأ أَنفُسِكُمْ)) (إبراهيم/٢٢).

وتغريير الشيطان يكون من طريقين:

١- تزيين مشتريات النفس واهوائها كالشهوة والغضب والعصبية والحسد وغيرها وكذلك تزيين زخارف الدنيا وبها رجها بغض النظر عن موافقتها لما يرضي الله تبارك وتعالى وعدمها.

٢- الاغترار بحلم الله تعالى وطول اناته عن الظالمين وعفوه وكرمه فيدعوه ذلك الى تسويق التوبة والتمادي والاستمرار على المعصية، والا ما الذي يدعو العاصي الى ارتكاب المعاصي وهو يعلم انها معصية وفيها غضب الله تبارك وتعالى وسوء العاقبة في الدنيا والاخرة لولا هذا الاغترار وفي دعاء ابي حمزة الثمالي عن الامام السجاد (إلهي لَمْ أَغْصِكَ حِينَ عَصَيْتُكَ وَأَنَا بِرُبُوبِيَّتِكَ جَاوِدٌ وَلَا بِأَمْرِكَ مُسْتَخِفٌّ وَلَا لِعُقُوبَتِكَ مُتَعَرِّضٌ وَلَا لِعِيدِكَ مُتَهَاوِنٌ، لَكِنَّ خَطِيئَةً عَرَضَتْ

((١) المجلسي - محمد باقر - بحار الأنوار - مؤسسة الوفاء، الطبعة الثانية المصححة - ج ٦٧ ص ٣٦.

وَسَوَّلْتُ لِي نَفْسِي وَعَلَّنِي هَوَايَ وَأَعَانَنِي عَلَيْهَا شِقْوَتِي وَعَرَّتَنِي سِتْرَكَ الْمُرْخَى عَلَيَّ<sup>(١)</sup> وقد يستغل الشيطان حالة الاستدراج والاغراق بالنعم التي يملي بها الله تعالى العاصين ليوهمه بأنه على صواب وان الخير كل الخير هو في الاستمرار على هذا المنهج الذي هو باطل ومنحرف، مادام يجلب له هذه السعادة الموهومة فيستمر على عصيانه ويتسافل اكثر في جهنم.

وتعلل الآية التالية هذا الفعل من الشيطان وسببه (إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ) وقد أعلن هذا العداء منذ بدأ الخليقة حينما لعن وطرد من زمرة الملائكة عقب استكباره عن السجود لآدم، وقد شهر سلاحه ونصب فخوخه لكم بجميع الاتجاهات (قَالَ فِيمَا أُغْوِيَنِي لِأَفْعَدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ \* ثُمَّ لَأَنبِتَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَكَلَّا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ) (الأعراف/١٦-١٧).

فعداؤه لكم دائم ودائب من حيث تتوقعون ومن حيث لا تتوقعون (إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ) (الأعراف/٢٧) وهذا الخفاء يعقد المواجهة ويصعبها، تصوروا ان واحد من فخوخه وخدعه وهو الشرك الخفي كالرياء يوصف خفاؤه في باطن الانسان في الحديث النبوي الشريف ( ان الشرك اخفى من ديب النمل على صفاة- أي صخرة- سوداء في ليلة مظلمة )<sup>(٢)</sup> أذن كيف يمكن معرفة كل فخوخه وخدعه

(١) دعاء أبي حمزة الثمالي للإمام علي ابن الحسين زين العابدين.

(٢) بحار الانوار: ٩٣/٧٢ ح ٢.

لولا لطف الله تعالى.

وامام هذا الهجوم الشرس والمستمر بكل الوسائل والخدع والمكائد فعليكم ان تقابلوه بالمثل (فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا) وليس من العقل والحكمة أن تغفلوا عنه وتتسامحوا مع خطئه وأساليبه فضلاً عن اتباعه والانسحاق وراء تسويلاته وترينه (أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ) (الكهف/٥٠) ولعله اليوم أكثر خبرة وتقنية مما سبق وقد استطاع في أول محاولة مخادعة آدم (عَلَيْهِ السَّلَامُ) (فَدَلَاهُمَا بِغُرُورٍ) (الأعراف/٢٢) فكيف اليوم وقد كثرت أدواته وتفنن فيها شياطين الانس والجن (أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ \* وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ \* وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبَلًا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ) (يس/٦٠-٦٢).

وهذا الشيطان لا يرضى من الناس إلا ان يرميهم في السعير (إِنَّمَا يَدْعُو حَزْبَهُ) (فاطر/٦) واتباعه والحزب الجماعة الذين يوحدهم هدف معين ولهم تأثير وفاعلية (لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ) كما ان شياطين الانس ودوائر الاستكبار والماسونية لا ترضى من الناس الا ان ينحطوا الى احس درجات الهمجية التي تترفع حتى الوحوش عن ممارستها بحيث يُسَنَّ الشذوذ الجنسي المسمى بزواج المثليين بقانون رسمي تُباركه الحكومات التي تدعي التحضّر.

اما سلاح الانسان في هذه المواجهة الشرسة والمعقدة والمفتوحة على الجميع الاتجاهات فانه أولا بعد التوكل على الله تعالى وطلب العصمة والتسديد والتأييد ففي دعاء نهار شهر رمضان (اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيَّ مُحَمَّدٍ وَآلِ

مُحَمَّدٌ، وَأَعَدَّنِي فِيهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ وَهَمَزُهُ وَلَمَزُهُ وَنُقِثَهُ وَنُقِخَهُ وَوَسَّوَسَتِهِ وَتَثْبِيطِهِ وَبَطْشِهِ وَكَيْدِهِ وَمَكْرَهُ وَحَبَائِلِهِ وَخُدَاعِهِ وَأَمَائِيهِ وَعُرُورِهِ وَفِتْنَتِهِ وَشَرَكِهِ وَأَخْزَابِهِ وَأَتْبَاعِهِ وَأَشْيَاعِهِ وَأَوْلِيَائِهِ وَشُرَكَائِهِ وَجَمِيعِ مَكَائِدِهِ).

وثانيا: الحذر والحيلة والتحفظ والانتباه الى كل اشكال المكر والخداع حتى وإن ألبست ثوب الخير والطاعة والدين والنصيحة، فان الشيطان يأتي لكل فرد أو جماعة من الجهة التي يخدعهم بها فعنده أدوات لعلماء الدين وأخرى للتجار وأخرى للسياسيين وأخرى للزعماء والوجهاء وأخرى للنساء وأخرى للشباب وهكذا مما يتطلب ذكرها الى تفصيل، ورد عن أمير المؤمنين (عليه السلام) ان من وصايا الله عز وجل الى موسى بن عمران (عليه السلام) التي أوصاها بحفظها (ما دمت لا ترى الشيطان ميتاً فلا تأمن مكره)<sup>(١)</sup>، والجزء الاخر من الأمور كلها على ميزان العقل والفطرة والدين واتباع من أمر الله تعالى باتباعه.

وثالثا: كان المرحوم الشيخ جعفر الشوشتری صاحب كتاب الخصائص الحسينية (توفي سنة ١٣٠٣هـ) واعظاً مؤثراً وله منبر وعظ في الصحن الحيدري الشريف يحضر عنده العلماء والفضلاء وعامة الناس، وذات يوم قال للحاضرين بلغني من مخبرين ثقات ان سراقاً تخللوا صفوفكم ليقتنصوا الفرصة ويسرقون ما في جيوبكم فأوصيكم بالحذر والانتباه، وهنا هاج الناس ولملموا ثيابهم وصاروا يراقبون كل حركة ولما سكن المجلس قال لهم: ألا تعجبون من غفلتنا وتقصيرنا إذ نهتم كل هذا الاهتمام بدرهم نخشى سرقة وهو متاع زائل ولا نكثر لنداء

الله تعالى وانبيائه ورسله بأن الشيطان لكم عدو متربص بكم ويريد أن يسرق منكم دينكم وتقواكم وهو أئمن ما يجب المحافظة عليه لأنه سبب نجاتكم وفوزكم في الآخرة فكيف نخفل عنه وتسقط في تسويلاته.

(فسيئفقونها ثم تكون عليهم حسرة) <sup>(١)</sup> [الأنفال: ٣٦]  
 من لا يقدم ما عليه في طاعة الله تعالى يعطي  
 أكثر منه في معصيته

قال تعالى (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ) (الأنفال/٣٦)

وردت الآية في سورة الانفال ضمن سياق الحديث عن معركة بدر وملابساتها ونتائجها، وتشير الى حماقة وجهل وسوء عاقبة مشركي قريش الذين كفروا وتمردوا واستكبروا عن الايمان بالله تعالى وطاعته ورفضوا تكاليفها لكنهم أصروا على عبادة الاصنام وأنفقوا اموالاً ضخمةً لتجهيز المقاتلين <sup>(٢)</sup> للقضاء على النبي (ﷺ) وأصحابه المؤمنين وانهاء دعوته المباركة.

فالأموال التي بخلوا بها ولم ينفقوها في طاعة الله تعالى لم ينتفعوا بها فقد انفقوها في الصد عن سبيل الله تعالى سواءً بالحرب على المؤمنين او بمنع إقامة شريعة الله تعالى او بإبعاد الناس عن الدين ونحو ذلك من اشكال الصد عن سبيل الله تعالى فكانت عليهم حسرةً في الدنيا لأنهم صرفوها في مضرتهم وجلب العار لهم او تركوها لذريتهم ولم تنفعهم إذ غلبوا وهزموا ثم الحسرة الأكبر والعاقبة

الخطبة الثانية لصلاة عيد الفطر السعيد لسنة ١٤٣٧ الموافق ٢٠١٧/٧/٦. (١).

في تفسير البرهان: ١٦٤/٤: (وما بقي من عظماء قريش إلا اخرجوا مالاً وحملوا ووقروا. (٢)

الأفطع في الآخرة حيث يساقون الى جهنم بكل إهانة وتعذيب.

وظاهر الآية ان كونهم كافرين يدفعهم الى هذا الفعل وكما قالوا ان تعليق الحكم على الوصف يشعر بالعلية، فان كفرهم هذا سبب وعلة تدعوهم الى هذا الظلم والفسق ويؤدي بهم الى جهنم التي هي حصاد افعالهم (وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ) والحشر لغةً (إخراج الجماعة عن مقرهم وإزعاجهم الى الحرب ونحوها ولا يقال الحشر إلا في الجماعة) كما عن الراغب في المفردات.

فتجمّعهم في الدنيا ضد الحق وأهله وخروجهم حاشرين لمحاربة الله ورسوله تجسّم بخروجهم حاشرين الى جهنم افعالهم يوم القيامة.

فالآية تكشف عن حقيقة مهمة في حياتنا لو التفتنا اليها بعمق ووعي لأثرت في توجيه الناس نحو الصلاح وخلاصتها ان من يمتنع عن بذل ما يتطلبه الايمان وطاعة الله تعالى فإنه سيضطر الى ان يعطي أزيد من ذلك راغماً في معصية الله تعالى فتجتمع عليه الحسرة والعقوبة لكن هذه الحسرة لا قيمة لها ولا ثمرة فيها لأنها جاءت في غير وقت العمل والتدارك.

هذه الحقيقة القرآنية لا تختص بالكافرين، فقد يبخل المتدين الذي يصلي ويصوم لكنه لا يدفع الحقوق الشرعية فيبتلى بصرف ماله في أمور عبثية أو لهوية او كمالية او ربما محرمة فتكون الحسرة عليه مضاعفة لتقصيره في إداء الواجب عليه من جهة ولإنفاق المال في ما يوجب له حسرة وعقوبة بالنار من جهة أخرى عن الصادق (عليه السلام) قال: ما من رجل يمنع درهماً في حقه إلا أنفق اثنين في غير حقه، وما من رجل يمنع حقاً في ماله إلا طوّقه الله به حية من نار يوم

القيامة<sup>(١)</sup>، وعنه (عَلَيْهِ السَّلَامُ): (من منع حقاً لله عز وجل أنفق في باطل مثليه)<sup>(٢)</sup>..  
او انه يتركه لورثته فيكون سبباً لحسرتة على نحو اخر، روي عن الامام  
الصادق (عَلَيْهِ السَّلَامُ) في تفسير قوله عز وجل [كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ  
عَلَيْهِمْ] [البقرة: ١٦٧]، قال (عَلَيْهِ السَّلَامُ): (هو الرجل يدع ماله لا ينفقه في طاعة الله عز  
وجل بخلاً ثم يموت فيدعه لمن يعمل فيه بطاعة الله أو بمعصية الله، فإن عمل فيه  
بطاعة الله رآه في ميزان غيره فرآه حسرةً وقد كان المال له، وإن كان عمل به في  
معصية الله قواه بذلك المال حتى عمل به في معصية الله عز وجل)<sup>(٣)</sup>.

وقد وصف أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) مثل هذا الرجل بقوله: (إن أعظم  
الحسرات يوم القيامة حسرة رجل جمع مالاً بمعصية الله فمات فورثه رجل دخل  
به الجنة)<sup>(٤)</sup>.

ويُفهم من بعض الروايات ان ما يتعرض له المال احياناً من سرقة او تلف  
انما هو بسبب عدم اخراج الزكاة والخمس ونحوهما من الحقوق الشرعية، وورد  
عن أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قوله (قد يتلي الله المؤمن بالبلية في بدنه او ماله او أهله،  
ثم تلى هذه الآية (وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن  
كَثِيرٍ) (الشورى/٣٠).

كما لا تختص هذه الحقيقة بالأموال وانما تتعدها الى ما تتطلبه طاعة الله

(١) وسائل الشيعة: كتاب الزكاة، أبواب ما تجب فيه الزكاة، باب ٦ ح ١.

(٢) نفس الباب، ح ٢.

(٣) وسائل الشيعة: كتاب الزكاة، أبواب ما تجب فيه، باب ٥ ح ٥.

(٤) نهج البلاغة، باب الحكيم، رقم ٤٢٩.

تعالى من أصغر شيء كالتكاسل عن أداء عمل عبادي معين او حضور في مجلس ذكر أهل البيت (عليه السلام) او السعي لقضاء حاجة مؤمن فانه يبتلئ بامضاء ذلك الوقت والجهد في غير طاعة الله تعالى في أمور عبثية ومُضيعة للوقت او ما هو أسوء من ذلك فتجتمع عليه الحسرة في الدنيا لإضاعته فرصة الهداية واكتساب الجنان المتاحة لهم والندامة والعقوبة في الآخرة، وهكذا في كل أمر راجح شرعاً او عقلاً، خذ مثلاً بعض الأمهات يتناقلن عن ارضاع اولادهن الصغار تكاسلاً او حفاظاً على رشاقتها ونحو ذلك وتعطيه حليباً صناعياً فيبتلى الطفل بآثار سلبية كالمغص ونحو ذلك ما تتمنى معه الام لو ارضعت طفلها وارتاحت من هذا البلاء. وتمتد تطبيقات هذه الحقيقة الى كل المستويات فعلى صعيد الزعامات والقيادات المتبعة رأينا كثيراً من الناس يتبعون قيادات ما انزل الله بها من سلطان وربما تصل الى مستوى اتباع يزيد والمقبور صدام وأمثالهما من أجل فتات دنيا زائلة وتترك طاعة الله ورسوله والحجج المعبرة والنتيجة خسران الدنيا والآخرة قال تعالى (وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّا كَرِهْنَا فَنَتَّبِعَهُمْ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّوْا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ) (البقرة/١٦٥-١٦٧) فالآية تقول: ليت هؤلاء الذين ظلموا انفسهم ولم يتبعوا الحق وظلموا الحق نفسه إذ خذلوه ولم ينصروه يرون عاقبتهم السيئة والمؤلمة حين يجتمع الاتباع مع القادة الظالمين يوم القيامة حيث يتبرأ هؤلاء القادة من اتباعهم وتنقطع بينهم الاواصر

والعلاقات ولا يجدون عندهم نفعاً ولا يدفعون عن انفسهم عذاب جهنم وكل عذاب فضلاً عن اتباعهم فيكتشف الاتباع عجز قادتهم وزعاماتهم وضلالهم وستصيبيهم حسرةً بسبب اتباعهم وطاعتهم لقادة مزيفين وسيئاً كدون من حقانية ما كان يقوله الله تعالى ورسوله (أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً) ولم يكن لهم إلا تمني العودة الى دار الدنيا للعمل بما اكتشفوه من الحقيقة (لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّؤُوا مِنَّا) (البقرة/١٦٧) لكنه تمني باطل لا يتحقق لانهم أعطوا الفرصة الكافية في الدنيا وقد كانت هذه الحقيقة ماثلة امامهم بما اخبر به الله تعالى ورسله لكنهم حجبوا بصائرهم عن رؤيتها بغفلتهم وجهلهم واتباع شهواتهم وتضليل شياطين الانس والجن، ومع ذلك فهم غير صادقين في تمنيهم هذا (وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ) (الأنعام/٢٨)

هذا على صعيد الزعامات والقيادات الباطلة وأتباعهم من غير المؤمنين لكن هذه الحقيقة لها مستويات داخل المتدينين ايضاً، فقد يفضل الشخص الرجوع الى الجهة التي تحافظ على راحته ومصالحه وتداهنه او لأنها تعطيه ما يشتهي ويوافق هواه ويدغدغ عواطفه، او لأنها لا تكلفه جهداً أو حركةً، ويترك القيادة الحقة التي تذكره بالله تعالى وتعمل على إعلاء كلمة الله تعالى وصلاح الأمة والارتقاء بها لأنها تتطلب جهاداً للنفس وحركة وعزيمة، ونتيجة اختياره هذا نسيان ربه شيئاً فشيئاً وميله الى الدنيا والانشغالات التافهة ونقصان وعيه ودينه حتى يتحول الى شكليات وطقوس فارغة من المحتوى فتكون حسرة عليهم لانهم لم يستثمروا فرصاً كانت ستكسبهم درجات عالية في الجنة.

وترتقي تطبيقات الآية حتى تصل الى مستوى بذل النفس فأن الأمة لما تخاذلت عن نصرة أمير المؤمنين (عليه السلام) وتفاعست عن نصرة الامام الحسن (عليه السلام) أثبتت بإمارة معاوية الذي جاء الى الكوفة بعد صلح الامام الحسن (عليه السلام) فخطب في أهلها الذين قاتلوه في صفين وأزهقت أرواح عشرات الآلاف من الفريقين فقال في كلامه (والله اني ما قاتلتكم لتصلوا ولا لتصوموا، ولا لتحجوا ولا لتزكوا، انكم لتفعلون ذلك، وانما قاتلتكم لأتأمر عليكم، وقد اعطاني الله ذلك وانتم له كارهون)<sup>(١)</sup>.

ولما لم تفي الأمة للإمام الحسين (عليه السلام) بوعود النصرة وبخلت بالنفوس عليه وانقلبت لتقاتله فكتب عليها الذلة والخنوع وتسلبت الأشرار من أمثال يزيد وابن زياد والحجاج وغيرهم من الطواغيت فقتلوا من خيرة ابناءها ما زاد على الثمن الذي كانوا سيدفعونه لو نصرروا الحسين (عليه السلام) وازالوا حكم الطواغيت وتنعموا بعدالة حجة الله تعالى ودولته الكريمة، وقد حذرهم الامام الحسين (عليه السلام) من هذه النتيجة وألقى الحجة عليهم في خطابه يوم عاشوراء وكان مما قاله (عليه السلام) (فأصبحتم إلباً لأعدائكم على اوليائكم بغير عدلٍ أفشوه فيكم ولا أملٍ أصبح لكم فيهم، أهؤلاء تعضدون وعنها تتخاذلون؟ ويلكم! أتطلبوني بدم أحد منكم قتلته، أو بمال استملكته، أو بقصاص من جراحات استهلكته)<sup>(٢)</sup>.

(١) حياة الامام الحسن ٢ / ٢٥٤.

(٢) تاريخ الطبري: ٥ / ٤٢٥، ينابيع المودة للقندوزي: ٣ / ٦٤.

وقال (عليه السلام) (اما والله لا تلبثون بعدها الا كريثما يركب الفرس حتى يدور بكم دور الرحي ويقلق بكم قلق المحور)<sup>(١)</sup> اذن لما امتنعوا عن القيام بواجب النصره للإمام الحق لم يحصلوا على ما أرادوا من الدعة والراحة وسرعان ما دفعوا الثمن الذي حذرهم منه غالياً.

وقال زهير بن القين في خطبته (فأنكم لا تدركون منهما - يزيد وابن زياد - الا بسوء عمر سلطانهما كله ليسملان اعينكم ويقطعان ايديكم وارجلكم، ويمثلان بكم، ويرفعانكم على جذوع النخل ويقتلان امثالكم وقراء كم أمثال حجر ابن عدي واصحابه وهاني ابن عروة واشباهه).

لاحظ كيف تحول بخلهم بالتضحية الواجبة في سبيل الله الى نصره للأشرار وسقوط مريع في تلك الجريمة البشعة والعاقبة المرعبة.

وخذ مثالا نعيشه اليوم وهو التصدي البطولي للمجاهدين والمتطوعين لصد الهجمة الهمجية للدواعش والإرهابيين الذين أعلنوا بصراحة انهم قادمون لنقض العتبات المقدسة في النجف و كربلاء واحتلالها وغرهم سقوط الموصل وتكريت في يومين بأيديهم، فنهض المؤمنون الغياري في وجوههم واسترجعوا منهم ما اغتصبوه وطهروا الأرض من رجس وجودهم وكلفنا ذلك شهداء كرام وجرحى اعزاء لكن الثمن سيكون اضعافه لو تقاعسنا ولم نقم بهذا الواجب.

والآية أيضا بصيغة المضارع الذي يعني استمرارية الحالة أي ان الذين كفروا وأعداء الإسلام من الطواغيت والقوى المستكبرة وذيولهم واتباعهم ومنفذي خططهم سيستمرون في انفاق أموالهم للصد عن سبيل الله بكل الأساليب

(١) الصحيح من مقتل سيد الشهداء واصحابه : ٦٥٦، ٦٦٤، ٦٦٥.

التي اشرنا لها اختصاراً، وشواهد كثيرة في زماننا لكن النتيجة تكون واحدة دائماً وقطعية وهي الخسارة والحسرة ونشاهد هزيمتهم باستمرار بأذن الله تعالى .

كما ان هذه الحقيقة التي استفدناها من الآية جارية مدى الزمان فلا يقصّر احد في القيام باي عمل راجح شرعاً او عقلاً وليس فقط فعل الواجبات وترك المعاصي، بل المستحبات أيضاً وكل عمل انساني، لأنه ان قصّر خسر هذه الفرصة للكمال والسمو والفلاح وسوف لا يحصل على النتيجة التي ارادها بل يقع في عكس ما كان يريده، هذه النتيجة اخبر عنها الامام الحسين (عليه السلام) بقوله: (مَنْ حَاوَلَ أَمْرًا بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ تَعَالَى كَانَ أَفْوَتًا لِمَا يَرْجُو، وَأَسْرَعَ لِمَجِيءِ مَا يَحْذَرُ)<sup>(١)</sup>.

وبالعكس فأن من يجاهد نفسه ويتخلى عن مشتبهاتها وما تمنيه به من السعادة والراحة الموهومة فان الله تعالى يعوضه عن صبره ومجاهدته بما يُقرّ عينه حقيقةً وليس زيفاً كالذي ورد في النظر الى المحرمات، روي عن النبي (صلى الله عليه وآله) وهو يحدث عن ربه (النظرُ سهمٌ مسمومٌ من سهامِ إبليس، من تركها من مخافتني أبدلتها إيماناً يجدُ حلاوته في قلبه)<sup>(٢)</sup> فلاحظ التعبير بالابدال الذي يعني الحقيقة التي ذكرناها .

(إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ) (ق/٣٧)،  
(وَتَعْيَهَا أُذُنٌ وَاَعْيَةٌ) (الحاقة/١٢).

(١) الكافي ٢: ٣٧٣ ح ٣، تحف العقول: ١٧٧، بحار الأنوار ٧٨: ١٢٠ ح ١٩ وفيهما اسرع لما

يحذر و ٧٣: ٣٩٢ ح ٣، معادن الحكمة ٢: ٤٥ ح ١٠١، وسائل الشيعة ١١: ٤٢١ ح ٣.

(٢) ميزان الحكمة: ٤/٩.

## الفهرس

- القبس القرآني ٨٦ (وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا) [الفرقان : ٣٠] شكوى القرآن ..... ٥
- الأربعون حديثاً في فضل القرآن وآثاره وآداب تلاوته: ..... ٩٤
- القبس القرآني ٨٧ (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ) كيف خطط رسول الله ﷺ للخلافة من بعده ..... ١١٥
- القبس القرآني ٨٨ (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ) [آل عمران : ١٤٤] ماذا خسرت الأمة حينما ولت أمرها من لا يستحق ..... ١٥٤
- القبس القرآني ٨٩ (وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ) [الأنفال : ٤١] إخراج الحقوق الشرعية: الوجوب والإشكالات ..... ١٨١
- القبس القرآني ٩٠ فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في القرآن الكريم ..... ٢٠٩
- القبس القرآني ٩١ (وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) ..... ٢٢٢
- القبس القرآني ٩٢ (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ) [آل عمران : ١١٠] ..... ٢٣٠
- القبس القرآني ٩٣ (وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعذِرَةٌ إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْتَفُونَ) ..... ٢٣٨

- القبس القرآني ٩٤ (لَوْلَا يَنْهَاهُمْ رَبِّيُّونَ وَالْأَخْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمْ  
السُّحْتِ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ) [المائدة : ٦٣] ..... ٢٤٣
- القبس القرآني ٩٥ (كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ)  
[المائدة : ٧٩] ..... ٢٤٧
- القبس القرآني ٩٦ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ) ..... ٢٤٨
- القبس القرآني ٩٧ أعطوا للقرآن الكريم دوراً متميزاً في حياتكم ..... ٢٥٨
- القبس القرآني ٩٨ (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم  
بَرَكَاتٍ [الأعراف: ٩٦] الحل والعلاج في العودة إلى الله تبارك وتعالى ..... ٢٦١
- القبس القرآني ٩٩ (رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ) [آل عمران : ١٩١] رفض  
العبيثة في الحياة ..... ٢٦٩
- القبس القرآني ١٠٠ (وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ) ..... ٢٧٥
- القبس القرآني ١٠١ (لِيُبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا) [الملك : ٢] تمام حسن العمل  
بإتقانه والمداومة عليه ..... ٢٧٩
- القبس القرآني ١٠٢ (وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ) [يونس : ٦١] لنستشعر  
الرقابة الإلهية ..... ٢٨٤
- القبس القرآني ١٠٣ (فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) نبذ الآلهة من دون الله تعالى ..... ٢٨٨
- القبس القرآني ١٠٤ (أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ)  
أسباب البلاء ..... ٢٩٥
- القبس القرآني ١٠٥ (يَوْمَ الْفُرْقَانِ) [الأنفال : ٤١] ..... ٣٠٨

- القبس القرآني ١٠٦ (وَقَفُّوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ) [الصفات : ٢٤] المسؤوليات الثابتة والمتحركة ..... ٣١٥
- القبس القرآني ١٠٧ (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا) [آل عمران : ١٠٣] أساس وحدة المسلمين ..... ٣٢٨
- القبس القرآني ١٠٨ (لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ) [النساء : ١١٤] أهمية الكلمة وتأثيرها ..... ٣٣٣
- القبس القرآني ١٠٩ (أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ) [الحديد : ١٦] ..... ٣٣٨
- القبس القرآني ١١٠ مقامات القرآن الكريم وصنوه أهل البيت عليهم السلام ..... ٣٤٧
- القبس القرآني ١١١ القرآن الكريم يدعو الى التعامل مع الحياة بإيجابية ..... ٣٥٥
- القبس القرآني ١١٢ (وَلَقَدْ نَعَلِمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ) [الحجر : ٩٧] القرآن الكريم يخفف آلام العاملين الرساليين ..... ٣٦٤
- القبس القرآني ١١٣ (فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَاطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ) [الزخرف/٥٤] قابلية الشعوب على الاستعباد ..... ٣٦٩
- القبس القرآني ١١٤ (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ) ..... ٣٧٩
- القبس القرآني ١١٥ (فَسَيَنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً) [الأنفال: ٣٦] من لا يقدم ما عليه في طاعة الله تعالى يعطي أكثر منه في معصيته ..... ٣٨٦
- الفهرس ..... ٣٩٤